

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

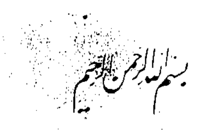
جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
موفق بن عبد الله علي كدسه

١٤٢٣ / ١٤٢٤هـ

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد عبد العزيز داود



وزارة التعليم العالي
جامعة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : موفق عبدالله علي كدسة كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص :
عنوان الأطروحة : ((جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١١/١٢/١٤٢٣هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : أ.د. محمد عبدالعزيز داود	الاسم : أ.د. عبدالله بن عمر الدميجي	الاسم : أ.د. عبدالعزيز الرشـ
التوقيع : [signature]	التوقيع : [signature]	التوقيع : [signature]

يعتمد

رئيس قسم
الاسم : د. عبدالعزيز الحميدي
التوقيع : [signature]

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

(جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية)

يعد الشيخ محمد حامد الفقي – رحمه الله – من العلماء المصلحين والدعاة المجددين، ولقد احتوت هذه الرسالة على دراسة لجهود الشيخ في نشر العقيدة السلفة.

وقد قُسمت الرسالة إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، حيث ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأما الأبواب فكانت كالتالي: الباب الأول: الكلام عن حياة الشيخ ومكانته العلمية وجهوده الدعوية يحتوي على ستة فصول، الفصل الأول كان دراسة عن عصر الشيخ وتحته أربعة مباحث، والفصل الثاني دراسة عن نشأته وحياته وتحته عشرة مباحث، والفصل الثالث دراسة عن مكانته العلمية ومؤلفاته وتحته ثلاثة مباحث، والفصل الرابع جهوده في الدعوة إلى الله وتحته خمسة مباحث، والفصل الخامس جهوده في تأصيل مصادر العقيدة وتحته أربعة مباحث، والفصل السادس ملاحظات وردود وتحته ثلاثة مباحث، الباب الثاني: منهج الفقي في التوحيد وبيان نواقضه وفيه ثلاثة فصول، الفصل الأول توحيد الربوبية وفيه مبحثان، والفصل الثاني: توحيد الأسماء والصفات وفيه مبحثان، الفصل الثالث: توحيد الألوهية وفيه أربعة مباحث، الباب الثالث: منهج الفقي في الإيمان وبعض مسائله وفيه أربعة فصول، الفصل الأول الإيمان بالله وفيه أربعة مباحث، الفصل الثاني الإيمان بالنبوات والكتب المنزلة وفيه أربعة مباحث، الفصل الثالث الإيمان بالقدر وفيه أربعة مباحث، الفصل الرابع الإيمان باليوم الآخر وفيه أربعة مباحث، الباب الرابع: منهج الفقي في الإمامة والصحابة وفيه فصلان، الفصل الأول الإمامة وفيه ثلاثة مباحث، الفصل الثاني الصحابة وفيه أربعة مباحث.

الخاتمة: وقد ذكرت فيها أهم النتائج ومن أبرزها: إن عقيدة الشيخ الفقي لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة، استطاع الشيخ إزالة الشبهات التي كانت تحوم حول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وحول دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب وإبراز الوجه الحقيقي لهما.

كان للشيخ جهدًا مؤثرًا واضحًا في نشر كتب السلف وكذلك في تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية وحمل لواء التوحيد في مصر. يعد الشيخ الفقي أنموذجًا قويًا للعالم السلفي والداعية المخلص والمؤسس الناجح والمضحي الصادق.

من التوصيات الاهتمام بإخراج تفسيره، كذلك الاهتمام بنشر مجلة الهدي النبوي والتي تقع في واحد وثلاثين مجلدًا.

Thesis Summary

Al Shiek Mohammed Hamid Al Feky's Efforts in Spreading Antecede it belief

This thesis includes study for his Efforts in spread antecede Belief.

This thesis is divided into an introduction and four sectioning and conclusion. It is mentioned in the introduction the importance of the study and the reasons of chasing it (this subject).

The chapters are as follows: The first section: the study is about Al Feky's life, his scientific position and his efforts for mission.

This section contained about 6 chapters.

First chapter it is about Al Feky's era and this chapter is divided into four themes.

Second chapter it is about Al Feky's life and is divided into ten themes.

Third chapter: about his scientific position and his books. This chapter is divided into three themes.

Fourth chapter: his efforts in mission for God. This chapter is divided into five themes.

Fifth chapter: resources: this chapter divided four themes.

Sixth chapter: remarking and answering. It is divided into three themes.

The second section: Al Feky is method in monotheism. It is containes three chapters.

The first chapter: monotheism for God, this chapter had containes two themes.

The second chapter: It is about monotheism for names and characteristic, it containes two themes.

The third chapter: monotheism deity, it containes four themes.

The third section: Al Feky's method in failth. It containes four chapters.

The first chapter: Belief in God. It containes four themes.

The second chapter: Believe in prophets and the holy books. It had containes four themes.

The third chapter: fith in destiny. It containes four themes.

The fourth chapter: Belief in doomsday. It containes four themes.

The fourth section: Al Feky's method in the companions and imam and it containes two chapters.

Conclusion: I have studied the results and an important result was, Al-Feky's fith is one of the sunnite and Al Gamaa feith.

Al Feky could put and end to suepicion which was about - Ebn Taymya – God mercy him – and Al Sheik Mohammed [bn Abd Al Wahb].

Al Feky has an important effort in spreading antecede's books and establishing Ansar Al Suna Al-Mohamadia gorup and carrying the flag of monotheism in Egypt.

Al Fekly was an example for scientist's antecede, a good herald and he had an important role in supporting antecedic belief.

Recommendations:

I must be concerning with bringing out his explanation and concerning with spreading Al Hadi Al Nabawy Magazine which containes thirty one volumes.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [3]

أما بعد:

فإن من فضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ أن يبعث فيها من يجدد لها دينها ويحيي سنة نبيها ويعيد الناس إلى الحق والصواب بدلاً من الانحراف عن السنة والكتاب. وهذا مصداق قول النبي ﷺ "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها" [4]

---

[1] سورة آل عمران ، آية: (١٠٢).

[2] سورة النساء، آية: (١).

[3] سورة الأحزاب، آية: (٧٠،٧١).

[4] رواه أبوداود، كتاب الملاحم، برقم ٤٢٩١، صححه الألباني.

وقول الرسول ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم.." [1]

ولقد قيض الله لهذه الأمة كثيراً من المصلحين والمجددين الذين كان لهم أثر قوي – بعد توفيق الله تعالى – في إحياء السنة وقمع البدعة ومحاربة الباطل وأهله، وهم الذين قصدهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل –رحمه الله– بقوله: "يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم"[2]

وإن من أولئك المصلحين المجددين والذي أخذ على عاتقه نشر العقيدة السلفية الصحيحة والتوحيد الخالص ومحاربة البدعة والشرك والضلال، ورد الناس إلى الجادة في وقت قل المعين وفقد الناصر واضمحل الحق وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والتوحيد ضلالاً والشرك طاعةً لله وإقبالاً أقول في ذلك الوقت أخرج الله في أرض الكنانة الشيخ/ محمد حامد الفقي، فحمل لواء التوحيد والدعوة السلفية وذاد عنه وتحمل من أجله الكثير والكثير من العداء والإيذاء النفسي والجسدي، فصبر وجالد وتحمل وكابد، وأسس جماعةً يجمعها توحيد السلف وتستظل بضلال القرآن والسنة، وخرج بدعوته إلى آفاق بعيدة ومترامية و لم يقصرها على بلده أو منطقته، وهكذا هم المصلحون دائمًا وأبدًا.

ثم إنه عكف على كتب السلف ينفض عنها الغبار والنسيان ويخرجها للواقع والعيان، يحققها ويطبعها وينشرها فكان بحق رجالاً في ثوب رجل، وجهودًا يقوم بها فرد، ودعوةً لا يحدها قدر.

---

[1] رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، برقم ٧٣١١،ومسلم، كتاب الإمارة، برقم ٤٩٥.

[2] أنظر: مقدمة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة، ص٨٥ ، تحقيق د/ عبد الرحمن عمير، ط١، ١٣٩٧هـ، دار اللواء.

أسباب اختيار الموضوع:

١- لما للعلماء من حق على أفراد الأمة وأنهم ورثة الأنبياء فأردت أن أتناول شخصية من الشخصيات العظيمة والتي كان لها دورٌ مؤثرٌ في نشر العقيدة السلفية في العالم الإسلامي.

٢- الرغبة في إبراز الجوانب التي كانت ضمن جهوده في نشر عقيدة السلف سواءً ما كان مفرقاً في المجالات "الإصلاح والهدي النبوي" أو تعليقاته على الكتب التي قام بتحقيقها ونشرها أو من خلال دعوته وتأسيسه لجماعة أنصار السنة المحمدية.

٣- بيان منهج الشيخ مفصلاً في أبواب العقيدة، لا سيما وقد تمت الكتابة عن بعض أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية كأحمد شاكر وعبد الرزاق عفيفي ومحمد خليل هراس.

٤- إن الشيخ/ حامد يُعد امتدادًا للمنهج السلفي في بيئة كانت مليئة بكثير من البدع والشركيات والخرافات، فكان من الواجب الإشادة بمثله.

٥- جهوده القوية والمباركة في تحقيق كتب السلف وخاصة كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – .

٦- الرغبة في بيان ما أشكل حول الشيخ من بعض قضايا أثيرت حوله لم يُلتزم فيها جانب الحياد والموضوعية ممن طرحها وتكلم فيها.

٧- عدم إفراده بدراسة مستقلة تبين جهوده الدعوية وعقيدته السلفية.

٨- حرص كثير من المشايخ الفضلاء وأهل التخصص النبلاء على التعريف بمثل هؤلاء الذين طواهم الزمان وجهل مكانتهم القريب قبل البعيد وليس هذا على إطلاقه.

٩- إبراز جانب التأسيس للدعاة والمصلحين عن طريق دراسة مثل هذه الشخصيات العظيمة لشحذ الهمم واستلهام الفوائد وتوطين النفس وتسهيل العقبات.

الدراسات السابقة:

من المؤسف حقيقة أن هذه الشخصية العظيمة لم تخدم الخدمة اللائقة بها والتي يستحق صاحبها كل ثناء وتقدير.

لكن بعد انتهائي من صلب الرسالة تمت مناقشة أُطروحة علمية للدكتوراه بعنوان "جماعة أنصار السنة المحمدية وجهودها في نشر عقيدة السلف، عرض ونقد" المقدمة من الدكتور الفاضل: أحمد محمد طاهر عمر.

ومع يقيني أنه واجه نفس الصعوبات التي واجهتها إلا أنها والحق يقال رسالة قيمة في بابها حيث إنها تعد إضافة متميزة للجماعة في ظل تفريط الجماعة في الدور المنوط بها في التعريف بنفسها ورجالها.

ولقد تعرض الباحث في رسالته إلى الشيخ وكتب عنه كتابة حسنة إلا أنها لم تتجاوز ثلاثًا وثلاثين صفحة من مجموع رسالته، كذلك لم يتعمق في دراسة منهجه وعقيدته لأن رسالته كانت منصبة على الجماعة نفسها ككل لا على الشيخ، أما رسالتي فهي تعني بالشيخ وجهوده ودعوته وبذله في نشر عقيدة السلف بتوسع واستفاضة.

منهج البحث:

- قمت بجمع المادة العلمية للبحث حيث كان أهم مصادرها مجلة الهدي النبوي والتي تقع في واحد وثلاثين مجلدًا ومجلة الإصلاح التي تقع في مجلدين، كذلك جمعت أغلب الكتب التي حققها الشيخ وقام على إخراجها، كذلك ما ألّفه وهو قليل بالنسبة إلى ما حققه، كذلك ما كُتب حول الجماعة والشيخ.
- قمت بالسفر إلى دولة مصر الشقيقة حيث سعدت بزيارة جماعة أنصار السنة المحمدية في مقرها والالتقاء برئيسها ووكيلها وببعض من عاصر الشيخ – يرحمه الله – ، كذلك التقيت في مدينة جدة بعد ذلك ببعض من عاصر الشيخ والتقى به.

- عملت على فهرسة المجلتين والكتب وجمع المادة العلمية التي أحتاج إليها في البحث وتقسيمها على أبواب وفصول ومباحث الرسالة.
- اطلعت على أغلب الرسائل العلمية في التخصص وخاصة في الأعلام.

١) حاولت أن أكون محايداً في كلامي عن الشيخ بقدر الإمكان ملتزمًا العدل والإنصاف قدر جهدي واستطاعتي.
٢) عند الكلام في أبواب العقيدة وتفصيلاتها كنت أورد منهج السلف ونقولاتٍ عنهم ثم أذكر كلام الشيخ الفقي وقد أقدمه أو أُؤخره.
٣) حاولتُ غالباً أن أذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عند الاستشهاد على منهج السلف لمكانة الشيخين عند الفقي.
٤) لم أحاول التوسع في مفردات الرسالة أو الحشو فيها بغير داع خشية الإطالة والإملال.
٥) عزوت كل نص إلى مصدره الذي أخذته منه.
٦) التزمت كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقمها.
٧) حاولت قدر الإمكان أن تكون الأحاديث الواردة في البحث من الصحيحين، أو من السنن إن تعذر ذلك واعتمدت في ذلك من باب التيسير على الطبعات الجديدة التي جعلت كل كتاب في مجلد واحد وخاصة طبعة بيت الأفكار التي طبعت كتب السنن وعليها أحكام الشيخ الألباني، فكنت أذكر اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث وحكم الشيخ الألباني على الحديث، وكذلك صنعت في الصحيحين حيث استخدمت طبعة دار السلام التي جمعت كل كتاب في مجلدٍ واحد فكنت أذكر اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث.
٨) ترجمت لأغلب الأعلام الذين وردت أسماؤهم في البحث من غير المشهورين دون توسع ولا إطالة وجعلت ذلك في ملحق.

٩) عند ذكري للشيخ قد أطلق عليه محمد حامد الفقي أو حامد الفقي أو الفقي.

١٠) عند ذكري للجماعة قد أذكر اسمها كاملاً جماعة أنصار السنة المحمدية أو أنصار السنة أو الجماعة.

١١) أحياناً قد أكرر نصاً في أكثر من موضع للحاجة لذلك.

١٢) ما ذكرته سابقاً هو الغالب في البحث وقد أخالفه أحيانًا لاعتبارات أخرى.

١٣) قمت بوضع عدة فهارس في آخر البحث وملحق خدمةً له، وهي كالتالي:

(أ) ملحقٌ بالأعلام.

(ب) فهرسٌ، للآيات القرآنية.

(ج) فهرسٌ، للأحاديث النبوية.

(د) فهرسٌ، للمراجع والمصادر.

(هـ) فهرسٌ، عامٌ للموضوعات.

خطة البحث:

كانت خطتي في البحث على النحو التالي:

قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، فأما المقدمة فذكرت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له ومنهجي في الكتابة ولمحة موجزة عن الخطة.

وأما الأبواب فقد قسمتها على النحو التالي:

- **الباب الأول**

الكلام عن حياة الشيخ ومكانته العلمية وجهوده الدعوية

وفيه ستة فصول

✓ **الفصل الأول: عصره**

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** الحالة السياسية.
- **المبحث الثاني:** الحالة الاجتماعية.
- **المبحث الثالث:** الحالة العلمية.
- **المبحث الرابع:** أهم مظاهر الشرك والبدع والخرافات التي انتشرت في زمن الشيخ.

✓ **الفصل الثاني: نشأته وحياته**

وفيه عشرة مباحث:

- **المبحث الأول:** اسمه ونسبه ومولده وكنيته.
- **المبحث الثاني:** نشأته.
- **المبحث الثالث:** طلبه العلم.
- **المبحث الرابع:** شيوخه.
- **المبحث الخامس:** طلابه.

- **المبحث السادس**: أقرانه.
- **المبحث السابع**: أخلاقه.
- **المبحث الثامن**: تعرضه للإيذاء ومحاولة الاغتيال.
- **المبحث التاسع**: وفاته.
- **المبحث العاشر**: رثاء الشيخ.

✓ **الفصل الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته**

وفيه ثلاثة مباحث

- **المبحث الأول**: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.
- **المبحث الثاني**: مؤلفاته.
- **المبحث الثالث**: أعماله ووظائفه.

✓ **الفصل الرابع: جهوده في الدعوة إلى الله**

وفيه خمسة مباحث

- **المبحث الأول**: جماعة أنصار السنة المحمدية.
- **المبحث الثاني**: مجلة الإصلاح.
- **المبحث الثالث**: مجلة الهدي النبوي.
- **المبحث الرابع**: منهجه في الاتصال بالناس.
- **المبحث الخامس**: منهجه الدعوي.

✓ **الفصل الخامس: جهوده في تأصيل مصادر العقيدة**

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول: القرآن الكريم والرجوع إليه.**
- **المبحث الثاني**: السنة النبوية والرد على القائلين بعدم قبول خبر الآحاد في العقيدة.
- **المبحث الثالث**: جهوده في الرد على المتكلمين واعتمادهم العقل.

- **المبحث الرابع:** جهوده في الرد على الصوفية واعتمادهم الرؤى والمنامات والكشف.

✓ **الفصل السادس: ملاحظات وردود**

وفيه ثلاثة مباحث

- **المبحث الأول:** الفقي وأحمد شاكر مع ابن تيمية.
- **المبحث الثاني:** موقف الفقي من الملائكة.
- **المبحث الثالث:** اشكالات عارضة.

□ **الباب الثاني**

منهج الفقي في التوحيد وبيان نواقضه

وفيه ثلاثة فصول

✓ **الفصل الأول: توحيد الربوبية**

وفيه مبحثان

- **المبحث الأول:** تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** منهج الفقي في إثبات توحيد الربوبية.

✓ **الفصل الثاني: توحيد الأسماء والصفات.**

وفيه مبحثان

- **المبحث الأول:** تعريف توحيد الأسماء والصفات.
- **المبحث الثاني:** منهج الفقي في توحيد الأسماء والصفات.

✓ **الفصل الثالث: توحيد الألوهية**

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** تعريف توحيد الألوهية.
- **المبحث الثاني:** شروط صحة العبادة.
- **المبحث الثالث:** من أنواع العبادة.

- **المبحث الرابع:** نواقض التوحيد.

◻ الباب الثالث

منهج الفقي في الإيمان وبعض مسائله

وفيه أربعة فصول

✔ الفصل الأول: الإيمان

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام.
- **المبحث الثالث:** زيادة الإيمان ونقصانه.
- **المبحث الرابع:** دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

✔ الفصل الثاني: الإيمان بالنبوات والكتب المنـــزلة

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.
- **المبحث الثاني:** حكم المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- **المبحث الثالث:** الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
- **المبحث الرابع:** الإيمان بالقرآن الكريم وما قبله من الكتب.

✔ الفصل الثالث: الإيمان بالقدر.

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لذلك.
- **المبحث الثالث:** القضاء والقدر ولزوم اتخاذ الأسباب.
- **المبحث الرابع:** سقوط القول بالاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

✓ **الفصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر.**

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** عذاب القبر ونعيمه.
- **المبحث الثاني:** يوم القيامة.
- **المبحث الثالث:** الشفاعة.
- **المبحث الرابع:** وجود الجنة والنار وأبديتهما .

□ **الباب الرابع: منهج الفقي في الإمامة والصحابة.**

وفيه فصلان

✓ **الفصل الأول: الإمامة.**

وفيه ثلاثة مباحث

- **المبحث الأول:** تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** طاعة الأئمة والنصح لهم.
- **المبحث الثالث:** بعض صفات الإمام اللازمة.

✓ **الفصل الثاني: الصحابة.**

وفيه أربعة مباحث

- **المبحث الأول:** تعريف الصحابي لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** منـــزلة الصحابي.
- **المبحث الثالث:** التفضيل بين الصحابة.
- **المبحث الرابع:** الفتنة.

الخاتمة:

وذكرت فيها أهم النتائج التي أظهرها البحث.

شكـــر وتـــقـــديـــر

ختاماً أحمد الله تعالى وأشكره على ما منَّ به علـــيَّ مـــن إتمـــام لهـــذا البحث ، ثم أثني بشكر جامعة أم القرى، هذا الصرح العلمـــي العظـــيم الـــذي يتمنى كل طالب علم في الدنيا – ولست في ذلك مبالغـــاً – أن يلتحـــق بـــه وينتمي إليه، كيف لا وهو في البلد الحرام وفيه من فيه مـــن العلمـــاء والـــدعاة والمصلحين، فأشكر الجامعة على كل ما قدمته لي ولأمثالي من طلاب العلم.

كذلك الشكر موصول لكلية الدعوة وأصول الدين عامة وعلى رأســـهم عميدها، فضيلة الشيخ الدكتور/ **عبد الله بـــن عمـــر الـــدميجي** ولأســـاتذة ومشايخ قسم العقيدة الفضلاء خاصة.

كما أتوجه إلى الله بالدعاء أن يثيب سعادة المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/ **محمد عبد العزيز داود**، على صبره وتحمله، وتوجيهـــه وتســـديده، وتعليمه وتوجيهه لي فالله المسؤول أن يحفظه ويسدده ويجزل له العطاء والأجر.

وكذلك للمناقشين الفاضلين اللذين وافقا علـــى مناقشـــتي وتســـديدي فلهما مني جزيل الشكر والتقدير.

١) فضيلة الشيخ: أ – د/ عبد الله بن عمر الدميجي

٢) فضيلة الشيخ: أ – د/ عبد العزيز المرشدي

أخيراً أشكر كل من قدم لي مساعدة في هذا البحث بنصيحة أو ملاحظة أو دعاء أو كتاب أو غير ذلك فللكثير عليَّ أياد بيضاء – بعد فضل الله – فلهم مني الدعاء أن يحفظهم ويجزل لهم الأجر والمثوبة والجزاء، وأن يجعلنا جميعاً ممن إذا أعطِيَ شكر وإذا ابتلِيَ صبر وإذا قَدِرَ غفر.

والحمد لله رب العالمين،،،،

البـاحـــث

الباب الأول

الكلام عن حياة الشيخ ومكانته العلمية وجهوده الدعوية
وفيه ستـــــة فصول

الفصل الأول: عــــصـــره

الفصل الثاني: نشأتـــه وحياتـــه

الفصل الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته

الفصل الرابع: جهوده في الدعوة إلى الله

الفصل الخامس: جهوده في تأصيل مصادر العقيدة

الفصل السادس: ملاحظـــات وردود

الفصل الأول

عصره

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول

الحالة السياســـيـــة

عند الكلام عن تاريخ مصر السياسي يحسن بنا أن نتكلم بداية عن أوائل القرن التاسع عشر بنوع من الإيجاز، لأن تاريخ مصر حَفَلَ بحوادث تاريخية مترابطة نظراً لموقعها الجغرافي المميز ومكانتها الدولية.

فلقد تولى محمد علي باشا مقاليد الحكم – بعد قدر الله – بإرادة زعماء الشعب ونزولاً عند رغبتهم في عام ١٨٠٥م حيث كان لهم الأثر الفعّال في تثبيت دعائم ملكه وحكمه، وتذييل العقبات والمكائد التي اعترضت طريقه سواءً كانت من الأستانة أو من المماليك أو الإنجليز.

وكان على رأس تلك الزعامات السيد/ عمر مكرم والشيخ/ عبد الله الشرقاوي اللذان وقفا مع محمد علي ووجها الزعامات الشعبية معه.

وقد واجه محمد علي ثلاثة أعداء في فترة واحدة، فالأتراك من جهة والمماليك من أخرى والإنجليز من ثالثة.

استطاع محمد علي أن يقضي على المماليك داخل مصر (لكن لم تكد مصر تنجو من خطر المماليك حتى واجهت أزمة أشد وقعاً وأعظم خطراً وهي الحملة التي جردها إنجلترا سنة ١٨٠٧م لاحتلالها وتحقيق مطامعها في وادي النيل. وترجع أسباب تلك الحملة إلى انتقاض العلاقات بين إنجلترا وتركيا وما اعتراها من الجفاء لانحياز تركيا إلى فرنسا.

اعتزمت إنجلترا أن تضرب تركيا في مصر فتنال غرضين هما إذلال تركيا من جهة، وتحقيق أطماعها في مصر من جهة أخرى)[1] حيث جهزت إنجلترا حملتين لاحتلال مصر في أيام محمد علي

---

[1] انظر: عصر محمد علي ، ص٥٧، عبد الرحمن الرافعي، الهيئة المصرية للكتاب.

(الأولى كانت في عام ١٨٠٧م والتي كانت تعرف بحملة الجنرال فريزر، فكان نصيبها الإخفاق والهزيمة في رشيد والحماد مما اضطرها للجلاء عن البلاد.

والحملة الثانية سنة ١٨٤٠م بعدما انتصر "محمد علي" على تركيا في معركة نصيبين، فألبّت إنجلترا عليه الدول الأوروبية واتفقت وحلفاؤها على إذلال مصر فجردت عليها أساطيلها في سورية ومصر، ومع أنها استعانت بالحلفاء فإن كل ما أصابته منها أن حرمتها من فتوحاتها وأرجعتها إلى حدودها الأصلية).[1]

ونتيجة لما حصل في هذا العام ١٨٤٠م تم إبرام معاهدة لندرة في ١٥ يوليه ١٨٤٠م وكانت هذه المعاهدة بين إنجلترا والنمسا والروسيا وبروسيا وتركيا وكان من أهم شروطها ما يلي:

١) (أن يخول "محمد علي" وحلفاؤه حكم مصر الوراثي ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية المعروفة بولاية عكا "فلسطين".

٢) إذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يحرم الحكم على ولاية عكا ويمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر، وسحب جنوده من جميع البلاد العثمانية وإرجاع الأسطول العثماني.

٣) يدفع محمد علي جزية سنوية للباب العالي.

٤) تسري في مصر وفي ولاية عكا المعاهدة التي أبرمتها السلطة العثمانية وقوانينها الأساسية ويتولى محمد علي وخلفاؤه جباية الضرائب باسم السلطان على أن يؤدوا الجزية.

٥) تعد قوات مصر البرية والبحرية جزءاً من قوات السلطنة العثمانية.

٦) يتكفل الحلفاء في حالة رفض محمد علي باشا لتلك الشروط أن يلجؤا إلى وسائل القوة لتنفيذها.

[1] انظر: عصر محمد علي، ص٢٢

٧) إذا لم يذعن محمد علي للشروط المتقدمة وجرّد قواته البرية والبحرية على الاستانة فيتعهد الحلفاء بأن يتخذوا بناء على أوامر السلطان كل الوسائل لحماية عرشه وجعل الاستانة والبواغيز بمأمن من كل اعتداء)[1]. والعجيب أن هذه المعاهدة تمت بدون علم مصر وفرنسا والتي حاولت بعد ذلك الاعتراض لكن أُسقط في يدها، فتركت مصر وحدها أمام الدول المؤتمرة.

بداية رفض "محمد علي" هذه المعاهدة، ولكن الدول المتحالفة استطاعت إجلاءه من بيروت وضواحيها.

تقول كتب التاريخ إن مصر قد خسرت كثيراً من جراء هذه الاتفاقية لكنها كسبت من معاهدة لندرة (أن لمصر مركزاً دولياً مستقلاً عن تركيا، إذ جعلت حكومتها وراثية في أسرة "محمد علي" وأنها اعترفت لمصر بالاستقلال مقيداً بالسيادة العثمانية... ولم يعد لتركيا ولا لغيرها من الدول أن تعبث بهذا الاستقلال الذي أصبح مكفولاً بمعاهدة دولية).[2]

ولقد تولى الحكم بعد "محمد علي" ابنه "إبراهيم باشا" في مرض أبيه وعجزه عن القيام بأمور الحكم، فكانت ولايته محمودة استمرت سبعة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً وتوفي في ١٠ نوفمبر ١٨٤٨م.

ثم تولى بعده "عباس باشا الأول" وكانت مدة ولايته ما بين ١٨٤٨ – ١٨٥٤م قرابة الست سنوات، ويمكن اعتبار "عصر عباس باشا الأول" بمصر رجعية وفتورًا، ففيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد محمد علي.

ولي "عباس حلمي" الحكم بعد وفاة "إبراهيم" وفي حياة "محمد علي باشا" أيضاً وهو ابن "طوسون بن محمد علي"، ولكنه لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته، ولم يشبه عمه "إبراهيم" في عظمته وبطولته بل كان خالياً من المزايا التي تجعل منه

---

[1] انظر: عصر محمد علي، ص٢٩٥-٢٩٦

[2] انظر: نفس المصدر ، ص٣١٦

ملكاً عظيماً يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبل التقدم والنهضة[٣]، وقد مات مقتولاً في قصره في ١٨شوال سنة ١٢٧٠هـ — ١٤يوليه سنة ١٨٥٤م.

ثم جاء بعده "سعيد باشا" ابن "محمد علي" وكانت مدة ولايته ما بين (١٨٥٤-١٨٦٣)م (ويمتاز عصره بظهور نهضة وطنية جديرة بأن تعُد دوراً من أدوار الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث، فقد كان ذا نزعة وطنية، ظهرت آثارها في كثير من إصلاحاته وأعماله، وكان يميل إلى خير المصريين ورفاهيتهم ويعمل على تحريرهم من نير المظالم ويخفف عنهم عبء الضرائب ويبث فيهم روح الوطنية ويشجعهم على تقلّد المناصب العالية في الجيش والإدارة بعد أن كانت وقفاً على النزّال والشراكسة).[١] (وقد توفي في ٢٧رجب سنة ١٢٧٩ — ١٨يناير ١٨٦٣م وعمره ٤٢ سنة)[٢].

ثم جاء بعده "الخديوي إسماعيل" وكانت ولايته ما بين (١٨٦٣-١٨٧٩م) وفي هذا العهد تعرضت مصر لنكبات كثيرة ومحن وقلاقل عصفت بتاريخ مصر بعد ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن عصر "إسماعيل" كان يجمع بين تقدم وعمران من جهة وبين تأخر وحرمان من جهة أخرى. ففي عهد ازداد تغلغل النفوذ الأجنبي في مصر نتيجة الديون التي كان يعقدها، وظهرت تبعية مصر المالية والاقتصادية للأجانب مما أدى إلى تدخل الدول الأجنبية في شئون مصر المالية والسياسية، وقد بلغت ديون مصر في ذلك الوقت ١٢٦,٣٥٤,٣٦٠ جنيهًا إنجليزيًا. حيث كان إسراف "إسماعيل" من أفظع النكبات التي أُصيبت بها مصر مما أدى إلى التدخل الأجنبي وفقدان مصر لاستقلالها المالي.[٣]

---

[٣] انظر: عصر إسماعيل ج١ ص١٥، عبد الرحمن الرافعي، الهيئة المصرية للكتاب.

[١] انظر: عصر إسماعيل ج١ ص٢٩

[٢] انظر: عصر إسماعيل ج١ ص٧١

[٣] انظر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، ص٢٤٥-٢٤٦ ، د/ عمر عبد العزيز عمر ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م.

أراد "إسماعيل" أن يتخلص من التبعية للدولة العثمانية، فجعل يهتم بالجيش وبالإصلاحات الداخلية، وكوّن إمبراطورية قوية مترامية الأطراف، لكنه رمى بنفسه في أيدي الأوربيين حيث كان يحسن الظن بهم وما زالوا يمدونه ويمدونه حتى صار لهم رقابة قوية على مصر؛ قادتهم تلك الرقابة بعد ذلك إلى التدخل وإعلان الحماية على مصر.

وقد اتسم عصر إسماعيل بعدة أمور:

١. ظهور الجفاء بينه وبين الدولة العثمانية.
٢. الركون إلى الدول الأوروبية وحسن الظن بها والعمل على كسب رضاها.
٣. عقد القروض الفاحشة التي أثرت على تاريخ مصر عهوداً طويلة.
٤. افتتاح قناة السويس.
٥. الإسراف والبذخ الذي كان يعيشه إسماعيل.
٦. فتح السودان وضمه لمصر.
٧. الاهتمام بأمور الجيش.
٨. ازدهار التجارة في عهده.
٩. ازداد الاهتمام بالبعثات الخارجية للدراسة.
١٠. موقفه المحابي للأقباط، ومدهم بالهبات والأراضي والمدارس.
١١. اهتمامه بالتعليم وإنشاء المدارس في كثير من التخصصات.
١٢. إبعاد الشريعة الإسلامية عن الحكم وتجميد المحاكم الشرعية.

وعلى الرغم مما قدمه "إسماعيل" للدول الأوروبية إلا أن الحكومتين الإنجليزية والفرنسية سعتا لدى الباب العالي لعزل "إسماعيل" عندما منع دخول الأجانب في الوزارة، وتم لها ذلك حيث صدر قرار من السلطان العثماني بعزل "الخديوي إسماعيل" وتولية ابنه "محمد توفيق" مكانه، وكانت ولاية الابن ما بين (١٨٧٩-١٨٩٢م).

بادئًا اعتقد المصريون أن الخديوي الجديد سوف يحقق لهم ما عجز عنه "إسماعيل". فقد كان "محمد توفيق" من تلاميذ "جمال الدين الأفغاني" وقد انضم إلى المعارضة في زمن أبيه.

لكن "محمد توفيق" كان ضعيف الشخصية، حيث أعطاه عزل أبيه درسًا أثر في حياته فصارت عنده قناعة أنه لن يحافظ على عرشه إلا بمعونة إنجلترا وفرنسا.

وهكذا أعاد "محمد توفيق" المراقبة الثنائية على مصر، وكان ذلك في ١٥نوفمبر ١٨٧٩م، حيث رضخ للتحكم الإنجليزي والفرنسي مدة طويلة.

في أثناء ذلك سعت إنجلترا إلى احتلال مصر سعياً حثيثاً رغم مضايقة فرنسا والدولة العثمانية لها، فقد كانت قناة السويس تُشّكل أهمية عظيمة فكان الجميع يسعى لها.

(فبعد فتح قناة السويس للملاحة في عام ١٨٦٩م رأت الحكومة البريطانية أن من الضروري الإشراف على مصر بعد احتلالها لجزيرة قبرص عام ١٨٧٨م وفكرت جدياً في احتلال مصر والاستئثار بها وحدها بعد أن احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١م)[١].

(وجّه الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م قواته ونيرانه على الإسكندرية متعللاً بأعذار واهية حيث وقفت الثورة المصرية بقيادة "أحمد عرابي" موقفاً مشرفاً، لكن خيانة الأسطول الفرنسي أدى إلى هزيمة "عرابي" واحتلال إنجلترا لقناة السويس، ثم دخلوا القاهرة في ١٥سبتمبر١٨٨٢م وكانت هذه بداية الاحتلال البريطاني)[٢].

استمر الوضع تحت السيطرة البريطانية، حيث لم يكن يحكم فعلياً إلا القنصل البريطاني دام ذلك قرابة ثلاث وعشرين سنة.

---

[١] انظر: دراسات في تاريخ العرب، ص٣٢٢، د/ عمر عبد العزيز عمر.

[٢] انظر: نفس المصدر ، ص٣٣٧

وفي عام ١٩١٤م أعقاب الحرب العالمية الأولى أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر وذلك في ١٨ديسمبر.

بعد ذلك أعلنت خلع "الخديوي عباس الثاني" وعينت الأمير "حسين كامل" سلطاناً على مصر (وأطلقت عليه لقب سلطان نكاية بالسلطان العثماني ومضاهاة له، ومنعت الاجتماعات وراقبت الصحافة وألغت الأحزاب وسخرت اقتصاد البلاد لمصلحة الجيش الإنجليزي، وفرضت على الشعب السخرة في تعبيد الطرق وحفر الآبار ومدّ الأنابيب وغير ذلك).[1]

وقد توفي "حسين كامل" قبل نهاية الحرب فعينت مكانه أخيه أحمد فؤاد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا[2].

وفي عام ١٩١٩م قامت ثورة عارمة في القطر المصري تطالب بالاستقلال، وقد كان زعيم الثورة في ذلك الوقت "سعد زغلول" حيث بدأت الثورة في ٩مارس حيث ثار الشعب في وجه الاحتلال وبدأت الإضرابات وقُطّعت الطرق وحاصروا الحاميات الإنجليزية وقامت المظاهرات حتى ١٧مارس حيث كان هذا اليوم هو يوم المظاهرة الكبرى التي حدثت بالقاهرة واشترك فيها نفر كبير من مختلف طبقات الأمة إذ سار فيها العلماء والقضاة والمعلمون والمحامون والتجار وأرباب الأعمال وطلبة الأزهر والمدارس جميعاً وطوائف الصناع حيث كان انطلاقها من الأزهر [3].

أرسلت بريطانيا بعد ذلك لجنة تشكلت من جميع الأحزاب البريطانية إلى مصر للتحقيق في الاضطرابات برئاسة وزير المستعمرات "الفردملنر" وقد وصلت لجنة ملنر إلى مصر في ٨كانون الأول ١٩١٩م وما إن وصلت حتى وجدت معارضة شديدة لها.

وفي ٢٨شباط١٩٢٢م جرى اتفاق بين المستعمر البريطاني وبين المسئولين في الوزارة المصرية على تأليف وزارة برئاسة عبد الخالق ثروت شريطة موافقة الحكومة البريطانية على عدة بنود (وينص على إنهاء الحماية عن مصر مع أربع تحفظات وهي:

---

[1] انظر: التاريخ الإسلامي ج١٣، ص١٩، محمود محمد شاكر

[2] انظر: التاريخ الإسلامي ص١٣، ص١٩

[3] انظر: ٥٠ عاماً من ثورة ١٩١٩م ، ص١٩٤ بتصرف. مؤسسة الأهرام، مركز الوثائق والبحوث التاريخية المعاصرة.

١) تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية في مصر.

٢) الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تدخل أجنبي بالذات أو بالواسطة.

٣) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات.

٤) السودان.

أما السلطان "أحمد فؤاد" فقد أصبح ملكاً على مصر)[1]

بعد هذا الاتفاق أصبحت مصر دولة مستقلة ذات سيادة ولكنها مقيدة بشروط.

ويمكن أن نسمي تلك الفترة الزمنية بفترة الملكية أو الاستقلال المقيد، وتبدأ بملك فؤاد وتنتهي بملك فاروق سنة ١٩٥٢م.

(في عهد "فاروق" حدث انقلاب عليه نتيجة سلوكه وتخبطه، ولقد تزعمه ضباط الجيش الناقمون على وضع الحكم والفساد والعبث، حدث ذلك الانقلاب في ٢٣تموز١٩٥٢م حيث تنازل "فاروق" عن الملك وسافر خارج البلاد ومن ثمَّ تم تعيين "محمد نجيب" كأول رئيس للجمهورية المصرية حيث استمرت فترة رئاسته إلى أن قدم استقالته في ١٧نيسان١٩٥٤م واستلم مكانه "جمال عبد الناصر")[2].

في عصر "جمال عبد الناصر" كانت المنطقة تعيش على صفيح ساخن لكثرة التوترات في المنطقة، ومن أهم الأحداث التي وقعت في عهده:

١. تأميم قناة السويس في ١٨ذي الحجة ١٣٧٥هـ — ٢٦تموز١٩٥٦م.

٢. قيام الاتفاق على الوحدة مع سوريا في ١٢رجب ١٣٧٧هـ — ١شباط١٩٥٨م.

٣. حرب اليمن في ٧جمادى الأولى ١٣٨٢هـ — ٥تشرين الأولى ١٩٦١م.

٤. الحرب مع اليهود وقد استمرت سنوات طويلة.

٥. المناداة بالقومية العربية وظهور مبادئها.

---

[1] انظر: التاريخ الإسلامي ٣٥/١٣ بتصرف

[2] انظر: التاريخ الإسلامي ١٢٥/١٣–١٣٠

وهكذا نجد أن الوضع السياسي في مصر في القرن التاسع عشر كان مليئاً بأحداث عظام وتغيّرات في الساحات المحلية والدولية بسبب موقعها الجغرافي وخيراتها الوفيرة.

ذلك الوضع الذي كانت تعيشه مصر كان له أثر مباشر على فكر الشيخ وعلى منهجه أيضًا لاسيما وهو أيضًا كان يعاصر سقوط الخلافة الإسلامية وتكالب دول الكفر والضلال على البلاد الإسلامية.

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية في الغالب تخضع لعوامل ومؤثرات تؤثر سلبًا أو إيجابًا على المجتمعات.

ومن أمثلة تلك المؤثرات الحالة الجغرافية للبلد والحالة الاقتصادية والوضع السياسي وتوجهات الدولة، والوضع الديني وحالة الشعب وتوجهاته.

وموقع مصر الجغرافي يُعد من أهم المواقع وأميزها، فهو يشكل حلقة الوصل بين آسيا وأفريقيا، وهي تشرف كذلك على البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، ويجري فيها نهر النيل العظيم.

بعد افتتاح قناة السويس زادت أهميتها للعالم أجمع، فكانت مطمعاً لكثير من الدول الاستعمارية، وحلماً لكثير من الأجناس لاقتناص فرص العمل بها.

وكانت تمتاز مصر أيضاً بوفرة الموارد الاقتصادية وخاصة في مجال الزراعة إذ تعد الأراضي المصرية من أخصب الأراضي الزراعية. ويُعد القطن المصري من أجود أنواع القطن في العالم فلا يَعجبُ الإنسان إذا كانت غالبية الشعب المصري يعملون في الزراعة سواءً كان القطن أو غيره.

أما طبقة التجار فقد كانت موجودة لكنها لم تكن تشكل قوة مؤثرة في الاقتصاد المصري العام حيث كان يُطلق عليهم من قِبَل بعض الكتاب "الأعيان" فقد كانوا أحسن حالاً من الفلاحين – الذين كانوا يعانون من شدة وتسلط وقهر – وسائر أفراد الشعب، فلقد اقتنوا الأطيان والضياع واستصلحوها وزادت ثرواتهم وراعت الحكومات جانبهم حيث كانوا يخضعون لأوامر الحكومات ويتزلفون إلى الحكام لينالوا رضاهم ويأمنوا على مصالحهم، فكانوا يصلونهم بالهدايا والرشاوي ليكسبوا ودهم ورعايتهم.

وأما طبقة الموظفين فلا يمكن إغفالها، فهي طبقة لا بأس بها في أعدادها خاصة في المدن الكبيرة فقد كانت أحوالهم متأرجحة حيث كان يكثر فيهم

استغلال مناصبهم ووظائفهم للإثراء والمنافع الشخصية، فظهرت الرشاوي والمظالم وهضم حقوق الناس.

إلا أنه ومع مجيء الاحتلال جاء معه عددٌ كبيرٌ من الأجانب ينشدون الإثراء السريع واغتنام فرص العمل والكسب، حيث كان الاحتلال يساعدهم ويقف معهم، فجاءت أجناس كثيرة من الأرمن واليونانيين والإنجليز فامتهنوا التجارة وافتتحوا الشركات وبيوت المال وقاموا كذلك على المهن الفاسدة وبيوت الانحلال والتفسخ والخمور، وهذا الأمر جعل لهم تأثيراً سيئاً في المجتمع المصري وخاصة في المدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية ونحوها.

ومع مرور الوقت ظهرت طبقة الفنانين وصار لهم قيمة عند الناس ومكانة، بل كان كثيراً من الحكام يختصونهم ويغدقون عليهم الأموال الطائلة ويحيطونهم بسياج من التوقير والأبهة كما كان يفعل "الخديوي إسماعيل" وغيره ممن جاء بعده.

وأصبح في خلد الناس أنهم من عِلْيَةَ القوم وأضحوا قدوة لكثير من أفراد المجتمع.

فظهرت الإذاعة والمسارح والسينما والغناء والموسيقى ثم تتابع الشر بعد ذلك حتى وصل المجتمع إلى ما وصل إليه الآن[1].

وأخيراً كانت هناك طبقة العلماء والمنتسبون للأزهر وهذه الطبقة تعرضت لكثير من المضايقات والابتلاءات، حيث كان لهذه الطبقة قيمة عظيمة في نفوس الشعب تنبع تلك القيمة من شرف العلم الذي يحملونه، وكان هذا لا يعجب الحكام.

وهذه الطبقة كان وضعها متأرجحاً ما بين مد وجزر وعلو وانخفاض، ومع ذلك فقد ظل الأزهر هو المنبع الذي يخرّج كثيراً من العلماء والأدباء والشعراء وقادة الفكر، ولقد استمر يمد المدارس والوظائف والمحاكم والصحافة والحياة العامة بكثير من طلابه.

---

[1] انظر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، انظر: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، عبد الرحمن الرافعي، الدار القومية للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٨٦هـ، انظر: عصر إسماعيل. انظر: تطور الحركة الوطنية في مصر، عبد العظيم محمد إبراهيم رمضان، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

المبحث الثالث

الحالـــة العلميـــة

إذا أردنا الكلام عن الحالة العلمية في زمن الشيخ/ حامد ، فيحســـن بنـــا أن نتطرق أولاً إلى الكلام عن الجامع الأزهر وأثره في المجتمع، وكذلك عن التعليم العـــام ثانياً وأثر الاستعمار في تحويره وتشويهه.

فالأزهر له مواقفه البطولية إزاء الأوضـــاع العامـــة للدولـــة المصـــرية قـــديماً وحديثاً، أضف إلى ذلك أنه كان يمتاز على أقرانه من الجامعات الـــتي ســـبقته بميـــزة مهمة حيث كانت الدراسة في أروقته على نظامٍ أكاديمي يعتمـــد علـــى الموضـــوعية والمنهجية في التدريس والتعليم، وبطريقة منظمة ومنتظمة.

لقد كان الأزهر حلقة الربط بين الحكام والسلاطين من جهة وبـــين الشـــعب من جهة أخرى، ومن أجل هذا كانت مكانته محفوظة عند الحكام والمحكومين.

كان يقف الأزهر أمام المعتدين والظلمة ويردعهم عن كـــثير مـــن تمـــاديهم وظلمهم، ويشهد على هذا الكثير من الحوادث التي تبين قوة وأثر الجامع الأزهـــر في الوقوف أمام الأحداث العظيمة والأيام العصيبة.

فلقد وقف علماء الأزهر أمام المماليك وظلمهم أيام حكم "إبـــراهيم بـــك" "ومراد بك" وردعوهم عن ظلمهم حيث كان على رأس علماء الأزهـــر "الشـــيخ/ عبد الله الشرقاوي" — رحمه الله — وأما أيام الحملة الفرنسية فلقـــد كـــان نـــابليون يعرف مكانة علماء الأزهر وتأثيرهم على الشعب، فعمل لهم ديواناً يُشـــرف علـــى شئون القاهرة وحكمها يتكون من عشرة علماء، على رأسهم شيخ الأزهر "الشـــيخ/ عبد الله الشرقاوي".

أما أيام العهد العثماني فلقد برز دور الأزهر كقوةٍ سياسية عندما عزلـــوا والي مصر المعيّن من قبل السلطان العثماني وعينوا بدلاً منه "محمد علي" ليكون والياً علـــى مصر بشرط أن يكون عادلاً.

وفي القرن الماضي عندما حدثت ثورة ١٩١٩م في مصر، كان مبدؤها من الأزهر حيث كانت ثورة الأزهر القوية يوم ١٠/٩ مارس ١٩١٩م وقوداً ألهب كل الفئات في الشعب المصري ليثوروا في وجوه الإنجليز.

وهكذا نجد أن الأزهر كانت له قيمته العظيمة في نفوس الناس وتوجيه طاقاتهم وعواطفهم من قديم الزمان.

ولقد كان يسعى كثيرٌ من الحكام إلى استمالة الأزهر وعلمائه في صفه أو إلى مسايسته إن صحة العبارة، وإما أن يتسلطوا عليه وعلى علمائه تسلطاً يمنعهم من أي نشاط أو وقوف أو اعتراض كما فعل "محمد علي باشا" معهم. فعلى الرغم من أن الأزهر وقف معه حتى ألبسه خلعة الحكم، إلا أنه تنكر لهم وصادر أوقافهم وأموالهم وعمل على كبح نشاطهم خوفاً منهم ومن تأثيرهم على الشعب.

كان لهذا العمل الذي قام به "محمد علي باشا" أثره السلبي على الأزهر (فلقد لبث الأزهر زهاء نصف قرنٍ في حالة عزلة وركود بعيداً عن مجاراة التيارات الثقافية الجديدة التي اتجهت إليها مصر وانكمش نفوذه القديم انكماشاً ظاهراً)[1].

(خلال تلك الفترة نستطيع أن نقول إنه قد أصاب الجمود العلوم في الجامع الأزهر وسائر المعاهد العلمية فأهُمل تدريس العلوم الحديثة بالجامع الأزهر وأصبح منصباً على العلوم الدينية واللغوية)[2]

حتى أنه (كان كثير من علماء الأزهر يرون أن العلوم العصرية حتى الحساب والتاريخ مضلة للأمة صادة عن سبيل الحق مسجلة عليهم الحرمان من السعادة، وإن السعادتين الدنيوية والأخروية اللتين حث عليهما الإسلام لا تنالان إلا بدراسة هذه الكتب المطولة في النحو واللغة).[3]

[1] انظر: تاريخ الجامع الأزهر ص٢٣١، محمد عبد الله عنان، ١٣٧٨هـ، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

[2] انظر: التاريخ الثقافي للتعليم في مصر ص١٣، د/ حسن فقي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧١م.

[3] انظر: مجلة المنار ٨٢٢/١

إذا لقد كان الأزهر يراوح بين فترات جمود وخمول وبين فترات نشاط ودعوات إصلاحية يقوم عليها بعض العلماء الأزهريين وكان هذا الأمر بين مدٍ وجزر كسنن الله في الكون.

ظلت حالة الركود الفكري والجمود مستمرة بالأزهر حتى جاءت بعض الدعوات التي تنادي بالإصلاح في الأزهر، حيث كان لها أثرٌ في تحسين حالته، وفي مقدمة تلك الدعوات دعوة "جمال الدين الأفغاني"[1] وتلميذه "محمد عبده"، وكذلك بعض الطلاب الذين سافروا في بعثات خارجية. ولكن لابد أن نكون حذرين عند حديثنا عن إصلاح الأزهر.

فما هو الإصلاح المنشود الذي قامت به تلك الدعوات الإصلاحية؟

هذا الأمر أضحى معتركاً ضيقاً اختلطت فيه الأمور فلم يعد يُميز فيه بين الحق والباطل والمصيب والمخطئ.

(لا يشك عاقل في أن الأزهر كان بحاجة إلى إصلاح شامل ولكن المتأمل لحركة الإصلاح الأزهري يرى بوضوح أن غالب من نادى بالإصلاح كان متأثراً بالحضارة الغربية ومشدوهاً بها، وعلى رأس هؤلاء "رفاعة الطهطاوي" و"جمال الدين الأفغاني" "ومحمد عبده" وغيرهم).[2]

حقيقة لقد كان الأزهر يحتاج إلى إصلاحات وتجديدات داخلية تواكب نظم التعليم الحديثة لكن بشرط ألا تجني على رسالته الحقيقية والأساسية ألا وهي القيام على العلوم الإسلامية والآداب العربية.[3]

---

[1] لا يخفى على الجميع منهج الأفغاني ومحمد عبده وما فيه من مخالفات، وليس هذا مكان البسط فيه: انظر: موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، شفيق بن عبد الله شقير.

[2] انظر: الانحرافات العقدية ١٩/٢ ، علي بن بخيت الزهراني، دار طيبة، ط٢، ١٤١٨هـ.

[3] راجع الأزهر في ألف عام ص٨٧، د/ أحمد محمد عوف، مطابع الأزهر، ١٤٠٢هـ، مصر.

وقد عاصر الشيخ/ الفقي – رحمه الله – خلال دراسته بالأزهر عدداً من الشيوخ الذين تعاقبوا على مشيخة الأزهر ويأتي في مقدمتهم:

١) "الشيخ/ سليم البشري" حيث كانت فترة رئاسته فترتان: الأولى ١٩٠٠-١٩٠٤. والثانية في عام ١٩٠٩م

٢) الشيخ/ علي البيلاوي (١٩٠٤م)

٣) الشيخ/ عبد الرحمن الشربيني (١٩٠٧م)

٤) الشيخ/ حسونه النواوي (١٩٠٩م)

٥) الشيخ/ عبد الرحمن النواوي (١٩٠٩م)

٦) الشيخ/ أبو الفضل الجيزاوي (١٩١٧م)

ولقد صدرت عدة قوانين إصلاحية تهدف إلى الرفع من المستوى العام للأزهر، ومن أهم تلك القوانين التي صدرت وكانت مصاحبة لزمن التحاق الشيخ بالأزهر ما يلي:

١. قانون صدر عام ١٨٩٥م، أدخل في الأزهر عدداً من العلوم لم تكن تدرس، كمصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقوافي والتاريخ الإسلامي ومبادئ الهندسة.وأصبحت مدة الدراسة ١٢عاماً. جُعلت فترتان؛ الأولى مدتها ثمان سنوات يعطى الخريج بعدها شهادة الأهلية، وبعدها الثانية حيث يقضي الطالب أربع سنوات يمنح بعدها العالمية.

٢. قانون عام ١٨٩٩م.

تشكلت لجنة برئاسة الشيخ/ سليم البشري للعمل على إصلاح الأزهر وأهم ما يتميز به هذا القانون أنه نظّم العطلات الدراسية بالأزهر ومواعيد الدراسة به، فكانت تبدأ الدراسة من ١٠شوال من كل عام وتنتهي في النصف من شعبان وكان الطلبة يتعطلون لمدة شهرين.

وبيّن هذا القانون أن الدراسة على ثلاث مراحل، كل مرحلة مدها خمس سنوات دراسية، كما حدد القانون الإجازات وبَيّنِّ أن شهادة (الأهلية تؤهل لتخريج أئمةً وخطباء للمساجد، وأن الطالب يمتحن أمام لجنة مكونة من ثلاثة علماء برئاسة شيخ الأزهر وتمنح له الشهادة بعد أن قضى فيها ثماني سنوات مواظباً على العلم.

٣. قانون عام ١٩٠٨م

يتميز هذا القانون بأنه جعل الامتحان إجبارياً في المراحل الثلاث التي بينها قانون عام ١٨٩٩م، وقد دعت الحاجة إليه حتى لا تطغى مدرسة القضاء الشرعي التي أنشئت عام ١٩٠٧ – على خريجي الأزهر ويُسلب منهم الحق في التعيين كقضاة شرعيين.

وهذا القانون قد قّصرَ مدة الدراسة بالأزهر على اثني عشر عاماً وبين أن الدراسة ثلاث مراحل كل مرحلة أربع سنوات.

٤. قانون عام ١٩١١م

صدر في عهد "الشيخ/ سليم البشري" في مشيخته الثانية وفيه أصبحت الدراسة لمدة ١٥ عاماً، وبيّن أن المرحلة الابتدائية والثانوية يدرس بها العلوم العقلية مع العلوم الدينية، أما المرحلة العالية فيدرس بها العلوم الدينية، كما أُنشئ تبعاً لهذا القانون هيئة كبار العلماء التي عليها مهمة تدريس العلوم الدينية بالقسم العالمي.[1]

أخيراً لابد من الإشارة إلى أمر مهم في حياة المجتمع المصري، ألا وهو أن الأزهر كانت له قيمته العظيمة في نفوس الناس (لقد كان الانتساب إلى الأزهر شرفاً تتسابق إليه الأسر المصرية... وكانت الأسرة التي تحوي ضمن أفرادها "عالماً" أي واحداً من خريجي الأزهر تصبح محط الأنظار سواء في العاصمة أو في

[1] انظر: الأزهر في ألف عام ، د/ أحمد محمد عوف ، ص٨٧-٩٣. انظر: تاريخ الأزهر في ألف عام ، سنية قراعة ، ص٢٧٩/٤٠١.

الأقاليم، وينظر إليها الناس بالتبجيل والإكبار، لأن العلم في حس الناس هو علم الدين وبصرف النظر عما كان في الأزهر من تخلف في المنهج الإسلامي الصحيح من الجمع بين علوم الدين والدنيا.. فقد كان مرتبطاً في حس الناس بالإسلام وكان رمزاً حياً له في ضمائرهم. ولكن هؤلاء الأفراد القلائل من خريجي الأزهر من الأسر العريقة والثرية لم يكونوا لينفوا عنه الصورة العامة التي صار إليها الأزهر)[1].

أما عن التعليم العام الذي كانت تشرف عليه الدولة في مصر خاصة أيام الاحتلال البريطاني فقد تولى الإشراف على وزارة المعارف المصرية قس يسمى "دنلوب" بتكليف من كرومر المندوب السامي لإنجلترا في مصر.

جاء دنلوب ليضرب الأزهر ليس كما فعل نابليون بطريقته الهمجية ، ولكن بطريقة جديدة وماكرة، فلقد ترك الأزهر على ما هو عليه و لم يتعرض له على الإطلاق، وأشار بفتح مدارس جديدة تُعلِّم العلوم الدنيوية ولا تعلم الدين إلا تعليماً هامشياً، وهذا جزء من خطة تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم، بدايةً أعرض كثير من المصريين بدعوى أنها مدارس كفر لأنها لا تعلم القرآن، ولكن مدارس الكفر هذه أصبحت – بتدبير دنلوب – هي الوسيلة للرزق من ناحية وللمكانة الاجتماعية من ناحية أخرى.

لقد كان المتخرج من هذه المدارس – بعد أربع سنوات فقط من الدراسة – يعيّن فور تخرجه في دواوين الحكومة براتب مجزٍ ، بخلاف خريج الأزهر الذي يقضي في الدراسة عشرين سنة من عمره في بعض الأحيان فلا يجد عملاً وإن وجد فراتبه قليل لا يقارن بأولئك.

ومن جهة أخرى تم افتتاح عدة جامعات علمانية الهدف منها ضرب الأزهر أمثال جامعة فؤاد الأول ١٩٠٨م. والجامعة الأمريكية عام ١٩١٩م وغيرها فأردوا أن يبعدوا الناس عن الأزهر بأي طريقة وجُدت. فأفرزت تلك المحاولات ما يلي:

---

[1] انظر: واقعنا المعاصر ص٢١٧-٢١٧ بتصرف. محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١. ظهور التيار العلماني بشكل قوي ومؤثر حيث ظهر الفصل بين الدين والواقع الملموس وأصبحت الحياة تسير وفق أفكار بعيدة كل البعد عن روح الدين وطريق الإسلام.

٢. أصبحت العقيدة لا تشكل أهمية قصوى للأفراد فالولاء ليس للعقيدة ولا للدين إنما هو لما تمليه عليه الرغبات والشهوات ولو كان مخالفاً لدين الله.

٣. الخواء الداخلي الأخلاقي والروحي، حيث فسدت الأخلاق وساء السلوك وتحطمت كثيرٌ من الروابط الإيمانية والإسلامية، واستمرأ الناس المنكرات والفتن.

٤. ظهر جيل مفكك لا هدف له ولا رسالة له، أكبر همه إرضاء غرائزه وشهواته وملاذه.

إلا أنه لا ينبغي أن تكون نظرتنا مجحفةً إلى حد بعيد، فقد ظهر من خلال تلك الجامعات نماذج حملت همَّ الدين وتحملت وكابدت مع أن تخصصاتهم علمية بحتة ونظرية صرفةً. فظهر الشباب المسلم المضحي والمتفاني وما زالت مصر إلى الآن تنتج الكثير والكثير ممن يحمل همَّ الإسلام ويعمل لنصرته وخيب الله مخططات أهل الباطل، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

المبحث الرابع

أهم مظاهر الشرك والبدع والخرافات التي انتشرت في زمن الشيخ

إن الذي يدرس تلك الفترة التي عاصرها الشيخ يجد أنها قد امتلأت بكثير من المخالفات الشرعية والأعمال الشركية والعبادات البدعية، وهذا لم يكن مقتصراً على مصر فقط، بل كانت هذه السمة ظاهرة في أغلب العالم الإسلامي.

فقد ظهرت في مصر كثيراً من مظاهر الشرك والبدع والخرافات والتي أدت بدورها إلى انحرافات عظيمة في أنواع التوحيد الثلاثة، وانتشار الجهل وتبدل الحقائق والثوابت والمعتقدات، وشيدت القباب على الأضرحة وأنشئت المساجد على القبور وأقيمت المزارات والمشاهد؛ فقصدها القريب والبعيد والعلماء والجهال والكبار والصغار – إلا من رحم الله – يطوفون بساحاتها ويلثمون أعتابها وينذرون لها ويذبحون وغير ذلك من البلاء.

ولقد تجلت أهم مظاهر الشرك والبدع والخرافات في التالي:

أولاً:

أ. بناء المساجد والقباب والمشاهد على الأضرحة والقبور.

على الرغم من النصوص الشرعية التي وردت في النهي عن بناء المساجد على القبور وعن النهي عن الصلاة فيها إلا أن كثيراً من الناس في ذلك الزمن لم يلتفتوا إلى تلك ا لنصوص أو يحاول العمل بها، بل أقبل الكثير إلى تشييد القباب وبناء الأضرحة وإقامة المشاهد والمزارات، وكأن الشرع الكريم أمر بذلك وحث عليه.

ومن أشهر الأضرحة الموجودة في مصر:

- ضريح الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه الذي يقع في الاسكندرية، مع العلم أنه توفي في دمشق ودفن فيها.

- ضريح الصحابي الجليل الحسين بن علي رضي الله عنهما، مع أن جسده دفن في كربلاء ورأسه بالمدينة المنورة.
- ضريح السيدة سكينة، والسيدة نفيسة، والسيدة زينب، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث بن سعد، وضريح البدوي، وضريح المرسي أبو العباس والرفاعي والدسوقي والبيومي والإمبابي ... علما أن الأضرحة في مصر تزيد على الألف بخلاف غير المشهور.

ب. الاستغاثة والاستعانة بأصحاب الأضرحة في الشدائد والأزمات ودعاؤهم من دون الله عز وجل.

وهذا كان منتشراً جدا، فقد كان كثير من الناس إذا حاقت بهم المصائب والشدائد فزعوا إلى تلك الأضرحة يستجدون من أصحابها النفع وكشف الضر وتفريج الهم والغم، بل لقد وصل الأمر إلى أن البلاد إذا دهمها عدو أو خطب جسيم هرع الناس إلى تلك القبور يلوذون بها ويستغيثون بجنابهم.

ج. الذبح والنذر للأضرحة.

لم يكتف القبوريون بالدعاء، لتلك الأضرحة والاستغاثة بها من دون الله والسجود لها والطواف حولها، بل سارعوا إلى ذبح القرابين في ساحاتها تقربًا إلى أربابها ودفعًا للشر والأذى بزعمهم، تمامًا كالذي كان يفعله عباد الأصنام في جاهليتهم عند أصنامهم.

د. الاستشفاء وطلب البرء من الأضرحة.

لم يحفل الناس في القرون المتأخرة بشؤون الصحة وتعلم الطب وعلاج الأمراض كما ينبغي، ومع توالي القرون وعزوف المسلمين عن الطب لجأ الناس إلى الأضرحة يستشفون بأصحابها ويطلبون معافاة المرضى منهم

وعلاج ذوي العاهات فيهم، فابتعدوا عن الطب الذي يقوم على اتخاذ الأسباب وأوغلوا في الانحدار في هاوية الدجل والخرافة والشرك.

هـ. الاعتصام بالأضرحة.

لقد كانت تلك الأضرحة الوثنية حرمًا آمنًا يهرع إليها المجرمون والفارون، ويلجأ إليها الخائفون ليأمنوا في رحابها ويستريحوا في ظلالها ولم يكن يجرؤ أحد من الحكام في ذلك الزمن أن ينتهك حرمة ضريح لاذ به مجرم أو عاذبه فار فيلقي عليه القبض مهما كان جرمه ومهما بلغت جنايته، وكثيرا ما عفي عن اللائذين بالأضرحة من المجرمين إكرامًا للمدفونين فيها وخشية ورهبة من انتقامهم وبأسهم.

و. الشرك الأكبر من خلال ما يسمى بالمدائح النبوية.

انتشر بين الناس ما يسمى بالمدائح النبوية، وتسابق الشعراء والعلماء في ذلك المضمار، واعتقد كثير منهم أن هذه المدائح سبب لزوال الأهوال وكشف الكروب وأنها تكفي وحدها في نجاة قائلها يوم القيامة، وفي نيل صاحبها لشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنها شفاء للأسقام إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة.

ز. الشرك بالأحياء والغلو فيهم.

لم يكتف أصل البدع والضلالة بالعكوف على قبور الموتى وأضرحتهم وإنما عمدوا إلى كثير من الأشخاص الأحياء ممن نظروا إليهم بمنظور الولاية المنحرف فأحاطوهم بهالات التقديس ورفعوهم فوق مرتبتهم البشرية وصرفوا كثيراً من العبادات وأشركوا بهم من دون الله تعالى.

ح. الحلف بغير الله عز وجل.

لقد اعتاد كثير من الناس أن يحلفوا بغير الله عز وجل من المخلوقين، وكان حلفهم ينبعث في الغالب من تعظيم المحلوف به وخوفهم ورهبتهم منه، واعتقادهم في نفعه وضره. وما أسهل أن يحلف الإنسان منهم بالله كاذبًا عامداً متعمداً ولكنه لا يجرؤ أبداً أن يحلف بما عظمه من المخلوقين إلا صادقًا.

والحلف بصحيح البخاري كذلك كان عند كثير منهم يفوق الحلف بالقرآن العظيم حتى إن الواحد منهم يحلف بالله أو بالقرآن كاذبًا ولا يجترئ أن يحلف بصحيح البخاري كاذبًا.

كذلك كان الحلف منتشراً بالرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى أنه لا يكاد يفارق الألسنة إلا نادراً.

ثانيًا: انتشار البدع.

انتشرت البدع في ذلك الوقت انتشاراً ذريعًا، وأصبحت حياة أكثر المسلمين ممزوجة بها، فقلما كانت تخلو منها عبادة أو عمل أو شأن من شؤون الحياة.

فبدءاً بالعبادات التي داخلتها ألوان البدع والمحدثات مع إماتت كثير من السنن والمندوبات إلى ما وقع من البدع في الجنائز والمآتم والأعراس وفي أغلب شؤون الحياة، أضف إلى ذلك بدع أرباب الطرق الصوفية وغيرهم ،ومن أشهر تلك البدع:.

أ. بدعة المولد النبوي:

لقد استشرى هذا الأمر حتى إنه لم يكن هناك في الغالب بلد أو مدينة إلا وأقيمت فيها شعائر الاحتفال بالمولد النبوي، وكان هذا يعد من أجل القربات إلى الله ومن أبرز العلامات على صدق محبة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان يشترك في ذلك الكبار والصغار، والسلاطين والامراء وعامة الناس وأضحت الاحتفالات بالمولد النبوي سمة بارزة في جميع الأمصار والاقطار واستمرئ الناس المنكرات والمحرمات التي تدار فيها باسم الدين.

ب. الاحتفالات بالموالد الأخرى:

إن من عادة أرباب البدع أن لا يحدثوا بدعة حتى يسارعوا إلى إحداث غيرها، وهذا ما يشهد به التاريخ، ومن ذلك إحداث الموالد الأخرى.

ففي بداية الأمر كان يقتصر على الاحتفال بالمولد النبوي، ثم تعدى ذلك إلى الاحتفال بموالد بعض الأنبياء ثم تعدى إلى موالد كثير من الأولياء والصالحين ثم وصل الأمر إلى الاحتفال بموالد بعض المعتوهين والمجذوبين بل والمحسوبين على الإسلام.

ج. بدعة المحمل:

المحمل اسم لشبه هودج من خشب تحيط به ستائر محمول على جمل، وكان يحمل عليه كسوة الكعبة، وقيل أن بدايته كانت في زمن الدولة الأيوبية.

وكانت بدعة المحمل راسخة في النفوس ومرتبطة أشد الارتباط بفريضة الحج، بل لقد كانت هذه البدعة عند الكثيرين تفوق مناسك الحج ومشاعره، وليس أدل على ذلك من امتناع الركب الشامي والمصري عن الحج حين أبطل أهل الدعوة في الجزيرة هذه البدعة؛ بعد استيلائهم على مكة وإبطالهم كثيرًا من البدع وعلى رأسها بدعة المحمل هذه.

د. بدع أخرى:

لقد كان هناك بدع كثيرة من أشهرها :.

- بدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين من رجب.
- بدعة الاحتفال بإحياء ليلة النصف من شعبان.
- بدعة الاحتفال بيوم عاشوراء وما فيه من عبادات مستحدثة.
- بالإضافة إلى كثير من البدع المصاحبة للعبادات الأصلية سواء ما كان ذلك مصاحبًا للصلوات أو المآتم أو الأعياد أوغير ذلك.

ثالثًا: انتشار الخرافات:

لقد فشت الخرافات والأساطير في جموع المسلمين بشكل كبير، وأضحت كحقائق مسلمة لا تقبل النقاش مطلقًا، بل غدت عند الكثيرين أموراً مقدسة لا يجوز التهاون بها فضلاً عن التشكيك في صحتها، وكان من السهل أن يقوم دجال من الدجالين فيبتكر من عند نفسه خرافة أو ينسج أسطورة فما أن يعلنها بين الناس حتى يهرع إليه الكثيرون مصدقين ومتعجبين، لا يفكرون في التثبت أبداً، ثم يكسب هو من وراء ذلك مكاسب ماديةً ومعنويةً نتيجة لغفلة الناس وسذاجتهم وجهلهم.[1]

[1] انظر: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، علي بن بخيت الزهراني ١/٢٧٠ – ٤٣٥.

الفصل الثاني

نشأته وحياته

وفيه عشرة مباحث

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده وكنيته

المبحث الثاني: نشأته

المبحث الثالث: طلبه للعلم

المبحث الرابع: شيوخه

المبحث الخامس: طلابه

المبحث السادس: أقرانه

المبحث السابع: أخلاقه

المبحث الثامن: تعرضه للإيذاء ومحاولة الاغتيال

المبحث التاسع: وفاته

المبحث العاشر: رثاء الشيخ

المبحث الأول

اسمه ونسبه ومولده وكنيته

اسمه : محمد حامد الفِقي ، وهو اسم مركب والفِقي تُنطق بكسر الفاء ، ووالده هو الشيخ سيد أحمد عبده الفِقي كان زميلاً في الدراسة بالأزهر للأستاذ الشيخ/ محمد عبده وكان يساكنه في بيت واحد.

ولد رحمه الله بقرية نكلا العنب – التي تبعد حوالي ١٢٨كم عن القناطر الخيرية – في سنة ١٣١٠هـ وكان وهو صغير قد نقش هذا التاريخ على ذراعه الأيسر بالوشم[1] ، (١٨٩٢/٣/٢٥م).

وأما كنيته فقد كانت أبو طاهر. وكان كثيراً ما يستخدمها في مقالاته ورسائله وشروحاته وكان يقول (قال أبو طاهر...) إلا أنه ترك كتابتها بعدما توفي ولده.[2]

---

[1] الوشم: من الأمور المحرمة في الإسلام حيث لعن رسول الله الواشمة والمستوشمة ، لكن فعله هذا تم وهو صغير لم يعرف حرمة هذا الفعل.

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي عدد شهر رجب وشعبان ١٣٧٨هـ، ص٦٩. وكذلك جريدة المساء بتاريخ ١٩٦٢/١/١٨م ، وكذلك الموسوعة الميسرة ١٨٦/١، وكذلك نور من القرآن ص٤-٥ ، وكذلك جماعة أنصار السنة نشأتها .. ص٢٠، وكذلك معجم المؤلفين ٢٠٧/٣.

المبحث الثاني

نشأته

ولد رحمه الله من أبوين كريمين. فوالده الشيخ/ سيد أحمد عبده الفقي ، درس بالأزهر إلا أنه لم يتم الدراسة فيه لظروف اضطرته إلى تركها بعد أن قطع شوطاً بعيداً، ومع ذلك لم ينقطع عن الدراسة بالقرية فدرس فيها تفسير القرآن وأحاديث البخاري.

وأما والدته فكانت السيدة الوحيدة في القرية التي تحفظ القرآن الكريم وتجيد القراءة والكتابة.

بين هذين الوالدين نما وترعرع وحفظ القرآن الكريم حيث أتم حفظه في شهر رمضان سنة ١٣٢٢هـ. إذ كانت سنه وقتذاك اثنى عشر عاماً.

ولقد كان والده – رحمه الله – أثناء تحفيظه القرآن يوضح له معاني الكلمات الغريبة، ويعلمه مبادئ الفقه مما جاء بالآيات القرآنية، كما كان يعلمه المواقف وأسبابها، والغن والمد وغيرهما من علم الترتيل، حتى إذا أتم حفظ القرآن كان ملماً إلماماً خفيفاً بعلومه ومهيئًا في الوقت ذاته لتلقي العلوم بالأزهر على الطريقة التي كانت متبعة وقتذاك[1].

وجديراً بالذكر أن نشير إلى أن الفقي – رحمه الله – عاش وترعرع في نكلا العنب التي تقع في منطقة البحيرة، هذه المنطقة لها تاريخ مميز في الحركة العلمية والدعوية في مصر، إذ أنها أفرزت كثيراً من العلماء والدعاة والمصلحين على رأسهم الشيخ/ محمد عبده، والشيخ/ حسن البنا، والدكتور/ محمد عبد الله ماضي، والشيخ/ عبد العزيز عيسى، والشيخ/ محمد الغزالي وغيرهم.

---

[1] مجلة الهدي النبوي مجلد ٢٣ ، عدد "٧،٨" ، ص٢٩٨ . انظر: جماعة أنصار السنة، نشأتها، أهدافها، رجالها، ص٢٠، دار أم القرى للطباعة، القاهرة.

فلا نعجب أن ينتشر بين أهالي تلك المنطقة حب العلـــم وأهلـــه، فيتســـابق الناس إلى تعليم أبنائهم الدين وإلحاقهم بالأزهر، حيث نما هـــذا الشـــعور في ســـائر القرى في المنطقة.

من جهة أخرى كانت تلك المنطقة منطقة ريفية بعيدة عن ملـــهيات المدينـــة وزخمها، فكانت بيئة صالحة تربى فيها الشيخ/ حامد – رحمه الله – ونشأ بها ســـليم الفطرة صافي الفكر.

وقد كان والده يحرص على تنشئة أبنائه نشأةً إسلامية صحيحة حيـــث هيـــأ الأبناء الأربعة عنده في قريته بحفظ القرآن، وبعض مبادئ العلم ثم بعـــد ذلـــك قـــام بتوزيعهم في الأزهر على أروقة المذاهب الأربعة بحيث يتخرج كل ولـــدٍ مـــن أولاده عالماً بمذهب من المذاهب، وبهذه الطريقة يستطيع أن يخدم دينـــه في شـــتى المـــدارس بعيداً عن التعصب المذموم الذي كان في تلك الأزمنة [1].

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد "٧،٨" ، ص٢٩٩.

المبحث الثالث

طلـــبه العـــلم

بعد أن أتم الشيخ – رحمه الله – حفظ القرآن واستفاد ما استفاد من والـــده، أرسله والده للدراسة بالأزهر على عادة الناس في ذلك الوقت، يقول أخـــوه شـــيبة الحمد الفِقي (.. كان والدنا رحمه الله قد قســـم أولاده علـــى المـــذاهب الأربعـــة ليدرس كل واحد منهم مذهباً منها.

فجعل الابن الأكبر "الشيخ/ عبد الرازق الفِقي" مالكياً، وجعل ابنـــه الثـــاني الشيخ/ محمد نعمان الفِقي حنفياً، وجعل ابنه الثالث كاتب هذه الســـطور شـــافعياً، وجعل ابنه الرابع وهو الشيخ/ محمد حامد الفِقي حنبلياً.

وكان المسئول الأول عن تنفيذ هذا البرنامج الابن الأكـــبر. وعنـــدما جـــاء الشيخ/ حامد، أراد الشيخ/ عبد الرازق أن ينفذ له توزيع والده ليدرس حنبلياً فوجـــد عقبةً في طريقه ، وكانت تلك العقبة أمراً عجيباً وذلك أن رواق الحنابلـــة بـــالأزهر وقتذاك كان يقيم فيه نحو ثلاثين طالباً فقط وعالمين اثنين، فلما قدم الشـــيخ/ حامـــد في رواق الحنابلة قال شيخه – ولأنه حريصاً على دنياه – إنكـــم تريـــدون إدخالـــه برواق الحنابلة ليأخذ جرايةً من الرواق فيقلُّ نصيب كل واحدٍ منا. وكانت النتيجـــة أنه أبى على الشاب حامد أن يُقيد برواق الحنابلة وأن يدرس مذهب الإمـــام أحمـــد ابن حنبل، وما كان هذا الشيخ يدري أن هذا الشاب ســـيكون إمامـــاً مـــن أئمـــة الحنابلة فانتسب حنفياً. وقيد في الدفاتر حنفياً).[1]

وهكذا نجد أن الشيخ – رحمه الله – بدأ طلبه العلم في الأزهر علـــى كتـــب المذهب الحنفي ،ونريد أن نتعرف على طريقة الدراسة بالأزهر في ذلك الوقت ومـــا هي المدة التي كان يمكثهـــا الطالـــب ومـــا الكتـــب والطريقـــة المتبعـــة آنـــذاك؟.

---

[1] مجلة الهدي النبوي مجلد ٢٣ عدد "٧،٨" ، ص٢٩٩ .

الدراسة بالأزهر:

بدأ الشيخ دراسته بالأزهر في شهر شوال سنة ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م.

وكان الطلبةُ الصغار وقتئذ يبدءون دراستهم في الأزهر بعلمين اثنين هما علم الفقه وعلم النحو، وكانت الدراسة المقررة كتباً لا سنوات. فيبدأ الطالب الحنفي في الفقه بدراسة مراقي الفلاح، ويبدأ في النحو بكتاب الكفراوي، وهذان الكتابان هما السنة الأولى الدراسية ولا ينتقل منهما حتى يتقن فهمهما.

فإذا أتمهما انتقل منهما إلى كتاب الشيخ/ خالد في النحو، وكتاب مُنلا مسكين في الفقه، وهكذا لا ينتقل من كتاب حتى يتم دراسته فهماً وتحصيلاً فينتقل إلى ما هو أرقى، ولقد كان الطلبة يختارون أساتذهم فحين يحضر الطالب إلى الأزهر يجد المشايخ يدرسون الكتب المختلفة في النحو والفقه على المذاهب الأربعة فيحضر الطالب دروسه على شيخ فإذا أُعجب به بقي عنده، وإذا لم يفهم منه تركه وانتقل إلى آخر وهكذا حتى يستقر في دراسته على شيخ.

وكثيراً ما كان الطالب بعد هذا الاستقرار يستمر في دراسته على شيخه الذي اختاره حتى يقطع معه مرحلة طويلة من الدراسة ومرحلة من الزمن أيضاً، وحتى يتم دراسته في العلم – الذي بدأه – بدراسة أكبر كتاب في هذا العلم، فكان آخر كتاب في النحو الأشموني وكان آخر كتاب في الفقه حسب المذاهب فعند الحنابلة الدليل، وعند الشافعية التحرير، وعند الحنفية الهداية، وعند المالكية الخرشي.

أما بقية العلوم الأخرى كالمنطق وعلم الكلام والمعاني والبديع وعلم أصول الفقه فكان الطالب لا يبدأ في شيء منها إلا بعد ثلاث سنوات، حيث كان يدرس المنطق أو علم الكلام الذي كانوا يسمونه التوحيد.

وكان للطالب بعد أن يقضي في الأزهر اثنى عشر عاماً في الدراسة الحق في دخول امتحان شهادة العالمية، فإذا دخل ونجح كان بها وأصبح مدرساً بالأزهر

أما إذا لم ينجح فإنه يظل يدخل الامتحان مرات متعددة حتى ينجح وإلا يبقى طالباً في الأزهر ولو قضى فيه حياته كلها مهما كانت هذه الحياة طويلة.

وكثيراً ما كان في الأزهر طلبة قضى بعضهم عشرين عاماً أو خمسةً وعشرين أو ثلاثين وربما أكثر.

وكان الطالب الذي يدخل امتحان العالمية وينجح من أول مرة نادراً جداً والغالبية العظمى لا يكون النجاح حليفهم إلا بعد مرات متعددة.[1]

لقد كان لنظام التعليم هذا أثره العظيم في إخراج كوكبة من العلماء والمصلحين، كانوا أشبه ما يكون بسلف هذه الأمة من حيث طريقة التعليم، وطلب العلم وكذلك في تضحياتهم وبذلهم وعطائهم.

ولقد كان عمر الشيخ/ محمد حامد الفقي – رحمه الله – حين التحق بالأزهر اثني عشر عاماً، فبدأ دراسته في النحو بكتاب الكفراوي، وفي الفقه بكتاب مراقي الفلاح وأتمهما في سنته الأولى، ثم في سنته الثانية درس كتابي الشيخ/ خالد في النحو وكتاب مُنلا مسكين في الفقه، ثم بدأ في العلوم الإضافية بالسنة الثالثة فدرس علم المنطق. وفي السنة الرابعة درس علم التوحيد، ثم درس في الخامسة النحو والفقه، وعلم الصرف، وفي السادسة درس علم البلاغة.

وفي سنة ١٩١٠م بدأ دراسة الحديث والتفسير وكان سنّه وقتئذ ثمانية عشر عاماً فتفتح بصره وبصيرته بهدى رسول الله ﷺ وانبعث فيه روح السنة المحمدية[2].

واستمر في دراسته في الأزهر على المذهب الحنفي، حيث تلقى العلم من عددٍ كبير من علماء الأزهر ومدرسيه على الطريقة النظامية المتبعة في ذلك الوقت (وتخرج – رحمه الله – في سنة ١٩١٧م حيث نال الشهادة العالمية وعمره ٢٥ عاماً فقط وانطلق بدعوته إلى التوحيد الخالص والدفاع عن السنة)[3]

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ٢٣ ، عدد "٧،٨" ص٢٩٩ .

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ٢٣ عدد "٧،٨" ص٣٠٠ .

[3] انظر: مجلة التوحيد العدد الثالث ١٤١٦هـ ص٥٥ ، انظر: الموسوعة الميسره ٢/ ص١٨٦ ، انظر: جماعة أنصار السنة ص٢١.

حادثة أثرت في حياة الشيخ:

كثير من العلماء والمصلحين تحدث في حياهم مواقف وأحداث تكون سبباً لتوجيهه وجهة معينة، أو بسببها يسلك طريقاً يرتضيها له منهجاً، وهذا ما حدث للشيخ/ الفقي – رحمه الله – فقد وقع له حادثٌ مؤثرٌ أثر فيه تأثيراً عظيماً أذكى فيه روح السلف، وقاده إلى التوحيد الصحيح الذي كان عليه سلف هذه الأمة "يقول الشيخ/ حماد الأنصاري – رحمه الله – (..سألت الشيخ/ حامد. يا شيخ كيف صرت موحداً على منهج السلف وأنت درست بالأزهر؟ فقال الشيخ.

أنا درست في الأزهر ودرست عقيدة المتكلمين التي يدرّسونها وأخذت الشهادة العالمية وذهبت إلى بلدي كي يفرحوا بنجاحي، وفي الطريق مررت على فلاّح يفلح الأرض ولما وصلت عنده قال: يا ولدي اجلس على الدكة وهو يشتغل، ووجدت بجانبي على طرف الدكة كتاباً فأخذت الكتاب ونظرت إليه فإذا هو كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" لابن القيم، فأخذت الكتاب أتسلى به ولما رآني أخذته وبدأت أقرأ فيه تأخر عني حتى قدرٍ من الوقت الذي آخذ فيه فكرة عن الكتاب، وبعد فترةٍ وهو يعمل في حقله وأنا أقرأ في الكتاب جاء الفلاّح وقال السلام عليك يا ولدي كيف حالك ومن أين جئت فأجبته على سؤاله فقال لي:

والله أنت شاطر لأنك تدرجت في طلب العلم حتى توصلت إلى هذه المرحلة ولكن يا ولدي أنا عندي وصية فقلت له: ما هي؟

قال الفّلاح: أنت عندك شهادة تعيشك في كل الدنيا في أوروبا وفي أمريكا وفي أي مكان ولكن ما علمتك الشيء الذي يجب أن تتعلمه أولاً ؟.

قلت: ما هو؟

قال: ما علمتك التوحيد.

قلت: وما هو التوحيد؟

قال: توحيد السلف.

قلت: وما هو توحيد السلف؟

قال له: انظر كيف عرف الفلّاح الذي أمامك توحيد السلف، إنه يوجد في هذه الكتب كتاب السنة للإمام/ أحمد الكبير وكتاب السنة للإمام/ أحمد الصغير، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب اعتقاد أهل السنة للحافظ، وذكر الفلّاح كتب التوحيد التي للمتأخرين والمتقدمين، ثم ذكر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم قال له: أنا أدلك على هذه الكتب. إذا وصلت إلى قريتك ورأوك وفرحوا بنجاحك لا تتأخر ارجع رأساً إلى القاهرة فإذا وصلت إلى القاهرة ادخل دار الكتب المصرية؛ ستجد كل هذه الكتب التي ذكرها، كلها فيها ولكنها مكدسٌ عليها الغبار وأنا أريدك أن تنفض ما عليها من الغبار وتنشرها.

كانت تلك الكلمات من الفلاح البسيط الفقير قد أخذت طريقها إلى قلب الشيخ/ حامد الفقي لأنها جاءت من مخلص)[1].

لم ينس الشيخ/ حامد هذه الوصية فعاد مسرعاً من قريته إلى القاهرة وعكف على كتب السلف يخرجها من غياهب أدراج المكتبات، ويقوم على خدمتها.

(١) انظر: مجلة التوحيد، عدد رجب ١٤١٧هـ، ص ٢٤-٢٥.

المبحث الرابع

شيوخه

لقد عاش الشيخ – رحمه الله – في فترة كانت مليئة بالعلم والعلماء، فتتلمذ أولاً على يديّ والده، كما مرّ معنا سابقاً ثم على أيدي علماء الأزهر ومدرسيه في دراسته النظامية.

ومن الشخصيات التي أثرت في حياة الشيخ الفقي العلامة/ محمد رشيد رضا – رحمه الله – حيث كان الشيخ/ حامد الفقِي يصف نفسه بأنه تلميذ حكيم الإسلام السيد/ رشيد رضا[1]، وكان الفقي دائماً ما يقول: قال أستاذنا/ رشيد رضا.

كذلك استفاد كثيراً من الشيخ/ الشرشابي والزنكلوني ومحمد مصطفى المراغي.[2]

غير أن الشيخ/ حامد تأثر تأثراً بالغاً بشخصيتين عظيمتين ألا وهما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله جميعاً.

فقد تتلمذ على كتبهم واستقى من معارفهم ومؤلفاتهم حيث يقول – رحمه الله – : (.. ولقد نفعني الله بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم نفعاً أعده من أجلِّ نعم الله عليَّ، ومن أشد وآكد وصاياي لإخواني أنصار السنة أن من لم يتضلع من كتب الشيخين لا يمكن أن يكون سلفياً بالمعنى الصحيح)[3].

---

[1] انظر: مقدمة كتاب السنة والشيعة بقلم حامد الفقِي. بواسطة رسالة محمد رشيد رضا. خالد فوزي.

[2] رسالة جاءتني من فتحي أمين عثمان أمين عام الجماعة.

[3] انظر: كتاب كلمة الحق ، ص٣٢٧، أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، ط١، ١٤٠٧هـ.

المبحث الخامس

طــلابـــه

لقد ظل الشيخ – رحمه الله – يعمل في حقل الدعوة فترة زمنية طويلة، دائم التنقل بين المدن والقرى، والمحافظات والهجر، لا يكل ولا يمل، خلاف أنشطته الخارجية خاصة في مواسم الحج، حيث كان يذهب إلى الحج في كل عام ويقيم الدروس العلمية والدعوية في المسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى والمسجد النبوي.

هذه الحركة الدائبة في مجال الدعوة إلى الله كوّنت له كمًّا هائلاً من الطلاب يصعب إحصاؤهم. غير أنه تجدر الإشارة إلى أنه لم يبرز في الساحات الدعوية والعلمية أحدٌ بعينه على أنه من طلاب حامد الفقي خاصة، بل أكثر من عاصر الشيخ وعمل معه يفتخر بأن يقول عنه شيخنا أو أستاذنا.

لقد استطاع الشيخ/ حامد أن يؤثر في جميع الطبقات وعلى اختلاف مستوياهم العلمية والفكرية ومن أبرز الأدلة على ذلك تأثيره في علماء الأزهر عندما عقدوا له جلسة محاكمة ليخلعوا عنه شهادة العالمية بعد أن نشر كتاب (رد الإمام الدارمي سعيد على بشر المريسي) فجلس معهم وناقشهم حتى جاهر كثير من علماء الأزهر بمثل ما جهر به الشيخ، وأعلنوها على الملأ، وعلى رأسهم الشيخ/ محمود شلتوت يرحمه الله)[1].

يقول عنه الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل – رحمه الله – : (.. عاش – رحمه الله – للإسلام، فأحب كل مسلم، لهذا كان له في كل بلد إسلامي تلاميذ وأصدقاء، وكان لهذه التلمذة والصداقة أثر عظيم في انتشار الدعوة وانتشار فروع لها حتى وصلت مختلف أنحاء العالم الإسلامي).[2]وقال عنه أحد طلابه (ومات – رحمه الله – وأنصار السنة المحمدية يملأون الأرض إيماناً في السودان وسوريا والمغرب والعراق وإندونيسيا وإرتريا وأكثر بلاد العالم الإسلامي).[3]

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، عدد ذي القعدة ١٣٦١هـ ص "٢/١".

[2] انظر: نور من القرآن ، ص٩، محمد حامد الفقي، دار الطباعة والنشر الإسلامية.

[3] انظر: نور من القرآن، ص٥ .

المبحث السادس

أقـــرانـــــه

عاصر الشيخ – رحمه الله – عدداً كبيراً من الدعاة والعلماء الذين التقى بهـم وعمل معهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ومن أبرزهم وأشهرهم:

أولاً: زملاؤه في مصر:

١) الشيخ/ أحمد محمد شاكر.

٢) الشيخ/ أبو الوفاء محمد درويش.

٣) الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل.

٤) الشيخ/ محمد خليل هراس.

٥) الشيخ/ محمد عبد الظاهر أبو السمح (إمام الحرم المكي).

٦) الشيخ/ محمد أحمد عبد السلام "صاحب كتاب السنن والمبتدعات".

٧) الشيخ/ عبد المجيد سليم "شيخ الأزهر".

٨) الشيخ/ محمود شلتوت "شيخ الأزهر".

٩) الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي.

١٠) الشيخ/ محمد علي عبد الرحيم.

وغيرهم كثير.

ثانياً: في السعودية:

١) الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٢) الشيخ/ عبد العزيز بن راشد النجدي.

٣) الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٤) الشيخ/ محمد بن حسين نصيف.

٥) الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ثالثاً: في الوطن العربي:

١) الشيخ/ محمد عبد القادر الحسن من السودان.

٢) الشيخ/ يوسف عمر آغا من السودان.

٣) الشيخ/ محمود مختار من السودان.

٤) الشيخ/ أبوزيد محمد حمزه. من السودان.

٥) الشيخ/ نور الدين علي الصومالي من الصومال.

٦) الشيخ/ محمد بن سالم البيحاني من اليمن.

٧) الشيخ/ محمد تقي الدين الهلالي من المغرب.[1]

---

[1] رسالة بعث بها الشيخ/ فتحي عثمان إليّ وذكر لي كثيرًا منهم مشافهة".

المبحث السابع

أخـــلاقـــه

الحديث عن أخلاقه – رحمه الله – حديث ذو شجون كمـا يقـال. لأن في العادة من ينشأ في مجتمع أو زمان كاللذين عاش فيهما الشيخ ويبذل ما بذله الشـيخ لابد أن يؤذى ويُتَّهمُ وتُحاك حوله الدسائس والشائعات، سواءً كانـت مـن عـدوٍ بغيض يكره التوحيد والمعتقد الصحيح أو كان صاحب هـوى يـدافع عـن هـواه أو صاحب غيرةٍ غير محمودة لما وصل إليه الشيخ من خدمـة لتوحيـد رب العـالمين وبيان لسنة سيد المرسلين.

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس كوَّن فكره وتصوره عن الشـيخ/ حامـد من خلال ما كتبه أقرانه أو معاصروه، لا مما كتبه هو أو عُـرف عنـه عـن قـربٍ ومعاملة. ونحن نعرف الأقران ماذا يحدث بينهم والتاريخ خير شاهد.

ومما يشار إليه أنه قد حدث بينه وبين الشيخ/ أحمد شاكر بعض المناوشـات الكلامية ظهرت في بعض مؤلفات أحمد شاكر، فعندما قرأهـا النـاس تـأثروا بهـا ورسخت في أذهانهم، وما علموا بعد ذلك ماذا حدث بينهما من اعتـذار وصـفاء وخاصة من قِبل الشيخ/ أحمد شاكر، وقد نُشر ذلك في مجلة الهدى وسوف أتعـرض لهذا الخلاف في موضعه إن شاء الله.

لقد عاش الشيخ حياته كلها وهو ينافح ويجاهد عن التوحيد الحقيقي والسـنة الصحيحة، واجه شدة وبلاء، وخصوماً ألِدّاء، فكانت حياتـه مليئـة بالمصـادمات والمجادلات والكيـد والكـره لـه، وخاصـة إذا عُـرف أن غالبيـة المجتمـع في تيار والشيخ وقلة معه من المجتمع في تيار مخالف، بل مصادم لذلك مما انعكس ذلـك على شخصيته.

يقول الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل – رحمه الله – (كان يلين حين يرى اللـين مجدياً، ويغلظ حين يرى لابد من هذا.. فلا يُداهن في القول ولا يُداجي ولا يمـالئ، ولا يعرف المجاملة أبداً وكان يسميها نفاقًا ويسمي السكوت عن الحق ذلاً وجبناً..

لم يكن رحمه الله في دعوته يعرف الخوف من الناس أو يلوذ بهم ، وكان في دعوته لا يتعصب لمذهب ما، وكان عدو المذهبية ويراها أنها الخطر الداهم على الجماعة الإسلامية.

كان كريماً سمحاً جواداً مضيافاً، تشعر وأنت في بيته كأنه ضيفك وأنت ضيفه، وكان لطيف المعشر موطأ الأكناف باراً كل البر بأصدقائه وإخوانه.

كان صفوحاً، فلم يتسرب إلى قلبه حقد أو غل أو كراهية، وكان يسبق بالعفو إساءة المسيء، وبالعفو ذنبه، وبالحلم بوادر الطيش الغاضب منه.)[1]

(كان صبوراً جَلِداً على الأحداث، ومن عجيب صبره أن ابنه سعيد أحمد الفقي توفي في فجر الجمعة ١٨ ذي القعدة عام ١٣٧٧هـ و لم يعلم الناس بموته، فجاء الشيخ/ حامد وخطب الناس في صلاة الجمعة وكانت خطبة مؤثرة، بكى الناس وتأثروا بها وهم لا يعلمون شيئاً عن موت ولده، ثم بعد الصلاة التفت إليهم وطلب من المصلين الانتظار حتى يأتي إليهم بأخيهم ليصلوا عليه.

يقول الشيخ/ فتحي عثمان فارتج المسجد بالبكاء الشديد والتأثر البالغ وأما الشيخ فكان ثابتاً و لم نر عليه التأثر الذي وجدناه في نفوسنا)[2]

ويقول الأستاذ/ رشاد الشافعي – رحمه الله – عنه أيضاً (..كيف أصف ما كان يتحلى به من سعة الصدر وسمو النفس ورحابة القلب الحاني العطوف، إنه كان يسع بخلقه آلاف الإخوان والتلاميذ من مختلف البيئات والأعمار والأجناس والثقافات، فكان لهم جميعاً الأستاذ المعلم المرشد، وكان لهم الأب البر الشفيق الرحيم، بل كان يأسر من يكلمه بخلقه ودينه وصراحته من أول لقاء معه، لا يعرف المجاملة ولو كان لأقرب قريب، وإذا غضب فإنه سريع العودة ولا يتمادى في غضبه، وأذكر أنّه في أحد الأيام أحضرنا كراسي يجلس عليها الطلاب بدلاً من الحُصُر، فغضب الشيخ وحَلَفَ أن لا يلقي الدرس في تلك الليلة وخرج، ثم بعد

---

[1] انظر: نور من القرآن ، ص٦-٩ ، بتصرف.

[2] من مقابلة مع الشيخ / فتحي عثمان ، انظر: الهدي النبوي ، عدد ذي القعدة وذو الحجة عام ١٣٧٧هـ، ص٣٣.

ذلك بفترة وجيزة عاد إلى مقر الجماعة وجلس على منصة المحاضرات وبدأ قائلاً: قال رسول ﷺ من حلف على أمر ووجد خيراً منه فليفعل الذي هو خير وليكفر عن يمينه[1]. ومضى وأتم درسه، ثم خرجنا وليس في قلبه ولا في نفسه أي أثر من غضب أو غل أو كراهية.[2]

يقول الشيخ/ محمد بهجة البيطار عن الشيخ/ حامد الفقي كان (سلفي المعتقد، إصلاحي المنزع، صافي المشرب، ثابت العزيمة، دؤوبا على العمل، سليم الذوق، حسن الاختيار). [3]

ويقول الشيخ/ أبو الوفاء محمد درويش "علامة الصعيد" (.. لقد اجتمع في شخصه الكريم العالم والشجاع والمضحي والمتفاني والكاتب والخطيب والمجاهد فحين فقدناه فقدنا كل أولئك جميعاً).[4]

(كان خطيباً لَسِنا مصقعاً، يمتاز بصدق التعبير وجزالة الأسلوب وقوته وفصاحة المنطق فتخالط دعوته شغاف القلوب وتلمع فكرته أمام العقل غير مشوبة بإيهام ولا شبهة).[5]

جاء في جريدة المساء (كان من أهم ما يتميز به هذا الإمام الجليل أنه كان يطبق على نفسه أولاً كل ما يدعو إليه قولاً وعملاً وحالاً، وكان واسع الصدر حليماً، عطوفاً، يتفقد أحوال أضعف الناس من إخوانه أنصار السنة فيبذل لهم من نصحه وماله ووقته كل ما يستطيع بل كان يصل إلى الإيثار.

يُحدّث أحد أبنائه من جماعة أنصار السنة أنه وقع في ضائقة مالية وكان عليه أن يسدد ديناً قدره أربعون جنيهاً، وإلا حاقت به كارثة وبينما هو سائر في أحد الشوارع مشغولاً ذاهلاً عن كل ما حوله إذا به يفاجأ بمن يمسكه من كتفه ويهزه

---

[1] رواه مسلم، كتاب الأيمان، برقم ٤٢٧٢، والترمذي، كتاب النذور والأيمان، برقم ١٥٣٠.

[2] مجلة الهدي النبوي ، مجلد سنة ١٣٧٨هـ ، ص٢٨٨-٢٨٩، بتصرف.

[3] مجلة الإصلاح ، عدد الأحد ١٥ رمضان ١٣٤٧هـ ، ص٢١/٢٢.

[4] مجلة الهدي النبوي ، مجلد سنة ١٣٧٨هـ ، ص٢٤٦ ، رجب وشعبان.

[5] نور من القرآن ، ص٨.

ويقول له ماذا دهاك؟ أنادي عليك بأعلى صوتي المرة بعد المرة وأنت لا تسمع ولا ترد. ماذا حدث؟ فإذا به شيخنا "حامد" فقلت والله كان من أمري كذا وكذا. فاسترجع الشيخ ثم وضع يده في جيبه وأخرج لفافة من أوراق البنكنوت ووضعها في يدي وعددتها فوجدتها أربعين جنيهاً، قال خذها وسدد بها دينك الآن ولا تبتئس والله يتولاني وإياك. وكان قد أخذها قبل ذلك بقليل نظير تعيينه واعظاً في موسم الحج على أحد البواخر[1].

ولقد كان الشيخ – رحمه الله – يحرص على تنقية قلوب أصحابه له وعدم حملهم شيئاً في قلوبهم تجاهه، وهذه خصلة عظيمة من خصال المربين. حيث كان يحرص دائماً عند سفره على تكرير (أسألكم بالله إن كان لأحدكم مظلمة عندي فليعرضها عليَّ فإن كنت قد أسأت إليه في وقت كنت فيه غضبان – ولست بالمعصوم – فهذا جسمي فليقتص مني، إنما أنا منكم وأنتم مني، وإنما أنا بكم كما أنكم بي، بالله أناشدكم أن لا تتركوني وفي قلوبكم شيء إلا وأظهرتموه لي، حتى أكون على بصيرةٍ من ظلمي لنفسي أو لأحدكم)[2].

هكذا كان يعامل أبناءه وإخوانه في الجماعة، وهكذا كان يقتص من نفسه ولا يرى في نفسه تكبراً ولا غروراً حتى على أصغر أفراد الجماعة.

ذكر الشيخ/ محمد عبد الوهاب البنا – حفظه الله – قصة وقعت للشيخ، فيها يتجلى خلقه، وسمو نفسه، وهي أنه تعرض للاغتيال وطُعن في رقبته ولكن الله أنجاه. ثم ذهبوا إلى مركز الشرطة، وبعد ذلك حكم المسئول في المركز على الجاني بغرامة تُقدّر باثنين جنيه، حينها وضع الشيخ يده في جيبه وأخرج جنيهين ودفعهما بدلاً عن الجاني وانصرف الشيخ، وهنا يتجلى لنا مقدار ما كان يحمله الشيخ من رفعة في أخلاقه وسمو في شخصه وعلوٍ في دعوته).[3]

---

[1] انظر: جريدة المساء بتاريخ ١٩٦٢/١/١٨م بقلم سعد صادق محمد ص٨.

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد رقم ١٦ عدد محرم ص٣ عام ١٣٧١هـ.

[3] أشار الشيخ الفقي إلى هذه الحادثة في خاتمة السنة الثانية من مجلة الإصلاح.

وهذا لا يعني أن الشيخ كان مبرءاً من كل نقص أو معصوم من كل عيب. لكن ماذا نتوقع من رجل قضّى حياته في مناهضة ومجاهدة ضد الاستعمار وأعوانه وتارة ضد الحاسدين والمرجفين وأخرى ضد أهل الأهواء والبدع.

صحيح أنه كان يؤخذ على الشيخ شدته في بعض المواقف واعتزازه برأيه وإصراره عليه في بعض المسائل وانفعاله في بعض الأحيان ولكن كما قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً أن تُعد معايبه.

المبحث الثامن

تعرضه للإيــذاء ومحاولة الاغتيــال

لقد تعرض – رحمه الله تعالى – إلى إيذاء شديد، وكيدٍ ووعيد بسبب دعـوة التوحيد التي كان يجاهر بها في مجتمع أكثره لا يريد لهذه الدعوة أن تظهـر، حـتى لا تهدم ما قد بُني من بدع ومنكرات تخدم شهواتهم وأهواءهم. فلقد شُـوهت سمعتـه ورمي بأنه يكره الرسول ﷺ ويبغضه، وأنه يعادي الأولياء ويكرههم، وغير ذلك.

وقد حاول بعض كبار موظفي قصر الحكم بعابـدين إيـذاء الشـيخ حـتى أوصلهم ذلك إلى دفع بعض المأجورين لمحاولة قتله[1].

يقول الأستاذ/ فتحي عثمان ، لقد قُذف بالحجارة عدة مرات، وضرب مـن بعض أنصار البدع والأهواء، وتعرض للاغتيال أكثر من مـرة وطُعـن بسـكين في رقبته ولكن الله أنجاه[2].

ويذكر الأستاذ/ فتحي عثمان أيضاً قصة عجيبة وقعت للشيخ حامد في هـذا الباب آلا وهي أن أحد كبار الصوفية قد اتفق مع أحد مريديه على قتل الشيخ حامد فأحضر ذلك المريد "نبوتاً" وهي عصا غليظة وحضر درس الشيخ كي يعلوه بها بعـد انتهاء الدرس، فلما سمع ذلك المريد الشيخ وهو يتكلم ويشـرح ويعلّـم – وكـان الشيخ كعادته يسلب لبَّ من يسمعه – وإذا به يبكي عند الشيخ ويصـيح ويقـول أنا أقتل الشيخ !! كيف يكون هذا!! وأخبر الشيخ بما كان يعزم عليه، ثم إنـه بعـد ذلك هداه الله وأصبح من أتباع الجماعة وحسنت أحواله. [3]

وصدق الله حيث يقول سـبحانه ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾. [4]

---

[1] الموسوعة الميسرة ، ص١٨٧، انظر: مجلة الشبان المسلمين عدد رجب سنة ١٣٧٨هـ.

[2] مقابلة مع الأستاذ/ فتحي عثمان، والشيخ/ محمد عبد الوهاب البنا. وقد أشرت لها سابقاً.

[3] مقابلة مع الأستاذ/ فتحي عثمان.

[4] سورة العنكبوت آية: (١+٣).

ومن الأمور المهمة التي أرى لزاماً عليَّ أن أذكرها وأبينها هو ما لاقاه الشيخ —رحمه الله— من عنت ومشقة وحسد وبغضاء وتنقص وكيد من بعض معاصريه وممن كانوا حوله وإن كان هذا يعد أمراً طبيعياً يحدث لكل مبرزٍ وناجح والتاريخ خير شاهد على هذا.

فلقد واجه الشيخ إبان وجوده في المملكة كثيراً من الحسد والبغضاء جراء قربه من الملك عبد العزيز — رحمه الله — حيث كان الملك يجلّه ويقدّره، فأوكل إليه عدة أعمال — ذكرها في مكانها — فاشتعلت القلوب الضعيفة بنار الحسد والبغضاء وحاولت تشويه صورته واتهامه بكثير من التهم الباطلة والكاذبة. ومن ذلك ما حدث من زميل له كان يعمل معه في التدريس والوعظ في الحرم المكي فما كان منه إلا أن اتهم الفقي بأنه رجل قبوري، وأخذ في نشر هذه الفرية الباطلة بين العلماء والدعاة فلما وصل الأمر إلى الفقي شكا ذلك للملك عبد العزيز فأمر بتشكيل لجنة من القضاة لبحث هذه القضية والحكم فيها. ولقد وجدت اللجنة أن هذه القضية عارية من الصحة، ثم إن القاذف بعد ذلك قدم اعتذاراً كتابياً للشيخ الفقي فتنازل الشيخ عن القضية وعن حقه وصفح عن القاذف كل زلة حدثت منه.

غير أن الملك عبد العزيز لما أطلع على الأوراق كلها رأى حفظاً لكرامة العلم وأهله وصيانةً للحرم الشريف والآداب أن يؤدب الرجل فأمر بحبسه شهرين وإجلاءه من البلاد.

وقد نشرت هذه القضية كاملة بأسماء أطرافها جميعاً في جريدة أم القرى بتاريخ الجمعة ١٧صفر سنة ١٣٤٧هـ.

وحقيقة رجل كحامد الفقي وما حباه الله من مكانة وفضل في البلاد السعودية عند مليكها وعلمائها ثم هو يترك ذلك كله مع ما كان مهيئا له ويعود إلى مصر فذلك له دلالات ظاهرة على شدة معاناته.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الشيخ/ الفقي على صفحات الهدي النبوي تحت عنوان "عجيبة" يقول (ذلك أني وصلت إلى مكة في حجتي الأخيرة، ولقيت سماحة مفتي المملكة السعودية الأكبر وعالمها الجليل الأفضل "الشيخ/ محمد بن إبراهيم"

للسلام عليه، وما كدت أضع يدي في يده حتى قال لي: أحقاً ما أخبرني عنك فلان الذي كان بمصر قبيل الحج؟ قلت وما هو؟ قال: يقول إنك قلت على المنبر يوم الجمعة: إن القرآن ليس كلام الله وإنما هو كلام محمد ﷺ !! فخيل لي أن الأرض تميد بي وتتزلزل زلزلة عنيفة، وكان حاضراً بالمجلس فضيلة "الشيخ/ عبد العزيز بن باز" المدرس بالمعهد العلمي بالرياض، فقال هو أيضاً: وأنا كذلك قد قال لي فلان هذه المقالة، فكاد أن يغمي عليَّ، لا من فظاعة التهمة فحسب، ولكن من أن تكون هذه الجريمة من هذا الفلان الذي كنت أحسن به الظن وأعتقد في دعواه نشر السلفية ما يمنعه أن يفتري هذه الفرية القذرة على من كان بمصر ملازماً له ملازمة ظله، لا يكاد يفارقه... فقلت لهما: إن رفع هذه الفرية القذرة إنما يكون باحتقارها واحتقار مفتريها... ثم لقيت هذا الفلان وسألته: أأنت قلت عني للشيخين هذه المقالة؟ قال: نعم. فقلت له: أسمعتها مني؟ قال: لا ولكنها نقلت إليَّ، فقلت له: أما كان الأولى أن تسألني عنها أو تنصحني بصفتك مسلمًا؟ فسكت...)[1].

وهكذا نرى أن المكانة التي بلغها الشيخ كانت توغر صدور الكثيرين ممن ملأ الحسد أو البغضاء قلوبهم وأعمى أبصارهم.

كذلك من الحزازات التي أثيرت حول الشيخ – رحمه الله – ما نشره الشيخ المعصومي – غفر الله له – ضد الفقي في ردوده الحادة والشديدة حول بعض القضايا الاجتهادية – وسف تأتي لاحقاً – حيث وقع المعصومي في كثير من التناقض فتارة يمدحه ومرات يذمه ذماً يكاد يخرجه من حظيرة الإسلام حتى أنه يصفه بأنه رافضي اثنا عشري وغير ذلك.

ومن القضايا المهمة كذلك ما اشتهر من الخلاف الذي وقع بين الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله – والفقي وكيف أن أحمد شاكر – رحمه الله – اتهم الفقي بتهم كثيرة ثم إنه عاد وتأسف منه واعتذر إليه – وسوف يأتي ذكر هذه القضية لاحقاً.

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد٣، ص١٤،١٣.

ومن ذلك أيضًا ما ذهب إليه بعض أهل العلم في مصر وحاولوا نشره بين الناس من أن حامد الفقي ينكر الكرامات، يقول الفقي – رحمه الله – معلقاً على ذلك: (لقد ذهبت الظنون ببعض الفاحصين المنقبين المتتبعين لما أعلق به على الكتب، إلى أني أنكر كرامة الله لأوليائه المتقين وأني أقلد في ذلك الإنكار المعتزلة، وأني وأني وذهبوا يطيرون بذلك كل مطار، ردني الله وإياهم في كل شأننا إلى الثبات والرشد والحكمة ولو أننا نجري في أمرنا على الروية والتثبت ليسر الله لنا سبيل السداد... وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مملوءان بما أكرم الله به عباده المتقين من أنواع الكرامات... فمن يجعل الكتاب والسنة هجِّيراه وفيهما ذلك – مما أكرم الله به عباده المتقين – ينكر كرامات الأولياء؟ اللهم غفراً. ولكني أنكر، بل أحارب الشعبذات والخرافات التي جَرَّ بها شياطين الإنس والجن الدهماء الذين لا يعقلون...)[1]

وحقيقةً لقد وجدت من خلال استقرائي ومطالعتي أن بعضاً ممن كان حول الشيخ كان يحاول أن يقيس نفسه بالشيخ ويعمل ما استطاع من أجل ذلك. ومن أبرز تلك الأدلة ما وجدته من تعليقات على بعض كتب الشيخ بخطوط بعضهم لا تسمن ولا تغني، وما أحسب ذلك إلا لمحاولة التنقص من الشيخ أو أنه علّق وصحح وصوّب على تعليقات الفقي، ثم بعد ذلك يكتب "كتبه الشيخ فلان الفلاني" كل ذلك بخط يده!!

وهكذا اصطلى الفقي – رحمه الله – بنار بعض إخوانه قبل أن يصطلي بنار أعدائه وإن شئت فقل أعداء الدعوة السلفية من الصوفية وأضرا بهم أو ممن هاجم باطلهم وأبان عوارهم من أصحاب الكلام والتأويل الباطل.[2] حيث كان له معهم مصادمات ومطاحنات كثيرة.

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد١٤، عدد٤، ص١ + ص٤٩.

[2] انظر: ذلك في الفصل الخامس، من الباب الأول.

المبحث التاسع

وفـــاتـــه

في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الجمعة ٧/رجب سنة ١٣٧٨هـــ الموافق ١٦/يناير ١٩٥٩م طوى الموت علماً من أعلام الدين، وشيخاً مـــن شـــيوخ المسلمين، وإماماً من أئمة سنة خاتم النبيين عن عمر يناهز الثمانية والستين عاماً.

ففي يوم الأحد ٢٤ جمادى الآخرة دخل الشيخ – رحمـــه الله – مستشـــفى الجمعية الخيرية الإسلامية بالعجوزة ، وأجريت له عملية جراحيـــة في اليـــوم التـــالي، فنجحت العملية حتى سمح له الطبيب بالنـــزول من السرير، أصـــيب بعـــد ذلـــك بنـــزيف في موضع الجرح فأسرع الأطباء بالإسعاف والعلاج، ولكن جاءت الســـاعة المحتومة.

قبل فجر ذلك اليوم توضأ لصلاة الفجر وصلّى الفجـــر وقـــرأ في الـــركعتين سورة الرعد كاملة، وبعد ذلك طلب نقله إلى دار الجماعة حيث توفي فيها.

هرع إلى دار الجماعة طلاب الشيخ ومحبـــوه مـــن جميـــع أنحـــاء القـــاهرة والمحافظات المحيطة بها، حيث صلوا الجمعة في مسجد الجماعة، ثم بعد ذلك تم غَسْـــل الفقيد على يد تلامذته وإخوانه وكفنوه، وحُمل على الأعناق حتى مسجد الهـــدارة، فصلوا عليه بعد صلاة العصر ، واصطف أنصار الجماعـــة في رحـــاب المســـجد في صفوف متلاصقة حتى وصلت الصفوف إلى خارج المسجد، وفي الطرقـــات المحيطـــة بالمسجد، يُبلّغ بعضهم البعض التكبيرات بصوت مرتفع.

ولقد شهد الكثير أنهم على كثرة ما رأوا من الجنائز لم يشهدوا أكبر من هـــذه الجنازة ولا عدداً أكثر من الذين صلوا عليها ولا حتى نصفها.

وبعد صلاة الجنازة أبى أنصار السنة إلا حمل النعش على الأعناق حتى المدفن حيث ووري في التراب بين البكاء والدعاء له بالمغفرة والرحمة والتثبيت، ولقد تبع الجنازة الآف المشيعين من أنصار السنة وغيرهم).[1]

(ولقد حضر جنازته واشترك في تشييعها جَمْع من الوزراء والمشايخ وجميع مشايخ كليات الأزهر وأساتذتُها وعلمائها وقضاة المحاكم).[2]

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ٢٣، عدد "٧،٨" ، ص٢٤٩-٢٥١.

[2] انظر: جماعة أنصار السنة ، ص٢٥

المبحث العاشر
رثاء الشيخ

لقد كان موت الشيخ/ حامد الفقي – رحمه الله – فاجعة أصيبت بها الأمة جمعاء، وكان لهذه الفاجعة وقع شديد وصدىً مدوٍ على الصعيد الداخلي والخارجي.

(فلقد انهمر على دار الجماعة سيلٌ من برقيات التعازي من داخل البلاد وخارجها، ومن القادة والعلماء والدعاة ومن عامة الناس، كلها تعبر عن فداحة هذا المصاب الجلل).(١)

كما كتبت كثيرٌ من الجرائد عن وفاة الشيخ حيث امتلأت أعمدة بعض الصحف بنعي الشيخ.(٢)

قال عنه الأستاذ/ محمد خليل السبكي "من علماء الأزهر" (مصاب أليم، وخطبٌ جسيم، ورزءٌ عظيم، وحزنٌ عميم، ذلك النبأ المفزع، والخبر المحزن، هذا الذي قرأته في الصحف... لقد فقد العالم الإسلامي بفقده ركناً عظيماً من أركان الدفاع عن السنة، وعلماً شامخاً من أعلام الحق، فقد الإسلام رجلاً أوقف حياته كلها على إحياء السنة والذود عن حياضها، كان قلمه نعم المدافع عن سنة الرسول الكريم. وكان قلمه وفكره وجسمه وماله دفاعاً صادقاً عن الحق لم يخش في الله لومة لائم، وكم تحمل من العنت والمشقة في سبيل نشر السنة وهدم البدعة)(٣).

وكتب الأستاذ/ أبو الوفاء محمد درويش "علامة الصعيد – رحمه الله – (..لقد اجتمع في شخصه الكريم، العالم والشجاع والمضحي والمتفاني والكاتب والخطيب والمجاهد، فحين فقدناه فقدنا كل أولئك جميعاً).(٤)

وكتب الأستاذ/ رشاد الشافعي – رحمه الله – (.. إنها ذكريات تدل على مبلغ ما كان يتحلى به رائد الدعوة – رحمه الله – من سعة الصدر وسمو

---

(١) انظر : مجلة الهدي النبوي ، مجلد ٢٣ ، ص٤٥٦-٤٥٧.
(٢) انظر: جريدة القاهرة بتاريخ ١٩٥٩/١/٢ ، انظر: جريدة الشعب بتاريخ ١٩٥٩/٧/١٧م
(٣) انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢٣ ، ص٢٦٣
(٤) انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢٣ ، ص٢٤٦

النفس ورحابة القلب الحاني العطوف. إنه كان يسع بخلقه آلاف الإخوان والتلاميذ من مختلف البيئات والأعمار والأجناس والثقافات، فكان لهم جميعاً الأستاذ المعلم المرشد، وكان لهم الأب البر الشفيق الرحيم)[1].

وهذه قصيدة قيلت في الشيخ – رحمه الله –:

أحيوا عظيماً جميل الذكر أحياه ... وأكرم الله في الفردوس مسعاه
وأنصفوه عزيزاً إنه بطلٌ ... تضيء كالشمس في الدنيا مزاياه
أدى رسالته من فجر نهضتها ... وقام بالواجب الأسمى وأداه
قضى وعاش نصير الدين في كنفٍ ... من التقى والهدى كانت سجاياه
قضى مهيباً وما زالت مآثره ... تروي جلائلها في الكون أفواه
في موقف الحق ما لانت شكيمته ... أمام ملك[2] حماة الدين تخشاه
بقوة الدين والإيمان جادله ... مبيّناً في جلاءٍ بُطْلَ دعواه
أدى الرسالة والأطماع ثائرة ... فما وهت في قراع الظلم يمناه
طواه عادي الردى لكنه قدرٌ ... ولا مرد لما قد قدر الله
فخلدوا ذكر ماضيه فإن له ... ذكراً تضوّع مثل الطيب رياه
والخلد ليس بميسور لطالبه ... حتى يصير على علمٍ بمعناه
والناس إن قضيت آجالهم سيَرٌ ... والمرء سيرته أعمال دنياه
وحامد سجل التاريخ سيرته ... وكرم الله أولاه وأخراه
فشيدوا وارفعوا البنيان شاهقة ... فمن أتى حسناً لابد يجزاه
ولقنوا الناس من تاريخه نبذاً ... عسى يكون له في الناس أشباه
من يُحي ذكرى عظيمٍ أو يُوفِّ له ... حقاً فقد رده بعثاً وأحياه
بنى الرئيس لنا مجداً ودعمه ... فأكملوا بمواضي العزم مبناه
أرضى الضمير وأرضى الله فازدهرت ... في جنة الخلد والفردوس عقباه

نجاتي عبد الرحمن – الجيزة[3]

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢٣ ، ص٢٨٨

[2] كانت له حادثة تاريخية مع الملك فؤاد ، وقف فيها – رحمه الله – موقفاً مشهوداً ونصره الله عليه وعلى العلماء الذين آزروا الملك في ذلك الوقت وظل للشيخ حامد مركز خاص عند الملك يومها.

[3] انظر: الهدي النبوي ، مجلد٢٩، عدد شوال، ص٣٠.

الفصل الثالث

مكانته العلمية ومؤلفاته

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

المبحث الثاني: مؤلفاته

المبحث الثالث: أعماله ووظائفه

المبحث الأول
مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

أثنى عدد كبير من العلماء على الشيخ/ حامد – رحمه الله – وأشادوا بعلمه وفضله، ونصرته التوحيد، ونشره السنة، وجهاده سواءً كان ذلك لأصحاب البدع والضلالات من الصوفية ومن نحا نحوهم أم للمحتلين الذين احتلوا مصر وأفسدوا فيها.

حيث كان – رحمه الله – يهتم بالدعوة للتوحيد وإحياء السنة، وكان يقوم بإخراج الكتب والمخطوطات لكثير من سلف هذه الأمة، ويقوم بإلقاء الدروس والمحاضرات والخطب والمواعظ في جميع الأماكن التي يرتادها ، ويقوم أيضاً على تربية أفراد الجماعة يتصدى للصوفية وأصحاب الأضرحة، ويتصل بأهل التوحيد في البلدان الإسلامية ويتعاون معهم في نشر العقيدة السلفية، وكان في كل سنة يقوم بالحج لبيت الله العتيق وتوعية الحجاج ووعظهم، وكان له دروس في المسجد الحرام والمسجد النبوي وبمسجد الخيف بمنى أيام الحج وغيرها من المساجد.

(لقد كان مجلسه حافلاً بالإرشادات الدينية والفوائد العلمية والطُرف الأدبية والمُلَحُ الطريفة التي تجعلك تأبى أن تفارقه، وإن غادرته غادرته وأنت في شوق إلى أن تعود)[1].

قال عنه الشيخ/ حماد الأنصاري – رحمه الله – (عندما رأيته يدّرس في مكة عند باب علي قلت هذا ضالتي، وكانت حلقته أول حلقة أجلس فيها في الحرم وكان ذلك عام ١٣٦٧هـ)[2].

---

(١) انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢٣ ، ص٢٤٦

(٢) انظر: مجلة التوحيد ، عدد رجب وشعبان ، ص٢٤، ١٤١٦هـ.

وقال عنه سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – في تعليقاته على كتاب فتح المجيد (... فقد اطلعت على الحواشي التي وضعها الأستاذ العلامة الشيخ/ محمد حامد الفقي.. فألفيتها كثيرة الفائدة قد أجاد فيها وأفاد)[١].

ويصفه سماحة الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله – بقوله (أستاذنا)[٢].

ويقول الدكتور/ عبد الله الدميجي في مقدمته لكتاب الشريعة (.. قام بنشره الشيخ العلامة/ محمد حامد الفقي – رحمه الله – وكان هذا من أكبر العوامل التي جعلتني أتردد في البداية في الإقدام على تحقيقه، بل كدت أن أحجم عن ذلك)[٣]. ويقول أيضاً: (.. وقد نشر كثيراً جداً من هذا التراث الضخم في فترةٍ قلَّ من يلتفت إلى مثل هذه الكتب وإلى الاعتناء بها)[٤].

ويقول الشيخ/ سعيد الدعجاني – حفظه الله – (كنت أراه يلقي الدروس في المسجد الحرام ومسجد الخيف بمنى، وكانت شهرته تسبقه قبل أن يصلْ، وكنا نتسامع به وبدروسه ونتواصى على حضورها حيث كان تركيزه شديداً على قضايا التوحيد، ولا أنسى تلك المقولة التي كان يرددها دائماً "البركة من الله، البركة من الله" ثم يدخل من خلالها إلى التوحيد وخاصة قضايا الأضرحة والاستغاثة بالأولياء وما يصاحب ذلك من منكرات)[٥].

ويقول الشيخ محمد بن جماح الغامدي: (كنت أراه يجلس بجانب سماحة الشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكان يساره ويشاوره. وكان – رحمه الله – يحرص على تتبع دعوة التوحيد في جميع المناطق مهما بعدت أو اقترتب)[٦].

---

[١] فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد، ص١١، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الفكر، ١٤١٢هـ

[٢] الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية ص١٣٨

[٣] كتاب الشريعة ، ١/ص١١، الآجري، تحقيق د/ عبد الله الدميجي، دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ.

[٤] كتاب الشريعة، ١/ص٢٥٥

[٥] لقاء مع الشيخ في داره في جدة، شهر شوال ١٤٢١هـ

[٦] لقاء مع الشيخ في مدينة جدة، شهر ذي القعدة ١٤٢١هـ

ويقول الشيخ/ أبو تراب الظاهري – رحمه الله – "كان سلفياً، سلفياً، سلفياً شديداً، يحرص على نشر التوحيد ويغار عليه، وما رأيت أحداً مثله في الغيرة على التوحيد، ولقد سكنت عنده في مصر خمس سنوات وكان متكفلاً بي في كل شيء، حيث كنت أشارك معه في التخريج والتحقيق، ولو قلت إن عيني لم تر مثله وأذني لم تسمع بمثله في حماية التوحيد لا أكون مبالغاً كان إذا صعد إلى المنبر لخطبة الجمعة يقول بأعلى صوته "كفرت بالطاغوت.. كفرت بالبدوي.. كفرت بكذا. كفرت بكذا... ولقد كان يجتمع في حلقته "في المسجد الحرام" خلق كثير، يجتمعون حوله ما بين قاعدٍ وقائم)[1].

(١) لقاء مع الشيخ في داره في مدينة جدة، في شهر ذي الحجة عام ١٤٢٢هـ

المبحث الثاني

مؤلفاته

خلّف الشيخ – رحمه الله – آثاراً علمية عظيمة تدل على حرصه وطول نفسه في خدمة السنة ونشر التوحيد والعقيدة الصحيحة.

وينقسم جهد الشيخ في هذا الجانب إلى قسمين هما:

١) مؤلفاته الشخصية.

٢) الكتب التي قام على تحقيقها ونشرها كي ترى النور بعد النسيان.

والجدير بالذكر أن الشيخ/ حامد اشتهر بالنشر والتحقيق أكثر من اشتهاره بالتأليف، وأحسب أن ذلك يرجع إلى شغفه بكتب السلف عامة وبكتب ابن تيمية وابن القيم خاصة، فكان أن جعل همه الأكبر كيف يُخرج وينشر هذه الكنوز للأمة الإسلامية.

إلا أن هذا لا يعني أن الشيخ – رحمه الله – لم يكن يملك أدوات هذا الفن "التأليف" بل إن من ينظر إلى كتاباته في مجلة الهدى النبوي ورسائله يعلم تمام العلم قدرة الشيخ وإمكاناته في هذا الجانب.

مؤلفاته الشخصية:

أولاً: مؤلفاته المنفردة:

١) نور من القرآن.

وهو عبارة عن محاضرات ودروس ألقاها الشيخ في دار الجماعة قام بجمعها محمد رشدي خليل.

٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها.

وهو عبارة عن محاضرات ألقاها في دار الجماعة، جُمعت بعد ذلك ثم طبعت.

٣) نفحات الأزهار في سيرة الملك عبد العزيز. رسالة صغيرة.

٤) كشف اللثام عن الغش الذي أحدثه الدساسون في عقائد الإسلام.

وهي رسالة صغيرة في الرد على الصوفية في ٣٦ صفحة من القطع الصغير.

٥) رسالة بدعة الأعياد بذكرى مولد النبي ﷺ.

وقد طبعت ضمن كتاب (رسائل في الشرك والبدع) في ٢١ صفحة.

ثانياً: كتاباته في ثنايا المجلات والدوريات

لقد كان للشيخ – رحمه الله – جهدٌ مثمرٌ وكتابات مميزة من خلال قلمه السيال وفكره السلفي.

حيث كان للشيخ نشاطٌ ملموسٌ في مجلتين قام على تأسيسهما والإشراف عليهما. عدا بعض المقالات التي كانت تُنشر له في جريدة أم القرى.

والمجلتان هما: أولاً: مجلة الإصلاح والتي تأسست في مكة المكرمة بأمر من الملك/ عبد العزيز – رحمه الله – وبمشورة الشيخ/ حامد – رحمه الله – وكان تأسيسها في عام ١٣٤٨هـ حيث كان للشيخ فيها مقالات متعددة من تفسير للقرآن وتوجيهات وإفتاء وغير ذلك، واستمرت هذه المجلة سنتين ثم توقفت.

وأما المجلة الثانية فكانت مجلة الهدى النبوي والتي قد تأسست في عام ١٣٥٦هـ في مصر. وهذه هي التي تركزت فيها جهود الشيخ بكثرةٍ، حيث ظهرت فيها إبداعاته ودعوته وتضحياته.

وقد كان للشيخ فيها زاوية ثابتةً في التفسير، حيث بدأ من أول سورة الفاتحة ثم البقرة وبعد أن أمضى فيها شوطاً لا بأس به أشار عليه بعض إخوانه في الجماعة بأن يبدأ في التفسير من حيث انتهى شيخه/ محمد رشيد رضا – رحمه الله – الذي توقف في نهاية سورة يوسف، فاستحسن الفكرة وبدأ التفسير من أول سورة الرعد واستمر في تفسير سورة إبراهيم والحجر والنحل وفي تفسيره لسورة الإسراء توفاه الله بعد أن فسّر الآية الثانية عشرة منها.

ويقع هذا التفسير في قرابة الألف وخمسمائة صفحة، حيث يُعد ثروة علمية جيدة لكونه يجمع بين دعوة التوحيد وواقع الناس ويربطهم بعد ذلك بكتاب الله، فيشعر القارئ بأنه المعنيِّ بهذا التفسير حيث يخاطب شخصه وواقعه ومعتقده وسلوكه.

منهج الشيخ حامد الفقي في التفسير:

قبل أن نتكلم في هذا الجانب المهم يحسن بنا أن نتطرق إلى معرفة منهج المفسرين في تلك الفترة الزمنية التي عاشها الشيخ – رحمه الله – حيث إنها كانت تتميز بلون من التفسير كان ظهوره لأول مرة.

هذا اللون أو النوع من التفسير سماه الدكتور/ محمد حسين الذهبي – رحمه الله – بـ"اللون الأدبي الاجتماعي" وفسّره بقوله (إن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم، وإنما ظهر عليه طابع آخر، وتلّون بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيقٍ أخّاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع، ونظم العمران).[1]

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون ٥٢٣/٢. د/ محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

وقد ذكر الذهبي – رحمه الله – روّاد هذه المدرسة وأنهم ينتسبون في جملتهم إلى مدرسة الأستاذ/ محمد عبده – رحمه الله – وعدّ منهم الشيخ/ محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغي.

محاسن هذه المدرسة:

١. أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب و لم تحاول أن تجعل القرآن تابعاً، بل جعلته قائداً ومتبوعاً.

٢. وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تشوه التفسير بما شوه به في كثير من كتب المتقدمين من الروايات الخرافية المكذوبة التي أساءت إليه وجرأت الطاعنين عليه.

٣. لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي كان لها أثر سيئ في تفسير القرآن الكريم.

٤. لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن، و لم تجرؤ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية، التي لا تعرف إلا من جهة النصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات.

٥. أبعدت – هذه المدرسة – التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، التي زُج بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها و لم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة.

٦. نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم جمعت بين خيري الدنيا والآخرة،

وبينت أن القرآن يساير جميع الأزمنة، ودفعت ما ورد من شبه على القرآن وشكوك بحجج قوية، كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوي القارئ)[1].

عيوب هذه المدرسة:

قال الشيخ محمد الذهبي:

- أما ما يؤخذ على هذه المدرسة فهو أنها أعطت لعقلها حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب. استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله.
- كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، حيث حمّلت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهوداً عند العرب، وطعنت في بعض الأحاديث تارة بالضعف، وتارة بالوضع مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم. كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة في كل ما هو من قبيل العقائد أو السمعيات[2].

علاقة الفقي – رحمه الله – بهذه المدرسة:

هناك علاقة ظاهرة وأخرى غير ظاهرة في تأثر الشيخ/ حامد – رحمه الله – بهذه المدرسة:

– فأما الظاهرة فهي تأثره الشديد بالشيخ/ محمد رشيد رضا ، وحبه له وإعجابه بأفكاره ودعوته ونشاطه، ولذلك كان يقول دائماً – ويفتخر بذلك – إنه تلميذ حكيم الإسلام/ محمد رشيد رضا. والتلميذ يكون دائماً محاكياً لأستاذه في كثير من أعماله وتصرفاته. والشيخ/ محمد رشيد رضا ، كذلك كان من أقرب الناس إلى

---

(1) انظر: التفسير والمفسرون ٥٢٣/٢

(2) انظر: التفسير والمفسرون ، ٥٢٣/٢-٥٢٦ بتصرف.

الشيخ/ محمد عبده ومن ألصق الناس به، وكان يتولى كتابة تفسير الشيخ عندما كان يلقيه في الأزهر ثم يعرضه عليه ويتولى نشره في مجلة المنار بعد ذلك.

فأصبحت هذه سلسلة ممتدة من الشيخ/ محمد عبده إلى الشيخ/ محمد رشيد رضا إلى الشيخ/ حامد الفقي رحمهم الله جميعاً.

كذلك علاقته الجيدة بالشيخ/ المراغي وحضوره لمجالسه أثرت في سلوك الفقي هذا النهج من التفسير.

وأما العلاقة غير الظاهرة: فلقد تأثر الشيخ/ حامد بالشيخ/ محمد عبده من خلال عدة محاور:

أولاً: كون الشيخ/ محمد عبده من نفس المنطقة أو المحافظة التي خرج منها الشيخ "البحيرة" حيث كانت لمحمد عبده مكانة عظيمة في نفوس أهل تلك المنطقة.

ثانياً: تزامل والد الشيخ/ الفقي ، مع الشيخ/ محمد عبده ، فترة دراستهم بالأزهر حيث كان يساكنه نفس المنزل. مع أن والده لم يكمل الدراسة لكنها كانت فترة طويلة فكان يشعر بقربه من الشيخ من خلال تلك العلاقة.

ثالثاً: لقد كان زمن الشيخ/ حامد الفقي، شبيهاً بزمن الشيخ/ محمد عبده ، فقد كان المجتمع المصري يعاني من تسلط المحتلين ويحس بمرارة سقوط الخلافة وتكالب الأعداء على المسلمين وهو قريب الشبه من زمن الشيخ/ محمد عبده والذي كان فيه ما فيه من هذه الأمور. تلك الأسباب وغيرها أحدثت محاكاة أو تأثراً في شخصية الشيخ/ حامد الفقي تجاه الشيخ/ محمد عبده ومن أكبر الدلائل على ذلك شهادة الفقي إذ يقول – رحمه الله – (... وكان من أسباب قوتها وثباتها "جماعة أنصار السنة" بصيص النور الذي قدح شرره الأستاذ الإمام الشيخ/ محمد عبده، وأشعل قبسه المجاهد العظيم إمام عصره أستاذنا السيد/ محمد رشيد رضا).[1]

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد٢، عدد٢٠، ص٢٣.

منهج محمد رشيد رضا في التفسير:

سار الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله – نحواً من سير شيخه وأستاذه/ محمد عبده حيث أنه كان متأثراً به تأثرًا كبيرًا، يقول عنه الذهبي – رحمه الله – :

(أما منهجه في التفسير فهو عين ما نهجه الأستاذ/ محمد عبده، فلا تقيد بأقوال المفسرين، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن كما كان يفعل أهل الأهواء، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا حشد لمباحث الفنون، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم، بل شرح للآيات بأسلوب رائع، وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم إرشاده، وتوقيف على حكم تشريعه، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه، أو بيان الله في خليقته)[1].

لكن نرى أن الشيخ بعد وفاة شيخه خالف هذا المنهج شيئاً قليلاً حيث يقول في فاتحة تفسيره المنار (...هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه – رحمه الله تعالى – بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر ، أو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس)[2].

والحقيقة أن الشيخ/ حامد الفقي – رحمه الله – قد تأثر بالشيخ/ محمد رشيد رضا ، غاية التأثر وهذا يظهر بوضوح وجلاء من خلال كتاباته في التفسير.

---

[1] انظر: التفسير والمفسرون، ٢/ص٥٥٣

[2] انظر: تفسير المنار ١٦/١، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط٢.

يقول رحمه الله وهو يرسم منهجه في التفسير: (ونحن إن شاء الله سـنتوخى في قولنا في تفسير القرآن الكريم أن يكون أولاً بالقرآن، فإن لم نجد فبسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة برواية العدول الثقات، وسنقصد إلى تطبيق حوادث الزمان وحـال الأمم الإسلامية في جميع شئونها السياسية والاقتصادية والدينية على القرآن ، لأن هذا هو أهم غرضنا من التفسير، ليعرف الناس أين هم من القرآن، وسنحرص أن يكـون سهل العبارة قريب المأخذ، بعيداً عن الاختلافات والمماحكات اللفظية. والمجـادلات في غير طائل لا ننتصر به لمذهب أو نتعصب لقائل، إنما نبتغي الحـق قـدر طاقتنـا، ونطلب الدين الصحيح جهد استطاعتنا محاولين توجيه المسلمين إلى كتـابهم الـذي أنزله الله شفاء لما في صدورهم وإرجاعهم إلى الهدى والحق من ربهم).[1]

ومما سبق نجد أن منهج الشيخ في التفسير يقوم على محاور عدة:

١) تفسير القرآن بالقرآن.

٢) تفسير القرآن بالسنة الصحيحة.

٣) تطبيق القرآن على واقع الأمة الإسلامية في النواحي السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية والدينية.

٤) يتميز بالملامح الأدبية وسهولة العبارة.

٥) البعد عن الخلافات والمجادلات التي لا طائل وراءها.

٦) عدم التعصب للمذاهب والأهواء ولا للأشخاص والأحزاب.

٧) قصد الحق والاجتهاد في بلوغه والتجرد من الهوى.

٨) الاجتهاد في بيان الدين الصحيح للناس صافياً لا كدر فيـه، والابتعـاد عـن التقليد الأعمى.

٩) محاولة إرجاع الناس إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

---

[1] الهدي النبوي ، عدد ٢ ص١٨ ، ١٣٥٦هـ.

إلا أننا ننبه هنا إلى أن الشيخ/ حامد – رحمه الله – لم يكن يغفل تفسير السلف مطلقاً فنجده يستشهد ببعض أقوال ابن تيمية وابن القيم عند شرح كثير من المصطلحات العقدية، ويستأنس أيضاً ببعض كلام المفسرين أمثال ابن جرير وابن كثير فضلاً عن كلام الصحابة وهو بهذه الطريقة جمع بين تفسير السلف وتفسير المدرسة الموجودة في عهده والتي أشرنا لها قبل قليل.

فأسلوب الشيخ/ حامد يكاد يقارب أسلوب الشيخ/ محمد رشيد رضا وإن كان فيه تميز من كونه أكثر اهتماماً بمسائل العقيدة وأنواع التوحيد والتصدي للصوفية وأربابها.

يقول عنه أحد معاصريه[1] وهو يصف منهجه في التفسير: (كان له منهج خاص به في تفسير القرآن أساسه استلهام اللغة العربية والاعتماد على معاجمها لأنها لغة القرآن، فلا يتقيد بما قاله المفسرون الذين كانت كتبهم لا تخلو من الضعيف والموضوع و الإسرائيليات، أو كانت صورة لما نبغ فيه أربابها من فنون النحو والبلاغة والكلام، بل يفسر بوحي من فطرته السليمة وفهمه الصحيح للدين وخبرته الصادقة بمقاصد الكتاب العزيز، ولقد كان حريصاً على المطابقة بين الحياة العامة وهداية القرآن، موازناً بين ماضي المسلمين وما صاروا إليه، وكان يجيد ربط الأحداث بعضها ببعض وله نظرات فاحصة في القصص القرآني ولفتات حية فيه).[2]

وجديرٌ بالذكر أن ما لوحظ على الشيخ/ الفِقي – رحمه الله – من ملاحظات وإن كانت قليلة إلا أن مردها تأثره بمنهج شيخه رشيد رضا وسوف أشير إليها في مكانها.

---

[1] هو عبد السلام رزق الطويل من أعضاء جماعة أنصار السنة.

[2] انظر: الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد شعبان ورمضان، ص٤٥.

ثانياً: تحقيقاته:

اهتم الشيخ – رحمه الله – بإخراج كُتُب السلف عامةً، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم خاصة.

ولقد أبان الشيخ عن شغفه بها، وتكلفه في الحصول عليها في كثير من مقدمات كتبه، ومن ذلك ما يقوله في مقدمة كتاب الشريعة: (.. وإني لم آخذه وأحرص على شرائه إلا رغبة في نشر آثار السلف لأني بذلك كلف، وأود لو أطال الله عمري ووفقني ربي لنشرها جميعها، لأن المتأخرين لم تَعُجْ بهم الطرق إلا لجهلهم بآثار سلفهم).[1]

ويقول أيضاً: (... فإن الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليَّ وغرس في نفسي حب السنة النبوية، وشغف قلبي بآثار السلف الصالح، وثمار قرائحهم التي انتفعت بها الأمم الإسلامية في سابق عمرها ورفيع مجدها، وشغلني الله بنشر هذه الآثار والعمل على إبراز مكنونها قدر طاقتي وجهد استطاعتي..).[2]

ويقول كذلك: (وأنا جد حريص على كتب هذين الإمامين وإخوانهما من السلف والخلف، شغوفٌ بنشرها وطبعها.)[3]

والكتب هي:

١) رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد/ لأبي سعيد عثمان الدارمي ت ٢٨٠هـ.

٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ لأبي حاتم محمد بن حبان بن معاذ البستي ت ٣٥٤هـ.

٣) الصلاة حقيقتها ومعناها/ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ.

---

(١) انظر: كتاب الشريعة ، ص (ب + م)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية ص٣، أبو يعلي محمد الفراء، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص٢١، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الفكر.

٤) الأحكام السلطانية/ لأبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء ٤٥٨هـ.

٥) طبقات الحنابلة/ لابن أبي يعلى أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين ت ٥٢٦هـ.

٦) جامع الأصول من أحاديث الرسول. / مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ابن الأثير) ت ٦٠٦هـ.

٧) مختصر سنن أبي داود/ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٦٥٦هـ.

٨) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ.

٩) اقتضاء الصراط المستقيم/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١٠) رأس الحسين رضي الله عنه / أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول / أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١٣) المسائل الماردينية/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١٤) القواعد النورانية الفقهية/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١٥) نظرية العقد/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.

١٦) نفائس/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.
١٧) الوصية الكبرى/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ.
١٨) الحموية/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
١٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
٢٠) نقض المنطق/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
٢١) العبودية/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
٢٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
٢٣) الإيمان/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
٢٤) تفسير سورة الإخلاص/ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ٧٢٨هـ.
٢٥) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي ت ٧٤٤هـ.
٢٦) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية/ لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.
٢٧) التفسير القيم لابن القيم/ لابن قيم الجوزية، جمعه: محمد اويس الندوي ٧٥١هـ.
٢٨) تفسير سورة الكافرون والمعوذتين/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.
٢٩) مدارج السالكين/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.
٣٠) رسالة في أحكام الغناء/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.
٣١) رسالة في أمراض القلوب/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.
٣٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٣٣) زاد المعاد في هدي خير العباد/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٣٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٣٥) اجتماع الجيوش الإسلامية/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٣٦) الداء والدواء/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٣٧) الفوائد/ لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٣٨) مختصر الفتاوي المصرية/ بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي البعلي ت ٧٧٨هـ.

٣٩) القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها/ ابن اللحام. أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن عباس البعلي ت ٨٠٣هـ.

٤٠) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين/ تقي الدين الفاسي (أبو الطيب محمد بن أحمد) ت ٨٣٢هـ.

٤١) بلوغ المرام من أدلة الأحكام/ شهاب الدين أحمد أبو الفضل ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ.

٤٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف/ علي بن سليمان بن أحمد المرداوي ت ٨٨٥هـ.

٤٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢هـ.

٤٤) جامع البيان في تفسير القرآن/ سعيد الدين محمد بن عبد الرحمن الإيجي الصفوي ت ٩٠٥هـ.

٤٥) شرح رياض الصالحين "دليل الفالحين"/ محمد بن علي بن محمد ابن علان الشافعي ت ١٠٥٧هـ.

٤٦) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب/ حسين بن مهدي النعمي ت ١١٨٧هـ.

٤٧) مختصر سيرة الرسول ﷺ / محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٠٦هـ.

٤٨) رسائل في مسائل التوحيد/ محمد بن عبد الوهاب ت ١٢٠٦هـ.

٤٩) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ت ١٢٨٥هـ.

٥٠) الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦هـ.

٥١) الأموال: لابن سلام الهروي.[١]

٥٢) جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود: للأسيوطي.[٢]

٥٣) شرح الكوكب المنير: ابن النجار.[٣]

٥٤) تيسير الوصول إلى جامع الأصول: لابن الديبع الشيباني.[٤]

٥٥) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار: عبد الرحمن بن سعدي.

٥٦) الذيل على طبقات الحنابلة. لابن رجب.

٥٧) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات ابن جرجيس. لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب.

٥٨) وسيلة الراغبين وبغية المستفيدين في علم الفرائض. لابن سلوم.

٥٩) الشريعة: للإمام: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري. ت ٣٦٠هـ.

---

[١] انظر: مجلة الاستجابة، عدد ٣ / ربيع الأول/١٤٠٧هـ. د/ طارق الهدية، ص١٣.

[٢] انظر: المصدر نفسه.

[٣] انظر: المصدر نفسه.

[٤] انظر: المصدر نفسه.

منهج الشيخ في التحقيق:

التحقيق هو/ الجهد الذي يبذله العالم في سبيل الوصول إلى نصٍ يجتهد في كونه مماثلاً لنص صاحبه في سبيل تيسير الإفادة منه.

لذلك فالتحقيق في صورته المثلى يغطي جانبين هما:

١) تحرير النص (بحيث يظهر أقرب ما يكون من مراد المؤلف).

٢) خدمة النص (ما يصاحب التحقيق من خدمة للكتاب من حواشي وتراجم وغير ذلك).

والتحقيق له ثلاث مدارس:

١) المدرسة التي تهتم بخدمة النص خدمة تتناول النص من جميع جوانبه، فيكثر في حواشيه التراجم والتخريج والمعاني والعزو والشروحات وغير ذلك.

٢) المدرسة التي جعلت همها الوصول إلى النص الأصلي كما يريده المؤلف بدون شروحات ولا إضافات.

٣) المدرسة الوسط بين الفريقين، فجمعت بينهما من غير إسراف ولا غلو ولم يطغ جانب على جانب وهذا ما عليه أكثر المحققين اليوم[1].

ولقد كانت طريقة الشيخ في التحقيق هي الجمع بين المدرستين الأوليين حيث كان تارةً يخرج الكتاب خالياً إلا من تعليقات يسيرة جداً تكاد لا تذكر، مثل كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، وكتاب رد الإمام عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد. وتارة أخرى يهتم بقضية الحواشي والتعليقات والعزو والتخريج، مثل كتاب جامع الأصول من أحاديث الرسول، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

---

[1] انظر: محاضرات في تحقيق النصوص – د/ أحمد الخراط، انظر: تحقيق النصوص ونشرها – عبد السلام هارون ص٤٢، ط٥، مكتبة السنة ١٤١٤هـ.

ويمكن أن نضع بعض الخطوط العريضة لمنهجه في التحقيق:

١. كان يتحرى إخراج النص كما هو في المخطوط، ويهتم بذلك ويحرص عليه أشد الحصر، حتى إنه إذا وجد بياضاً أو سقطاً حاول الرجوع إلى بعض الكتب الأخرى ليكمل النص، فإن لم يجد فإنه يحاول الوصول إلى أقرب لفظ للجملة.
٢. يفيض في شرح الكلمات الغريبة والمصطلحات الغامضة لتقريب المعنى المراد إلى ذهن القارئ.
٣. يكثر من ذكر التراجم سواءً كان ذلك للأعلام أو للفرق أو للإمكان.
٤. يعزو الآيات إلى أرقامها وسورها، والأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب، ويتطرق إلى الحكم عليها أحياناً كثيرة.
٥. له تعليقات نفيسة على كثير من الكتب التي حققها ونشرها مثل مدارج السالكين والشريعة واقتضاء الصراط المستقيم.

يقول – رحمه الله – في مقدمة كتاب إغاثة اللهفان وهو يرسم طريقته في التحقيق (ولقد عنيت أقصى جهدي بتصحيح الأصول، ومراجعة الآيات الكريمة وترقيمها برقم السورة والآية، أو ضبطها بالشكل الكامل، وبمراجعة الأحاديث، وتصحيح ألفاظها، وتخريجها قدر الطاقة وجهد الاستطاعة، وعنيت كذلك بتنظيم الكتاب، وتقسيمه إلى جمل تبتدأ كل جملة من أوائل السطور أو تُعرف بفواصل من الأصفار أو غيرها تيسيراً على القارئ وتقريباً لفهم المعنى والاستفادة).[1]

[1] انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢١/١ – دار الفكر.

ويقول كذلك (ونحن لا نزال دائبين في العمل على ترقية الطباعة وتحسين المطبوعات بما نستفيد من تجارب في الحياة، ودروس علمية وعملية، دائبين عليها ليلاً ونهاراً).[1]

ورغم جهوده في الطباعة والنشر والتحقيق إلا أنه كان ينشد الكمال، ويطلب من إخوانه النصح ويفسح لهم صدره مبدياً استعداده لآرائهم وتوجيهاتهم. إذ يقول (وأنا مع هذا معترف بالتقصير، ومقر بالعجز عن إيفاء الكتاب حقه التام، ولي في كرم القارئ، وسلامة قلبه، وحسن تقديره الأمل الكبير أن يعفو عن الزلات ويدعو لي...)[2]

وإن بدأ بعض الملاحظات حول الإخراج أو التحقيق أو الطباعة، فيكفي أن الشيخ من رواد عصره في هذا المضمار مع ما كان فيه من قلة الإمكانيات وعدم التقدم التقني في الطباعة - كما هو الآن — والنظرة القاصرة من المجتمع لكتب السلف؛ وزهدهم فيها.

---

[1] انظر: بلوغ المرام ، ص ١٠، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد حامد الفقي. مؤسسة الكتب الثقافية، ط٨، ١٤٢٠هـ.

[2] انظر: إغاثة اللهفان. ٢١/١

المبحث الثالث

أعماله ووظائفه

مارس الشيخ – رحمه الله – أعمالاً متعددة وكثيرة كان الرابط والجامع بينها همُّ الدعوة إلى الله تعالى.

فلقد بدأ الشيخ بداياته العملية في الإمامة والخطابة، حيث تنقل بين مساجد كثيرة لأسباب سوف أذكرها إن شاء الله في موقعها، إلا أنه لم يطل به المقام إلا في مسجدين اثنين، الأول: هو مسجد "شركس" الذي بدأ منه دعوته إلى التوحيد الصحيح والسنة الصحيحة حيث استطاع أن يوجد له قاعدة جيدة من محبيه الذين تأثروا بدعوته ومنهجه السلفي، ثم بعد ذلك انتقل إلى مسجد الهدارة بحي عابدين والذي كان قريباً من قصر الحكم.[1]

ثم إن الشيخ سافر إلى السعودية، حيث مكث فيها ثلاث سنوات. كان فيها من المقربين إلى الملك/ عبد العزيز – رحمه الله – فأسند إليه الكثير من الأعمال نظراً للمكانة العالية التي حَظِيَ بها عنده.

منها:

أولاً: تم تعيينه عضواً في هيئة مراقبة الدروس والتدريس في المسجد الحرام تحت رئاسة الشيخ/ عبد الله بن حسن.

ثانياً: تم تعيينه مدرساً بالمسجد الحرام.

وقد صدر أمر الملك/ عبد العزيز – رحمه الله – بهذين التعيينين ونشرته جريدة أم القرى. بتاريخ الجمعة ١٨ محرم سنة ١٣٤٧هـ.

ثالثاً: تم تعيينه عضواً في مجلس إدارة المعارف. وقد صدر أمر الملك/ عبد العزيز – رحمه الله – بهذا ونشر في جريدة أم القرى في نفس العدد السابق.

---

(1) أخبر بذلك الشيخ/ محمد عبد الوهاب البنا في مقابلة معه، وانظر: الموسوعة الميسرة ١٨٦/١، وانظر: الهدي النبوي ٢٢/١ السنة الأولى.

رابعاً: تم تعيينه رئيساً لشعبة الطبع والنشر لمديرية المعارف وقد صدر أمر الملك/ عبد العزيز – رحمه الله – بهذا في ١٣ محرم ١٣٤٧هـ ونشرته جريدة أم القرى بتاريخ ٢٥محرم سنة ١٣٤٧هـ.

خامساً: "تم تعيينه مدرساً بالمعهد العلمي بمكة المكرمة".[1]

إذ كان اسمه بداية المعهد الإسلامي السعودي واستمر به حتى عاد إلى مصر.

سادساً: تم تعيينه مدرساً للمطوفين بالمسجد الحرام حيث صدر الأمر بالموافقة على ذلك، ونشر في مجلة أم القرى بتاريخ الجمعة ١٢صفر ١٣٤٧هـ ص٢ في عدد رقم ٢٣٨.

سابعاً: ومن الأعمال التي قام بها – رحمه الله – تأسيسه لصحيفة الإصلاح والإشراف عليها وقت وجوده في المملكة حيث صدر العدد الأول في يوم الأربعاء ١٥صفر ١٣٤٧هـ. إذ كانت تصدر مرتين في الشهر وسوف أشير إلى ذلك عند الكلام عنها.

- ولقد عمل رحمه الله قبل سفره إلى المملكة في المطبعة السلفية(٢) في مصر لصاحبها محب الدين الخطيب حيث كان مصححاً ومشرفاً فيها.
- كذلك عمل في مدرسة الدعاة التي أسسها الشيخ/ رشيد رضا، والتي كان يدرس بها نخبة من أكابر الدعاة في مصر، وكذلك عمل في مطبعة المنار وقتاً لا بأس به.[3] وقد أكسبه هذا العمل خبرة جيدة ساهمت في إصداره لمجلة الإصلاح.
- ومن أعماله أيضاً رحمه الله تأسيسه لجماعة أنصار السنة المحمدية ومجلة الهدى النبوي. فقد أسس الجماعة عام (١٣٤٥هـ – ١٩٢٦م) بمدينة القاهرة.

واستمر يرأس الجماعة والمجلة ويدعو إلى الله ويدافع عن الدين والتوحيد إلى أن توفاه الله عام (١٣٧٨هـ – ١٩٥٩م)، حيث استمر في رئاسة أنصار السنة قرابة الثلاثين عاماً بخلاف فترة سفره.

---

[1] انظر: معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة ٢٠٧/٣، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[2] انظر: مجلة المنار (٤٨٠/٢٩).

[3] انظر: مجلة الهدي النبوي البريطانية، عدد١٠، سنة ١٤١٧هـ، ص٧.

- **ومن أعماله أيضاً:** القيام على طباعة الكتب ونشرها، عن طريق امتلاكه لمطبعة السنة المحمدية، والتي كانت تقوم على نشر الكتب الإسلامية عامة وكتب السلف خاصة.

وهذه المطبعة أنشأها الشيخ بعد أن عاد من السعودية حيث يقول الشيخ محمد عبد الوهاب البنا – حفظه الله – (عاد الشيخ من السعودية ومعه قرابة ثلاثين ألف من الجنيهات ومجموعة من كتب السلف فأنشأ مطبعة تقوم على نشر كتب السلف بالإضافة إلى طباعتها لمجلة الهدي النبوي) [1].

وقد استطاع الشيخ أن يربط الناس بالجماعة والمجلة بطريقة ذكية، وذلك عن طريق طرح أسهم للاكتتاب في المطبعة حتى تقوى العلاقة بين الطرفين ويكون ذلك أيضاً مساعداً لتيسير دفة العمل بالمطبعة.

ولقد كان لهذه المطبعة سمعة طيبة وخاصة في الجزيرة العربية حيث كان الشيخ يتولى طباعة الكثير من الكتب نظراً لثقة الناس فيه وفي منهجه السليم.

- **ومن أعماله:** كان الشيخ قد اعتاد الحج في كل سنة فكانت تبدأ دروسه ومواعظه بمجرد أن يصعد إلى الباخرة ثم تستمر في المسجد الحرام، ومسجد الخيف، ثم المسجد النبوي، وأخيراً في أثناء عودته إلى بلده.

لذلك كانت شركات الملاحة تتسابق لاستضافة الشيخ وتعيينه واعظاً على بواخرها لما له من مكانة في نفوس الناس.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا قوة همته رحمه الله حيث كان يدعو إلى الله بالخطب والدروس والمحاضرات، ويقوم على رئاسة الجماعة وما يتعلق بها من أعمال، والإشراف على مجلة الهدي والكتابة فيها، وطبع الكتب وتحقيقها ونشرها. فهذا جهد جماعة لا جهد فرد واحد، وإن دل على شيء فإنه يدل على أنه شخصية غير عادية همته تناطح الجبال.

(١) مقابلة مع محمد البنا، محرم ١٤٢٢هـ.

▫ إسهامات الشيخ في مجلة الهدي النبوي:

لقد كانت مجلة الهدي النبوي هي المتنفس الشامل الذي استطاع الشيخ من خلاله نشر دعوته وفكره ومبادئه إلى أكبر قدرٍ ممكن من الناس، فلا نعجب أن نجد الشيخ يتنقل من زاوية إلى أخرى يكتب في التفسير ويكتب في الفتاوى ويساهم في الردود ويهاجم المبتدعة والخرافيين ويشارك في شرح أحاديث الأحكام ويكتب بعض مذكراته ويعرِّف ببعض كتب السلف ودقائق الكنوز وغير ذلك.

وسوف أعرض إلى الجوانب التي شارك فيها الشيخ من خلال المجلة:

١. التفسير:

وقد تكلمت عن هذا سابقاً.

٢. الفتاوى:

فقد كان الشيخ يشارك في الإجابة عن الأسئلة التي تُرسل من القراء حيث كانت متنوعة في موضوعاتها، وكان يشاركه في الرد على الأسئلة نخبة من علماء الجماعة كأبي الوفاء محمد درويش وعبد الرحمن الوكيل وغيرهما.

٣. شرح لأحاديث الأحكام:

حيث أنه جمع مع اهتمامه بالعقيدة والتوحيد اهتمامه بجانب الفقه والحديث فاختار كتاب المحرر لابن عبد الهادي ورسم له منهجاً جميلاً في شرحه حيث قال (سأعتمد في عملي هذا على أمهات الكتب في فقه الحديث، كفتح الباري، والنووي على مسلم، والمغنى لابن قدامة، ونصب الراية، ونيل الأوطار وشرح العمدة لابن دقيق العيد، وسبل السلام لابن الصنعاني وما أجده من كلام الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، في الأحكام وأمثالها على وجه التحقيق والتمحيص للأقوال المختلفة واستخلاص المذهب الحق منها، مؤيداً بالدليل على قدر الاستطاعة وجهد المقل)[1].

---

(1) انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد٣، عدد ١ ، ص١٣.

والمتتبع لهذا الشرح الممتع يرى فيه قوة المَلَكَةَ في الاستنباط، وجودة في الصنعة الحديثية من جهة الإسناد والرواة والتخريج وما يتعلق بذلك.

٤. الردود:

فلقد كان الشيخ يرحمه الله يولي هذا الجانب اهتماماً جيداً خاصة لأولئك الكتّاب في المجلات والجرائد الأخرى الذين يسعون إلى نشر منكرٍ أو ترويج بدعة أو خرافة فكان لا يألو جهدًا في الرد عليهم وبيان عورهم وكشف أستارهم.

٥. الذكريات:

كان للشيخ رحمه الله زاوية بعنوان "كنت في الرياض العامرة" وكان يذكر فيها ذكرياته والأحداث التي وقعت له إبان تنقلاته في المملكة؛ وخاصة في الرياض، خلال زياراته للملك عبد العزيز وللعلماء آنذاك.

٦. التعريف بكتب السلف:

فقد كان يحرص على نشر ما تيسر من المخطوطات في ثنايا المجلة كيما يعرِّف بها الناس وينتشر نفعها بينهم، هذا خلاف التعريف بالكتب المخطوطة الأخرى والتي لا يمكن نشرها في المجلة.

٧. تعليقاته على مقالات المجلة :

حيث كان للشيخ تعليقات على بعض ما ينشر في المجلة من مقالات، إما للتوضيح مبهم أو تصحيح مفهوم، أو تسديد رأي أو بيان مشكل.

الفصل الرابع

جهوده في الدعوة إلى الله

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: جماعة أنصار السنة المحمدية.

المبحث الثاني: مجلة الهدي النبوي.

المبحث الثالث: مجلة الإصلاح.

المبحث الرابع: منهجه في الاتصال بالناس والمجتمع.

المبحث الخامس: منهجه الدعوي.

المبحث الأول

جماعة أنصار السنة المحمدية

جماعة أنصار السنة المحمدية جماعة إسلامية سلفية قامت في مصر أولاً، ثم انتشرت في غيرها من البلاد للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة، لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة الإسلامية[1].

أنشأ هذه الجماعة الشيخ/ حامد الفقي، وكان سبب إنشائها أمراً ربما كان خافياً على الكثير، حيث كان الشيخ حامد معيّناً من قِبل الأوقاف إماماً وخطيباً في مسجد الهدارة بعابدين والذي كان قريباً من قصر الحكم، حيث كانت خطبة قوية ومثيرة لعواطف الناس، فأُصدر أمرٌ يقضي بفصل الشيخ من الإمامة والخطابة[2].

أخذ الشيخ يفكر في هذا الأمر، حيث هداه تفكيره إلى إنشاء جماعة له ولمن معه لا تتأثر بفصل أحدهم أو غيابه أو حتى فقده لأن الدعوة التي تقوم على الأفراد والأشخاص في العادة تموت بموتهم، وتتوقف بتوقفهم وهكذا.

---

[1] انظر: الموسوعة الميسره (١/١٨٦).

[2] مقابلة مع الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام للجماعة، جدة.

ولقد مرت جماعة أنصار السنة بمرحلتين مهمتين في تاريخها:

المرحلة الأولى:-

عندما أسسها الشيخ الفقي رحمه الله وكان ذلك عام (١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م) في مدينة القاهرة مع جماعة نصبوا أنفسهم لإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة البدع ومحدثات الأمور، ودحض الأباطيل والأوهام والخرافات والترهات التي لا تمت إلى الدين بسبب[١].

(ولقد بدؤا لقاءاتهم الأولى على قهوة تسمى "قهوة علي قاسم" تقع على شارع البستان يجلسون حول واحد منهم يقرأ لهم في كتاب من كتب السنة.

لكن الانتقادات الموجهة إليهم، بالإضافة إلى شدة الضوضاء التي تمتلئ بها المقاهي في العادة، كانا سبباً في أن يفكروا في إيجاد دار لهم يجتمعون فيها، ويتعلمون فيها فأنشأوا داراً وأطلقوا عليها "جماعة أنصار السنة المحمدية" حيث كانوا يجتمعون فيها كل ليلة بعد العشاء يقرؤن كتب السنة ويتدارسونها فيما بينهم)[٢].

(بداية اتخذت الجماعة داراً متواضعة مقراً لها بحارة الطباخ بعابدين ثم انتقلت إلى حارة الدمالشه، وفي عام ١٩٤٨م انتقلت إلى مقرها الحالي بشارع "قَوَلَهْ")[٣].

كان يقف مع الشيخ مجموعة من الرجال جمعهم حب التوحيد والسير على نهج السلف الصالح، منهم محمد صالح شريف، وحسن أحمد، وعثمان صباح الخير، وحجازي فضل عبد الحميد، ومحمد عبد الوهاب البنا وغيرهم[٤].

استمرت لقاءات الإخوة في الدار والتفافهم حول الشيخ الفقي وجهرهم بدعوة التوحيد الخالص والإنكار على أصحاب البدع، إلى (أن سافر الشيخ إلى الحجاز مدة ثلاث سنوات، اعترى الجماعة في تلك الفترة نوع من

---

[١] انظر: جماعة أنصار السنة (ص: ٣).

[٢] انظر: مجلة الهدي النبوي (٢٢،٢٣/١) السنة الأولى وكذلك جماعة أنصار السنة (ص: ٣).

[٣] انظر: جريدة المساء. (ص:٨).

[٤] انظر: مجلة الهدي النبوي (٢٣/١) السنة الأولى، والموسوعة الميسرة (١٨٦/١).

الركود، ثم عاد الشيخ إلى مصر وجعل كل حياته في سبيل الدعوة واستطاع أن يعيد الجماعة إلى قوتها من جديد)[1].

(فقد وضع لها قانوناً وكوّن لها إدارات جديدة، فزاد عدد الفروع داخل القاهرة والجيزة، وانتقلت إلى الإسكندرية وبعض المحافظات وبلغ أتباعها الآلاف)[2].

وبعد أن استوى عود الجماعة وبلغ أشده، أسس الشيخ حامد رحمه الله مجلة الهدي النبوي، لتكون لسان حال الجماعة والمعبرة عن عقيدتها ودعوتها والناطقة بمبادئها، وتولى هو رئاسة تحريرها حيث شارك معه نخبة من رجال الدعوة والفكر في تحريرها، سوف يشار إليهم عند الكلام عن المجلة.

ومع كثرة الأعمال الدعوية وحاجة الجماعة لطبع مجلتها، وشغف الشيخ بتحقيق كتب السلف استطاع أن يُنشئ مطبعة السنة المحمدية لتقوم على خدمة الجماعة وخدمة كتب السنة.

(في تلك الأثناء كان قد اشتد الصراع بين الجماعة وأصحاب الطرق الصوفية من ناحية وبين الجماعة وأصحاب دعوات التغريب والعلمنة من ناحية أخرى)[3].

(استمرت هذه المرحلة إلى عام ١٩٦٩م، أي بعد وفاة الشيخ/ حامد الفقي بعشر سنين حيث أدمجت الحكومة المصرية جماعة أنصار السنة المحمدية بجماعة الجمعية الشرعية لتجميد نشاطها وإخماد صوتها)[4].

ولقد تعاقب على رئاسة الجماعة خلال هذه المرحلة عددٌ من الشخصيات الدعوية التي أثرت في الجماعة وهم:

١. المؤسس الشيخ/ محمد حامد الفقي (١٣٤٥هـ/١٩٢٦-١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).

---

(١) انظر: جماعة أنصار السنة (ص:٣،٤) ، انظر: صحيفة الشعب (٢٧/٢/١٩٩٨م ص:٦).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (١٨٧/١).

(٣) انظر: نفس المصدر.

(٤) انظر: المصدر السابق (١٨٩/١) ، انظر: جماعة أنصار السنة (ص: ٣٢-٣٩).

٢. الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي عطية (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م - ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

٣. الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

المرحلة الثانية:

إذا كان الشيخ حامد الفقي مؤسس الجماعة الأول، فإن الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي المعروف "بـ رشاد الشافعي" - الذي كان يشغل منصب سكرتير عام الجماعة والمشرف على الفروع قبل تجميد نشاطها - يعتبر المؤسس الثاني.

ذلك أنه عندما أُصدر قرار إيقافها ودمجها بالجمعية الشرعية، كان أشد الناس حزناً لذلك هو رشاد الشافعي والذي كان من المقربين من الشيخ حامد، وعندما تولى الرئيس أنور السادات، نشط رشاد الشافعي واتصل به اتصالاً مباشراً حتى استطاع إعادة الجماعة إلى حيِّز الوجود وأرض الواقع وتولى هو رئاستها وذلك عام (١٣٩٠هـ تقريباً)[١].

وكما أسس الشيخ الفقي رحمه الله مجلة الهدي النبوي فإن الشيخ رشاد الشافعي عمل على إصدار مجلة التوحيد، وقد صدرت أعدادها الأولى عام ١٣٩٣هـ، وتولى هو رئاستها وكان يكتب مقالاً ثابتاً فيها عنوانه " لماذا التوحيد"[٢].

ثم جاء بعده في الإشراف عليها الشيخ/ عنتر حشاد ثم جاء الشيخ/ أحمد فهمي وهكذا عاد النشاط للجماعة ولمجلة التوحيد حيث زاد عدد أتباعها وأنصارها وانتشرت فروعها في جميع أنحاء مصر.

---

(١) انظر: جماعة أنصار السنة (ص: ٤٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، انظر: الموسوعة الميسرة (١/١٩٠).

وفي عام (١٩٧٥م وفي حياة المؤسس الثاني للجماعة الشيخ رشاد الشافعي تم انتخاب الشيخ محمد علي عبد الرحيم رئيساً للجماعة خلفاً له، بعد أن تنازل له الشيخ رشاد الشافعي فجمع الله به شمل الجماعة وجنبها شر الفرقة.

ويعتبر الشيخ محمد على عبد الرحيم صاحب أطول مدة رئاسة في الجماعة بعد مؤسسها الأول إذ تولى رئاستها إلى أن تُوفي عام ١٩٩١م حيث كانت مدة رئاسته خمسة عشر عاماً)[١].

ولقد توسعت الجماعة في عهده في بناء المراكز الإسلامية التي تقدم خدمات متكاملة لعموم المسلمين، وبناء المستشفيات والمستوصفات بالإضافة إلى تقديم المساعدات والكفالات للأيتام والمحتاجين، وتضاعفت أعداد مجلة التوحيد في عهده من "٥" آلاف إلى "٣٦" ألف نسخة وكذلك عادت مؤتمرات الجماعة تُعقد كما كان في سابق عهدها[٢].

(ثم انتخب الشيخ محمد صفوت نور الدين الرئيس العام الحالي للجماعة خلفاً للشيخ محمد علي عبد الرحيم بعد وفاته[٣].

والشيخ صفوت أحد العلماء المهتمين بالسنة النبوية وعلومها ولقد تميزت فترة رئاسته بإنشاء المعاهد العلمية لتخريج الدعاة، وتقديم الكفالات لطلاب العلم، كما توسعت الجماعة في إنشاء المساجد وتسيير القوافل الدعوية وإنشاء مراكز تحفيظ القرآن، وإقامة الأسابيع الثقافية بشكل دوري في جميع فروع الجماعة على مستوى القطر المصري، وكذلك لم تهمل تقديم المساعدات للمحتاجين وكفالة الأيتام، بالإضافة إلى التصدي لمكافحة كافة أشكال التغريب والعلمنة للمجتمع المصري، مع الاهتمام بإبراز قضايا المسلمين والأقليات الإسلامية والتعريف بها من خلال مجلة التوحيد.

---

(١) انظر: جماعة أنصار السنة (ص ٥) ، وانظر: الموسوعة (١/١٩١).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (١/١٩١،١٩٠).

(٣) توفي الشيخ: محمد صفوت نور الدين – رحمه الله – هذا العام خلال كتابة هذه الرسالة وكانت وفاته في مكة المكرمة عام ١٤٢٣هـ

كما شهدت فترة رئاسته تنسيقاً وتقارباً مع الهيئات الرسمية مثل الأزهر ووزارة الأوقاف وغيرها)[1].

مقاصد الجماعة وأهدافها:

لقد حدد الشيخ حامد الفقي رحمه الله مقاصد وأهداف الجماعة في أمور وهي كما يلي:

١) دعوة الناس إلى التوحيد الخالص.

٢) إرشاد الناس إلى أخذ دينهم من نبعية الصافيين: صريح الكتاب وصحيح السنة.

٣) إرشادهم إلى أن نصوص الكتاب والسنة لا محيد عنها البتة.

٤) الدعوة إلى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صادقاً صحيحاً يحمل على اتخاذه مثلاً أعلى.

٥) الدعوة إلى مجانبة البدع ومحدثات الأمور.

٦) محاربة الخرافات والعقائد الفاسدة.

٧) إرشاد الناس إلى أن حياتهم الدنيوية والأخروية مرتبطة كل واحدة منها بالأخرى أوثق ارتباط.

٨) إرشاد الناس إلى أن الله تعالى مدح الخير ووعد فاعله بالمغفرة وذم الشر وتوعد فاعله.

٩) إرشادهم إلى أن الفسوق والعصيان نتيجة لعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر.

١٠) إرشاد الناس إلى أن أوامر الدين، ونواهيه هي رحمة بهم.

١١) إرشادهم إلى تحريم الرسول ﷺ بتشريف القبور لأنه ظلم يمقته الله.

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة (٢/١٩٢،١٩١).

١٢) إرشاد الناس إلى أن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى هلكة في الدنيا وشقاوة في الآخرة.

١٣) إرشاد الناس إلى أن موقفهم من صفات الرب سبحانه وتعالى يجب أن يكون مطابقاً لموقف الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم.

١٤) إرشاد الناس إلى أن أصل الداء هو سماحهم للنساء بارتياد الملاهي ودور السينما.

١٥) إرشاد الناس إلى وجوب تمسكهم بالرجولة لتظل لهم القوامة على نسائهم.

وزادت لائحة الجماعة على كلام الشيخ حامد الفقي:

١- توثيق روابط الإخاء والتضامن بين الجماعة والجمعيات الإسلامية الأخرى.

٢- التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على إحياء التراث الإسلامي.

٣- تنشئة الشباب تنشئة دينية وثقافية واجتماعية(١).

وقد لخَّص أحد قادة الجماعة "محمد حسين هاشم" مبادئ الجماعة في المؤتمر العام الذي عُقد في ثاني يوم من شوال سنة "١٣٥٧هـ" في القاهرة وقال فيه " فهذه عقيدة أنصار السنة المحمدية واضحة في مبادئها العشرة:

١) نعتقد أن الأصل في الدين هو الكتاب والسنة – أما الأئمة المجتهدون والعلماء والمحدثون فهم أئمة خدموا الإسلام أجَلّ خدمة، وهم بمنزلة المعلمين

(١) انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين/ حسين محمد على جابر (ص:٢٦٥،٢٦٤)، دار الوفاء للطباعة مصر ، ط١، ١٤٠٧هـ.

والمبلغين، نحبهم ونجلهم ونعظمهم وندافع عنهم، ونتبعهم اتباع المستنير المتأمل لوجوه الاستدلال لمن يكون من أهل التأمل والاستدلال ثم نتعاون فيما نتفق عليه، ونتسامح فيما نختلف فيه[1].

٢) نعتقد أن صفات الله عز وجل هي كما وصف نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، حقيقة من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، ثم نكّف عن الجدل في ذلك، ونسكت عما سكت عنه الصحابة والسلف، ونتكلم حيث تكلموا، لنا فيهم أسوة حسنة، ونشتغل بالحكمة الإلهية في الخلق والتشريع.

٣) نعتقد إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادة من نذر وحلف واستغاثة واستعانة.ثم مقاومة كل من يوجه شيئاً من ذلك صريحاً أو تأويلاً بتغيير اسمه إلى غير الله.

٤) نعتقد أن الإيمان هو التصديق الإذعاني الذي ينتج العمل ويظهر على الجوارح وكل نقص في العمل مع التمكن منه والقدرة عليه هو نقص في الإيمان بقدره وليس الإيمان مجرد الحكم بثبوت الشيء أو ادعائه أو التلفظ به، إنما هو قول وعمل واعتقاد وأخلاق وآداب.

٥) نعتقد أن البدعة الشرعية[2] هي كل جديد في العبادات على غير مثالٍ سابق من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان في أصله أو طريقة أدائه.

٦) نتفانى في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نتمسك جهد المستطاع بكل ما أمر ونتجنب كل ما نهي والإكثار من الصلاة والسلام عليه وعلى آل بيته الأطهار.

٧) نعتقد أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث – وأن الله سبحانه وتعالى يشفّع من يشاء من عباده لمن ارتضى وأنه ﷺ صاحب الشفاعة الكبرى وأنه صاحب المقام المحمود والجاه العظيم يوم القيامة.

---

(١) يعني إذا كان في الأمور الإجتهادية.

(٢) الذي يظهر من هذه الكلمة: أي بالمعنى الشرعي الإصطلاحي.

٨) نقرأ القرآن للذكرى والتدبر﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[1] ونعترف أن استنباط الأحكام منه يكون من اختصاص أهل العلم.

٩) نعتقد أن الدين الإسلامي جماع الخير في الدين والدنيا يريد من أهله أن يكونوا أقوياء محسنين في أعمالهم حتى يكونوا ورثاء الأرض.

١٠) نعتقد أن الإسلام دين دولة وعبادة وحكم وأنه صالح لكل زمان ومكان[2].

وسائل الجماعة لتحقيق أهدافها:

سلكت الجماعة وسائل عدة لتحقيق الأهداف المذكورة سابقاً منها ما يلي:

١) الدعوة للمؤتمرات في المناسبات المختلفة لتوعية العامة.

٢) محاربة الأمية عن طريق:

أ- فتح فصول دراسية في كافة فروع الجماعة ومساجدها.

ب- إعداد مدارس للتعليم الإعدادي والثانوي لتقوية الطلبة.

ج- إعانة الطلبة المستحقين لتمكينهم من مواصلة دراستهم.

٣) البدء بالفقراء والمساكين بقدر ما تسمح به مالية الجماعة.

٤) رعاية الأعضاء وأسرهم اقتصادياً وصحياً واجتماعياً.

٥) إلقاء المحاضرات العامة في الأخلاق الإسلامية والآداب الاجتماعية.

٦) طبع الكتب المؤيدة للسلف الصالح ونشرها بين المسلمين.

٧) إصدار مجلة دينية علمية وتوزيعها بين المسلمين لتثقيفهم.

٨) إقامة المساجد والمدارس والملاجئ ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم لتنشئة أبناء المسلمين على العقيدة الإسلامية الصحيحة.

---

[1] انظر: سورة القمر، آية: (١٧).

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي (٢٠/ ٣٩،٣٨)، السنة الثالثة، انظر: الموسوعة الميسرة (١/١٩٧،١٩٦)، انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين (ص: ٢٦٧،٢٦٦).

٩) إصدار الرسائل في الموضوعات التي تهم جميع المسلمين وبيان رأي الجماعة فيها.

١٠) تعليم المسلمين السيرة والسنة النبوية علماً وعملاً في مساجد الجماعة.

١١) تيسير رحلات الحج والعمرة تيسيراً منظماً وتحت إشراف الجماعة ومن خلالها[1].

الهيكل الإداري للجماعة:

يتكون هيكل المركز العام للجماعة:

١- الرئيس العام للجماعة وهو الذي ينتخب من قِبلَ الجمعية العمومية للجماعة.

٢- الجمعية العمومية للجماعة مكونة من أعضاء الفروع الأخرى.

٣- مجلس إدارة شئون الجماعة، وهو المجلس الذي ينتخب من بين أعضاء الجمعية العمومية للجماعة.

٤- الهيئة التنفيذية لأعمال الجماعة وهي المعينة من قبل أعضاء مجلس الإدارة ومناصبها كما يلي:

أ. الرئيس.

ب. نائب الرئيس.

ج. الوكيل.

د. السكرتير.

هـ. أمين الصندوق.[2]

---

[1] انظر: الطريق إلى جماعة المسلمين (ص: ٢٦٨،٢٦٧).

[2] انظر: المصدر نفسه، (ص: ٢٧٠).

الانتشار ومواقع النفوذ:

أنصار السنة كمنهج ليس لها مكان معين فهي منتشرة في أكثر البلاد والأقطار لكونه مصطلحاً يندرج تحته كثير من الجمعيات والجماعات التي هديت إلى متابعة الكتاب والسنة.

وتتركز جماعات أنصار السنة المحمدية في مصر، حيث أصبح لها في مصر قرابة المائة من الفروع والألف من المساجد، كما تتركز في السودان وإرتريا وليبيريا وتشاد وأثيوبيا وجنوب أفريقيا وبعض الدول الأفريقية وكذلك بعض الدول الآسيوية مثل: تايلاند وسيريلانكا، وفي كل دولة تقريباً يوجد للجماعة مركز تتبعه فروع موزعة على المناطق والأقاليم؛ إلا أنه لكل جماعة قيادة مستقلة في كل دولة، مع أنه يجمعهم جميعاً منهج واحد.

كما أن للجماعة علاقات وطيدة بجماعات الدعوة السلفية في مصر وعلماء الدعوة بالسعودية، وبجمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت ودار البر بالإمارات العربية، وجمعية التربية الإسلامية بالبحرين وجمعية أهل الحديث في شبه القارة الهندية والجمعية المحمدية في جنوب شرق آسيا وبالعديد من الجمعيات والاتحادات السلفية في أوروبا وأمريكا والجمعيات السلفية في أفريقيا[1].

هيئة علماء جماعة أنصار السنة:

لقد حرص الشيخ حامد الفقي رحمه الله على أن يكون للجماعة قوة علمية تضفي على الجماعة قوةً على قوتها، فما كان منه إلا أن اختار نخبة من العلماء السلفيين يُشرفون على الجماعة وعلى المجلة سواءً كان ذلك إفتاءً أو تحريراً وكتابة في المجلة أو قياماً على أمر الجماعة وتربيةً لهم ولقد شكلت هيئة علماء جماعة أنصار السنة وهم:

١) الشيخ محمد عبد الحليم الرمالي — مفتش المساجد.

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة (١٩٩/١).

٢) الشيخ محمد حامد الفقي — من علماء الأزهر.

٣) الشيخ أحمد شاكر — القاضي بالمحاكم الشرعية.

٤) الشيخ محمد عبد السلام — المدرس بكلية الشريعة.

٥) الشيخ عبد الوهاب عيسوي — واعظ عام بالقاهرة.

٦) الشيخ محمد محمد مخيمر — إمام وخطيب.

٧) الشيخ عبد الرزاق عفيفي — خريج التخصص في الشريعة.

٨) الشيخ إبراهيم عبد الباقي — إمام وخطيب.

٩) الشيخ محمد حمدي — إمام وخطيب.

١٠) الشيخ عبد الحميد عبد السلام — إمام وخطيب[1].

وهذا لا يعني أن الجماعة لم يكن بها غير أولئك من العلماء بل كان ينتسب إليها كثير من العلماء والدعاة والجهابذة سواء كانوا في القاهرة أم في المحافظات الأخرى منهم على سبيل المثال الشيخ أبو الوفاء محمد درويش، الشيخ محمد خليل هراس والشيخ محمد علي عبد الرحيم وغيرهم كثير.

علاقة أنصار السنة بالسعودية:

كان للاتجاه السلفي الذي سلكته جماعة أنصار السنة المحمدية أثرٌ في قوة علاقتها بالمملكة العربية السعودية إذ يجمعهم نفس المنهج سواءً كان ذلك مع السلطة الحاكمة والتي كان يمثلها الملك عبد العزيز رحمه الله أو مع العلماء والذين كان يرأسهم مفتي الديار السعودية آنذاك محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله.

إضافة إلى ذلك كانت الجماعة في مصر تتعرض لكثير من الاتهامات والتنديد والتبكيت وتوصف بأوصاف مكذوبة ومفتراة من بغضهم للأولياء وضلالهم وانحرافهم وأنهم وهابيون ضالون...!!

---

(١) انظر: مجلة الهدي النبوي عدد ١ (ص: ٢٤) ، انظر: مجلة التوحيد عدد ذي القعدة سنة ١٤١٦هـ (ص: ٥٥-٥٦).

هذا كله جعل العلاقة تقوى بينهما فلا نعجب أن نرى كثيراً من أفراد الجماعة سافروا إلى المملكة العربية السعودية وعملوا بها واستقروا بها وكانت لهم مكانة عظيمة في المجتمع السعودي ومازالت إلى الآن.

ومن تلك الأسماء التي كان لها أثر جيد ومميز:

١. **الشيخ محمد حامد الفقي.**

٢. **الشيخ محمد علي عبد الرحيم:** حيث وقع عليه اختيار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم في عام "١٣٧٠هـ" ليقوم بتأسيس المعاهد العلمية ووضع مناهجها بالمملكة وكذلك وُكِلَ إليه تأسيس مدارس البنات بوضع المناهج الخاصة بتعليم البنات حيث شارك في وضع خطوطها الرئيسية ووضع المناهج ونظم التعليم والتوجيه بها، كما كان يقوم بالتدريس بالمسجد الحرام خاصة في شهر رمضان ومواسم الحج وكان يحضر مجلس العلم الذي كان يعقده الملك عبد العزيز بقصره بالمربع وذلك يوم الاثنين من كل إسبوع[1].

٣. **الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح:** إمام وخطيب المسجد الحرام (١٣٠٠هـ - ١٣٧٠) كان من العاملين النشيطين في مجال الدعوة في مدينة الإسكندرية وقد دعاه الملك عبد العزيز في سنة ١٣٤٥هـ ليكون عضواً في مؤتمر مكة المكرمة في ذلك العام، ولقد كان يتميز بجمال الصوت وحسن التلاوة وجودت الحفظ، طلب منه الملك/ عبد العزيز أن يكون إماماً وخطيباً للمسجد الحرام واستمر في المسجد الحرام قرابة ربع قرن حيث كانت له دروس فيه وخاصة في مجال التوحيد، ولقد كان له أثرٌ كبيرٌ في تأسيس دار الحديث بمكة سنة ١٣٥٢هـ حيث رحب الملك عبد العزيز بها وخصص لها

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة (١/١٩٠)، انظر: جماعة أنصار السنة (ص: ٤٨-٥١)، انظر: مجلة التوحيد عدد رجب ١٤١٦هـ (ص: ٤١-٤٣).

مبالغ مالية سنوية. ولقد ظل الشيخ أبو السمح مديراً لدار الحديث ثمانية عشر عاماً ومشرفاً عليها وقائماً عليها[1].

٤. **الشيخ عبد الرحمن الوكيل:** "١٣٣٢-١٣٩٠هـ" : من أنصار السنة المحمدية المبرزين حيث كانت له مكانة عظيمة عند الشيخ/ حامد الفقي. ولقد انتخب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض مع فضيلة الشيخ/ محمد عبد الوهاب البنا في نهاية عام "١٣٧١هـ" ثم عاد إلى مصر حيث انتخب رئيساً للجماعة خلفاً للشيخ عبد الرزاق عفيفي، فلما أدمجت الجماعة بالجمعية الشرعية وتوقفت مجلة الهدي النبوي أنتدب أستاذاً بكلية الشريعة بمكة المكرمة حيث كان أستاذًا للعقيدة بقسم الدراسات العليا حتى توفاه الله عام "١٣٩٠هـ" ودفن بالحجون[2].

٥. **الشيخ عبد الرزاق عفيفي عطية** "١٣٢٣ – ١٤١٥هـ": أول رئيس للجماعة بعد مؤسسها الأول انتدب للعمل في المملكة العربية السعودية مدرساً بدار التوحيد بالطائف ثم نقل إلى الرياض في شهر شوال ١٣٧٠هـ للتدريس بالمعاهد العلمية ثم نُقل للتدريس بكليتي الشريعة واللغة بأمر خاص ثم عاد إلى مصر وانتخب رئيساً للجماعة إلا أنه لم يلبث إلا قليلاً حيث عاد إلى المملكة وعمل فيها حتى جُعل مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ ووضع مع لجنة متخصصة مناهجه ودرَّس فيه وأشرف على كثير من رسائله.

ثم نقل عام "١٣٩١هـ" إلى الإدارة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلده١، عدد٣، ص١٠٨. انظر: مجلة التوحيد عدد رمضان ١٤١٦هـ (ص: ٤٥-٤٧).

[2] انظر: مجلة التوحيد عدد ٥ جمادى الأولى ١٤١٦هـ (ص: ٣٤-٣٧)، انظر: "جماعة أنصار السنة (ص: ٣٢-٣٦)، وكذلك الموسوعة الميسرة (١/١٨٩).

والإفتاء مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة وقد ظل كـذلك إلى أن توفاه الله في عام "١٤١٥هـ"[١].

ومنهم كذلك الشيخ د. محمد خليل هراس والشيخ/ محمد جميل غازي والشيخ/ محمد عبد الوهاب البنا والشيخ/ محمد عبد الرازق حمزه والشيخ/ عبد القادر شيبة الحمد وغيرهم.

كما أن الملك/ عبد العزيز يرحمه الله قام بإرسال اثنين من الدعاة إلى مصر للمساهمة في نشر المنهج السلفي هناك وهما الشيخ/ عبد العزيز بن راشد النجدي والشيخ/ عبد الله بن علي بن يابس وقد قاما على نشر دعوة التوحيد خير قيام وعاشا فترة طويلة في مصر حتى توفاهما الله[٢].

---

[١] انظر: مجلة التوحيد عدد ٤ ربيع ثاني ١٤١٦هـ (ص: ٤٧-٥٠)، انظر: جماعة أنصار السنة (ص: ٢٦-٣١) انظر: الموسوعة الميسرة (١/١٨٨-١٨٩)، انظر: كتاب "عبد الرزاق عفيفي" حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة – محمد بن أحمد سيد أحمد، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ.

[٢] انظر: مجلة الإصلاح – خاتمة العام الثاني ، انظر: مجلة البيان عدد (١٦٢/٦٦)، انظر: مقابلة مع الشيخ محمد عبد الوهاب.

المبحث الثاني

مجـلــة الإصــلاح

حرص الشيخ حامد الفقي رحمه الله على اغتنام جميع الفرص التي يمكـن مـن خلالها تبليغ دعوة الحق والدعوة إلى الله سبحانه لأكبر قدر ممكن من الناس، فسـعى بخطىً حثيثة إلى إصدار مجلة يمكن من خلالها فعل ذلك وتكون رائدة في هذا المجـال ومنارةً أخرى إلى جانب المنار.

يقول **الشيخ رحمه الله**: (... وطالما تمنت نفسي أن أصـدر صـحيفة دينيـة علمية تضم صوتها إلى صوت المصلحين وتتعاون وإياهم على ما هـم بسـبيله مـن دعوة الحق وإرشاد إلى الصلاح)[1].

ولما التقى بالملك عبد العزيز وأطلعه على هذه الفكرة وشرح لـه مقاصـدها وأهدافها استبشر الملك عبد العزيز بهذا الأمر وأخبر أن هذا عمل قيِّم والمسـلمون في حاجة إليه، ثم زوده بكثير من النصائح كاتباعها للحق وبعدها عن التعصب المـذموم وأن تحدّث الناس بما يفهمونه وأن تتجنب كل ما يثير النزاع والخصـومة وأن يكـون على الإجمال شعارها الاعتصام بما كان عليه رسول الله ﷺ من علم وأدب وأخـلاق ثم أردف قائلاً: (إذا سلكت الصحيفة هذه الطريقة الحكيمة كان حقاً علـى كـل مخلصٍ أن يقدم لها ما يقدر عليه من مساعدة مادية وأدبية، وأنا أول المسـاعدين لهـا على ذلك)[2].

يقول الشيخ الفقي: (لما سمعت كلام جلالة الملك، وما فـاه بـه أطـال الله عمره من هذه الدرر الغالية والنصائح الجميلية، وما رسمـه للصـحيفة مـن الخطـة العادلة المفلحة، خالجني من السرور ما كاد يطير بي خصوصاً وأنها سيكون مركزهـا في البلد الأمين الذي هو أشرف بلاد الأرض)[3]. وفعلاً بدأ الشيخ في تنفيـذ هـذه

---

(1) انظر: مجلة الإصلاح، مجلد١ (١/٤).

(2) انظر: مجلة الإصلاح، مجلد١ (١/٥،٤).

(3) انظر: مجلة الإصلاح مجلد١ (١/٥).

المهمة الشاقة مستعيناً بالله وأخذ يرتب أبوابها ويستعين ببعض من يثق فيهم للمساهمة بأقلامهم وبأفكارهم في تطوير المجلة.

صدر العدد الأول منها في يوم الأربعاء "١٥ صفر سنة ١٣٤٧هـ / الموافق ١ أغسطس سنة ١٩٢٨" إذ كانت تصدر مرتين في الشهر، (وقد لاقت المجلة رواجاً وقبولاً عند كثير من رجال الفضل، وقواد حركات الإصلاح الإسلامي، في نجد والحجاز ومصر والشام والهند وغيرها من البلدان الإسلامية)[١]. وقد صدر العدد الأخير بتاريخ (١ صفر ١٣٤٩هـ/ الموافق ٢٧ يونيو ١٩٣٠م).

وقد ذكرت صحيفة أم القرى في التعريف بها ما نصه: (الإصلاح مجلة دينية علمية اجتماعية أخلاقية تصدر مرتين في كل شهر بمكة المكرمة، أصدرتها شعبة الطبع والنشر بمكة المكرمة ومديرها الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقي)[٢].

وقالت مجلة الفيصل عنها: (الإصلاح أول مجلة صدرت في المملكة العربية السعودية وذلك في عام ١٣٤٧هـ وكان مديرها الشيخ محمد حامد الفقي)[٣].

أغراض المجلة:

ذكر الشيخ حامد رحمه الله أن لها غرضين رئيسيين:

أولاً: (خدمة الإسلام الصحيح والذب عنه، ونشر محاسنه وغسل أوضار الخرافات، والضلالات عن وجهه المشرق الجميل)[٤].

ثانيا: يقول رحمه الله: (وقد كان قصدي الثاني من إنشاء المجلة أن تُطبع في مكة المكرمة لينعش ذلك من روح الطباعة في الحجاز، وليكون من وراء ذلك التقدم في الثقافة العلمية، لأننا نرى آثار هذا التقدم السريع في البلاد التي كثرت بها أدوات النشر وآلات الطباعة)[٥].

---

[١] انظر: مجلة الإصلاح مجلد٢، عدد ١ ص٢.

[٢] انظر: أم القرى عدد ١١(ص: ٣) بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٤٧هـ.

[٣] انظر: مجلة الفيصل/ عدد ١٩٦(ص: ١١٥) بتاريخ شوال ١٤١٣هـ.

[٤] انظر: مجلة الإصلاح مجلد ٢ ، عدد ١٧، ص٦٧٨.

[٥] انظر: المصدر نفسه، (ص: ٦٨٠).

ملاحظة مهمة:

لقد ذكر الشيخ رحمه الله أن سبب تركه لجماعة أنصار السنة المحمدية التي أسسها في مصر، هو سعيه في تحقيق الغرضين السابقين إذ يقول رحمه الله: (كان عند مدير مجلة الإصلاح وهو بمصر أمنية طالما عاش بها وكثيراً ما جاش صدره بتحقيقها، وهي إنشاء مجلة تكون لسان هذه الدعوة، ورسولاً يبلغ عنه إلى الناس القصية بلادهم؛ ما يريد نصحهم به من تجنب البدع، والفرار من الخرافات، واتباع ملة إبراهيم حنيفاً... فما هو إلا أن وفقه الله وأعانه وأُنشئت الإصلاح في بلد الله الحرام بمعونة ورعاية الملك عبد العزيز أدام الله تأييده)[1].

ثم بيَّن رحمه الله الحزن الذي أصاب الجماعة بمصر؛ يوم عزم على الإقامة بمكة لإنشاء المجلة، ولكن ما خففه هو أنه كان خدمة للدين وسعياً في صلاح المسلمين.

منهج المجلة:

كان للمجلة منهجٌ مميزٌ في النصح والإرشاد والدعوة إلى الكتاب والسنة، ويمكن أن أجمل ذلك في أمور عدة.

١. تقديم النصح والإرشاد لأهل الجزيرة في شئونهم الدينية والاجتماعية والأخلاقية.
٢. تكون همزة وصل بين أهل هذه البلد وإخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها.
٣. تدعو إلى حسن الخلق والأدب الجم والبعد عن الفتن.
٤. بث روح الوعي والعزة في نفوس شباب الأمة.
٥. بيان أمور الدين وما يتعلق به بأسهل عبارة وأقصر طريق.
٦. محاولة إيصال ما سبق إلى بقية البلدان الإسلامية على قدر جهدها[2].

---

(١) انظر: مجلة الإصلاح (مجلد ٢/٦٧٩-٦٨٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (مجلد ١ ، عدد ١ ، ص٦).

مدة بقائها:

استمرت المجلة لمدة سنتين، حيث صدر في العام الأول ثمانية عشر عدداً وصدر في الثانية سبعة عشر عدداً. وعاد الشيخ بعد ذلك إلى مصر للقيام على شئون الجماعة هناك.

موضوعاتها:

لقد حاول الشيخ رحمه الله أن تكون المجلة مبرِّزةً في جميع أبوابها ومميزةً في مقالاتها وكتَّابها.

وقد استطاع أن يُوجد منها حديقة غنَّاء، متنوعة المواضيع، تجعل كل من يقرؤها يعجب بها غاية الإعجاب، ويمكن أن أجمل موضوعاتها من خلال الاستقراء للمجلة بما يلي:

١) باب ثابت في التفسير.
٢) أخبار العالم الإسلامي.
٣) فتاوى للقراء.
٤) باب الأدب والشعر.
٥) من دقائق الكنوز والمخطوطات.
٦) مقالات توجيهية وأخلاقية ودعوية.
٧) مقتطفات لبعض الصحف والمجلات.
٨) تراجم للأعلام.
٩) نوادر وطُرف.
١٠) نقولات من بعض الكتب والمحاضرات.
١١) محاربة البدع والخرافات.
١٢) أخبار داخلية ومحلية مهمة.

أبرز الكتّاب فيها:

١. محمد حامد الفقي	مؤسس المجلة
٢. محمد بهجة البيطار	المدرس بالمسجد الحرام والمعهد السعودي.
٣. محمد عبد الظاهر أبو السمح	إمام وخطيب المسجد الحرام.
٤. إبراهيم الشورى	مدير المعهد السعودي.
٥. محمد عبد العزيز الخولي	المدرس بدار العلوم العليا.
٦. حافظ وهبة	مستشار الملك عبد العزيز.
٧. عبد العزيز جاويش	مراقب التعليم بوزارة المعارف العمومية المصرية
٨. أحمد إبراهيم الغزاوي	عضو مجلس إدارة المعارف وشاعر معروف.
٩. محمد رشيد رضا	صاحب المنار.
١٠ محمود شوقي الأيوبي	شاعر معروف.

وغيرهم.

والمقالات الموجودة في المجلة لا تخلو من حالين:

أولاً: أن تكون المقالة أصلاً للمجلة دون غيرها وهذا هو الأكثر.

ثانياً: أن تكون لغير المجلة، ولكن للفائدة العظيمة فيها تُنشر في المجلة مع التنبيه لذلك في المقدمة أو الهامش، وهذه المقالات ليست بالكثيرة.

الثناء عليها:

استبشر العلماء والدعاة الذين وصلت إليهم هذه المجلة، وأثنوا عليها خيراً. وهذا يظهر من خلال تقريظهم الموجه إليها، ونذكر منهم:

أولا: الداعية المعروف الشيخ محمد رشيد رضا: الذي أثنى عليها وعلى مؤسسها خيراً، فبعد أن ذكر وصفاً للمجلة ولأهدافها قال: (...وكان مما عني به فيها؛ نشر تفسير للقرآن، الغرض من نشره فهم القرآن من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الأولى والآخرة...الخ، فهو ينحو فيه نحو ما نذكره في الترجمة عن تفسير المنار، بل موضوع مجلة الإصلاح بعض ما بيناه من

مقاصد مجلة المنار عند إنشائها في سنة ١٣١٥هـ فنتمنى أن تكون خير عون لنا وخير نصير...)[١].

ثانياً: الشيخ محمد بهجة البيطار حيث قال: (وفق الله تعالى صديقنا الشيخ حامد الفقي الأزهري إلى إصدار صحيفة الإصلاح الغراء في البلد الأمين، فكان إنشاء هذه المجلة الدينية في هذه الديار — في وقت اشتدت فيه غربة الإسلام وبلاد المسلمين في الأمصار الإسلامية كلها — فائدة من أجلّ مآثر خدمة الإسلام...، طالعت أعداداً من هذه الصحيفة فألفيت فيها مباحث قيمة ومقالات دينية وعلمية وأدبية شيقة ولا عجب فمديرها سلفي المعتقد، إصلاحي المنزع، صافي المشرب، ثابت العزيمة، دؤوب على العلم، سليم الذوق، حسن الإختيار...)[٢].

أين كانت تطبع؟..

بداية كانت تطبع في المطبعة الماجدية في مكة، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى المطبعة السلفية لأصحابها عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح نصيف وشركائهما بمكة أيضاً، واستمرت تطبع فيها حتى توقفت المجلة.

أسباب توقف المجلة:

استمر الشيخ يصدر مجلة الإصلاح لمدة سنتين حيث كان المجتمع الذي يحيط بالشيخ مجتمعًا يعينه ويعضده في دعوته، ولكن الوضع في مصر لم يكن كما أراده الشيخ فلقد اعترى جماعة أنصار السنة نوعٌ من الفتور دبَّ في الجماعة وأعضائها.

فرأى الشيخ بثاقب بصره أن وجوده في مصر أنفع وأجدى لمصلحة الدعوة فآثر الرجوع إلى مصر والقيام على شئون الجماعة.

إلا أنه لم يحمل أحدٌ أمانة القيام على المجلة حيث كان من الصعب القيام بذلك بسبب ما تحتاج إليه المجلة من خبرة وقدرة على إدارتها وتولي شؤونها فأدى ذلك إلى توقفها.

---

(١) انظر: مجلة المنار (٢٩/٤٨٠).

(٢) انظر: مجلة الإصلاح عدد الأحد ١٥ رمضان ١٣٤٧ (ص: ٢٢،٢١).

المبحث الثالث

مجلة الهدي النبوي (ربيع الثاني/ ١٣٥٦هـ)

لقد حرص الشيخ حامد الفقي رحمه الله بعد عودته من المملكة العربية السعودية على إنشاء مجلة تقوم على تبليغ رسالة الجماعة ونشر العقيدة الصحيحة بحيث يمكن لهذه المجلة أن تخاطب جميع الطبقات وفئات المجتمع.

فلقد اكتسب الشيخ خلال فترة مكثه في المملكة خبرة جيدة من خلال تلك الأعمال التي أسندت إليه والتي من ضمنها إنشاء مجلة الإصلاح فسعى إلى أن تواصل مجلة الهدي النبوي ما بدأته سابقتها.

يقول الشيخ حامد في مقدمة أول عدد لها بعد أن ذكر ما تعج به المجتمعات الإسلامية من جهل وانحراف وبُعْد عن المنهج الصحيح (واعلم أنه لا يعود بالمسلمين سيرتهم الأولى ويرد إلى قلوبهم شجاعتها وغيرتها إلا تضافر أيدي أولئك النفر الوسط المهتدين إلى انتشال من اجتالتهم الشياطين والعمل على إظهار محاسن الإسلام).

ثم بيَّن رحمه الله أن من أسباب إعادة الناس إلى دينهم حسن الاتصال بهم وإسماعهم دينهم الحق وذلك من خلال قنوات الاتصال المتاحة، ومنها عمل الصحف والمجلات حيث يقول: (ولقد أصبح ذلك العمل غير ميسور على وجهه الأكمل إلا بواسطة الصحف التي تنتشر في البلاد وتدخل على كل أمير وعظيم وحقير وكبير وصغير).

ثم يقول رحمه الله: (ولطالما تمنت نفسي أن أصدر صحيفة دينية علمية تضم صوتها إلى صوت المصلحين وتدعو إلى الحق والرشاد والعلاج ولقد حقق الله الأمنية وهو المستعان فلقد أخرجت جماعة أنصار السنة المحمدية مجلتها المباركة "الهدي النبوي" لتحقيق ومعالجة الأمراض والأدواء التي تنخر جسم المجتمع الإسلامي في هذا العصر)[1].

---

[1] انظر: العدد الأول من الهدي النبوي – الافتتاحية بقلم الفقي.

ويقول **الشيخ عبد الرزاق عفيفي**: (قامت الجماعة بإنارة القلوب غير أن عملها كان بطريق الدروس والمحاضرات والمناظرات التي تُلقى في أنديتها المختلفة بالقاهرة وضواحيها وهذا غير كافٍ ولا وافٍ بالحاجة في هذا العصر الذي عم فيه الجهل وانتشرت الخرافات، فرأت الجماعة أن لا بد لها من الإمعان في الطريق الآخر طريق النشر والتأليف فاختارت لذلك مجلة الهدي النبوي)[1].

غرض المجلة:

يقول **الشيخ الفقي** عن هذا الأمر: (إن من أول أغراض هذه المجلة أن تقدم ما تستطيعه من خدمة ونصح وإرشاد في الشئون الدينية والاجتماعية والأخلاقية، أخذت على نفسها موثقاً من الله أن تنصح فيما تقول وأن تتحدى الحق وأن لا تأخذ إلا ما ثبت بالدليل والحجة والبرهان الصحيح من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام).[2]

ويقول كذلك **الشيخ عبد الرزاق عفيفي**: (وهو يبين منهج المجلة في إصدارالها: (وستنتهج إن شاء الله نهج الكتاب والسنة وتقوم على بيانهما خير قيام متوسمة طريق السلف من رجال الحديث مستعينة بما وضعوا من القواعد على أداء هذه الرسالة وتبليغ الدين على الوجه الأكمل)[3].

ويمكن إجمال المنهج فيما يأتي:

١) القيام على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢) تقديم النصح والإرشاد في كل ما يهم المسلم من نواحي حياته المختلفة.

٣) تتحرى الحق في كل ما تنادي به وتنشره.

٤) اعتمادها الأول على كتاب الله وسنة رسول الله ثم ما يوافق العقل الصريح والحجة الواضحة.

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ١ ، عدد ١ ، ص (٩،١٠).

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد١، عدد ١ ، ص٣.

[3] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ١ ، عدد ١ ، ص(٩،١٠).

٥) السير على نهج السلف الصالح والاستفادة من جهدهم وآرائهم وطريقتهم.

٦) الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والبدع.

موضوعات المجلة:

المجلة تحتوي على كثير من الأبواب والمقالات. لكن يمكن وضع إطار عام للمجلة من خلال أبوابها كالتالي:-

١. تحتوي على التفسير وهذا الأمر قلما يخلو منه عدد.
٢. المقالات التي تعالج جوانب حياة المسلم المختلفة "كتبيين باطل أو تثبيت حق أو رد شبهة أو دحض مفتريات أو زرع الأخلاق والفضائل.
٣. جانب الردود، سواءً كان ذلك على أفعال لأشخاص أو لأقوالهم.
٤. متابعة ما ينشر في الجرائد والمجلات من باطل أو بدع والتنبيه عليها.
٥. التعريض والرد على أهل التصوف والخرافات والأضرحة وبيان حقيقة أمرهم.
٦. تحتوي على ذكر نوادر وطرف وأشعار وقصائد معضدة لمنهج المجلة.
٧. اشتمالها على باب للفتاوى والرد على استفسارات القراء.
٨. الاهتمام بجانب السنة ونشره بين الناس من خلال شروحات لبعض الكتب.
٩. احتوائها على إعلانات تجارية تساعد في نفقات المجلة.
١٠. فتح أبوابها للقراء والكتّاب للمساهمة في تحريرها.
١١. نشر خطب مختارة في ثنايا المجلة للاستفادة منها بين الخطباء.

كتّاب المجلة:

حفلت المجلة بكثير من الكتّاب الذين جمع بينهم المنهج السلفي والدعوة إلى التوحيد الصحيح ونبذ البدع والخرافات وإحياء ما اندثر من تراث الأمة.

ومن الأسماء التي شاركت في المجلة:

١. الشيخ/ محمد حامد الفقي.
٢. الشيخ/ أحمد محمد شاكر.
٣. الشيخ/ محمد عبد الظاهر أبو السمح.
٤. الشيخ/ عبد الرزاق عفيفي.

٥. الشيخ/ أبو الوفاء محمد درويش.
٦. الشيخ/ محمد خليل هراس.
٧. الشيخ/ محمد أحمد عبد السلام.
٨. الشيخ/ محمد مصطفى المراغي.
٩. الشيخ/ محمود شلتوت.
١٠. الشيخ/ محمد صادق عرنوس.
١١. الشيخ/ محب الدين الخطيب.
١٢. الشيخ/ عبد الرحمن الوكيل.
١٣. الشيخ/ محي الدين عبد الحميد.
١٤. الداعية/ نعمة صدقي، حرم الشيخ/ محمد رشيد رضا.

وغيرهم ممن حفل بهم تاريخ الجماعة.

أما الكتّاب الذين كانوا يسهمون فيها من خارج مصر بشكل مؤثر:

١. الشيخ/ عبد الله بن حميد.
٢. الشيخ/ عبد العزيز بن باز.
٣. الشيخ/ عبد العزيز بن راشد النجدي.
٤. الشيخ/ تقي الدين الهلالي.

وغيرهم.

كيفية صدورها:

كان من المقرر إصدارها بصفة شهرية واستمرت إلا أنها كانت تتعرض في بعض الشهور لبعض الفتور فكانت تصدر كل شهرين وقد يكون كل ثلاثة أشهر كما في بعض الأعداد إلا أنها استمرت أخيراً في الصدور بشكل شهري إلى أن تم الاندماج مع الجمعية الشرعية فتوقفت عن الصدور من الجماعة.

ثم إنها عادت إلى الظهور مرةً أخرى بعد إعادة الإشهار للجماعة لكن تحت مسمى آخر ألا وهو مجلة التوحيد.

المبحث الرابع

منهجه في الاتصال بالناس والمجتمع

لقد حرص الشيخ الفقي رحمه الله على اغتنام كل فرصة يمكن من خلالها إيصال دعوته للناس كعادة كل الدعاة المخلصين.

والذي يتتبع سيرته ويمعن النظر في المجلة يجد العجب العجاب في هذا الجانب حيث كان الشيخ يعمل على قنوات متعددة تمكن من خلالها إيصال دعوته لجميع طبقات المجتمع في سهولة ويسر ووضوح فمنها ما يلي :

١) **إلقاء الدروس:**

فقد كان الشيخ يحرص على هذا الأمر كثيراً، فلا يجد فرصة سانحة إلا اغتنمها في بيان عقيدة التوحيد الصحيحة وما يتعلق بها من أحكام. ولقد كانت له دروس في الحرم المكي والمدني ومسجد الخيف في مواسم الحج. أما في بلده فدروسه كثيرة ومنتشرة في المساجد ودور الجماعة في المحافظات، وقد كان للشيخ درسٌ ثابتٌ بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع حيث يجتمع له أعداد كبيرة بخلاف الدرس اليومي الذي كان في العادة بعد صلاة المغرب[١].

٢) **الوعظ والإرشاد:**

وهذا جانب آخر كان الشيخ يحافظ عليه فلا يكاد يصلي في مسجد إلا وقام واعظاً أو مذكراً بالتوحيد، ونابذاً للبدع والخرافات، ومحذراً من الأضرحة وما يحدث عندها من شرك[٢].

٣) **المحاضرات:**

حيث كانت للشيخ محاضرتان في دار الجماعة من كل أسبوع يومي السبت والأربعاء من بعد صلاة العشاء وكانت إعلاناتها تُنشر في مجلة الهدي النبوي لحث الناس على حضورها، هذا بخلاف المحاضرات التي تقام في المحافظات الأخرى

---

[١] انظر: مجلة المساء (ص: ٨) ١٨/١/١٩٦٢م.

[٢] من خلال مقابلة مع الشيخ/ فتحي عثمان.

والمساجد الأخرى، وكان يُقدَّر عدد الحضور في بعض المحاضرات بأكثر من ثلاثة آلاف رجل وتستمر بعض المحاضرات إلى أكثر من ساعتين.[1]

٤) كتاباته في مجلة الهدي النبوي:

إن المتتبع لهذه المجلة يكاد لا يجد عدداً منها إلا وهو مطعمٌ بقلم الشيخ وتوجيهاته حيث كان له زاوية ثابتة في التفسير كما مرَّ سابقاً، وهذا بخلاف الموضوعات الأخرى من مقالات وردود وفتاوى وغيرها لاسيما والمجلة كانت تصل إلى شريحة كبيرة في المجتمع فكان لا يترك هذه الفرصة تفوته إلا ويساهم في بيان عقيدة التوحيد الصحيحة والدلالة عليها.

٥) التأليف:

قد لا يكون هذا الجانب مطروقاً كثيراً في حياة الشيخ رحمه الله إلا أنه لم يغفله مطلقاً لكون أكثر وقته كان مشتغلاً بجوانب أخرى في الدعوة.

٦) التحقيق:

وهذا الأمر يُعد من أكبر الأسباب التي جعلت الشيخ يُعرف بين الناس ويشتهر، نظراً لحبه وشغفه بتحقيق كتب السلف. حيث كان يرى أن صرف جهده في تحقيق كتب السلف ونشرها بين الناس أولى وأدعى إلى أن تؤثر فيهم، لا سيما والمنهج والمعتقد واحد.

٧) طبع الكتب ونشرها:

حيث كان من خلال مطبعته يقوم على طبع ونشر الكتب التي تؤيد منهج السلف وعقيدته ويرى ذلك سبباً جيداً ومفيداً في دعوة الناس ونشر العلم الصحيح.

٨) الإذاعة:

لم يكن الشيخ حامد -رحمه الله- ليدع فرصة كهذه دون أن يستعملها في إيصال دعوة الحق إلى الناس نظراً لكونها الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت التي تتلقفها

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ١ ، عدد١١ ، ص٣٣، انظر: مجلد ١٥، عدد ٥ ، ص٥٠.

آذان الناس بنوع من الإعجاب والإنبهار، حيث كان الجميع يحرص على سماع ما يُبث فيها، فكان له برنامجٌ يذاع في محطات الإذاعة الأهلية بمصر يوصل من خلاله صوته ودعوته إلى الناس[1].

٩) **القوافل الدعوية:**

وهذا المصطلح مفاده أن يقوم مجموعة من الدعاة بالتجول داخل المحافظات والقرى والأرياف للدعوة وتعليم الناس ومخالطة الناس.

وقد كان الشيخ حامد الفقي يحرص على هذا الأمر ويشارك فيه بنفسه مع إخوانه في الجماعة.[2]

١٠) **عقد المؤتمرات:**

حيث كانت الجماعة تعقد المؤتمرات السنوية لطرح ما يشكل على الفروع في المحافظات، ولطرح الأفكار الجديدة، والتباحث في أمور الدعوة والمستجدات الحادثة.

وكان يحضر هذه المؤتمرات جمع كبير من أنصار السنة وخاصة من القائمين على توجيه الدعوة وتربية الناس.

ويخرج المجتمعون بمرئيات وبنود يكون من شأنها النهوض بالجماعة وتثقيفها في شتى مجالاتها وتكون فرصة لتلاقح الأفكار ورفع الهمم، وشحذ الطاقات.[3]

١١) **الزيارات الفردية:**

فقد كان الشيخ يحرص على تفقد فروع الجماعة وأنشطتها وما قد يحدث فيها من ملاحظات أو فتور أو خطأ، فكان يلاحظ ذلك بنفسه، وإذا سمع أن أحد أفراد الجماعة وقع في خطأ فكان يسارع إلى إصلاحه بلا تردد ومن ذلك أنه سمع أن أحد الدعاة في الجماعة وقع في تأويل لصفة "المجيء" فلما عَلِمَ بذلك وهو على مكتبه في دار الجماعة، قام فوراً وسافر إلى منطقته البعيدة ومكث هناك بضعة أيام

(١) انظر: أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب (ص: ٢٨). محمد حامد الفقي، ١٣٥٤هـ.
(٢) انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد٤ ، عدد ٥٨ ، ص٨.
(٣) انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد٢ ، عدد ٢٠ ، ص٢١.

شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهج السلف تجاه قضايا التأويل ثم عاد بعد ذلك بعد أن اطمأن على ذلك بنفسه[٤].

١٢) رحلات الحج والعمرة:

لقد كان من سيرة الشيخ رحمه الله قصد المشاعر المقدسة للحج والعمرة على عادته السنوية[١]، و لم يكن ليضيِّع هذه الفرصة دونما اغتنام للدعوة فيها لأبناء بلده.

فلقد كانت الجماعة تعلن في ثنايا مجلة الهدي النبوي عن تسيير رحلات الحج والعمرة بأسعار مناسبة.

وكانت الجماعة تتحمل بعض التكاليف لترغيب الناس في الحج معها، ولقد كان الشيخ يستحث الناس للحج من خلال مقالاته التي يذكر فيها ما يرغِّب الحاج من اليسر والسهولة والخدمات التي تُقدم للحجاج منذ أن يصلوا إلى جدة حتى يعودوا إلى بلادهم بعد انتهاء فريضتهم، أضف إلى ذلك كانت الجماعة تتعاقد مع بعض المطوفين المعروفين بمنهجهم السليم وخدمتهم الجيدة، ويحثوا الحجاج على التعاقد معهم، كل ذلك والشيخ يرافقهم ويعلمهم ويخالطهم ويقوم على توجيههم وإرشادهم[٢].

١٣) عقد فصول دراسية بالجماعة:

حيث كان الشيخ رحمه الله يحرص على تثقيف أبناء المسلمين وتعليمهم الدين الصحيح فكانت تُعقد فصول دراسية مسائية للطلاب لشرح دروسهم وما يصعب عليهم مع بيان العقيدة الصحيحة وما يحتاجون إلى فهمه من أمور دينهم.

والعجيب أن الثمرة كانت مجدية جداً، حيث كان يغلُب على الملتحقين بهذه الفصول الدراسية النبوغ والتقدم في سيرهم الدراسي.[٣]

---

(٤) مقابلة مع الشيخ محمد عبد الوهاب البنا.

(١) انظر: مقدمة كتاب الأحكام السلطانية، ص٤، دار الفكر، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ٤ ، عدد ٥٩ ، ص٢٤.

(٣) انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ١٦ ، عدد ١ ، ص٣٢.

١٤) الاتصال بالعلماء في الداخل والخارج وتبادل الخبرات:

فلقد كان للشيخ – رحمه الله – كثيرٌ من المحبين له ولدعوته سواءً كان ذلك في داخل القطر المصري أم في خارجه، خاصة إذا علمنا أن دعوة الشيخ دعوة عالمية وليست حزبية أو طُرُقية.

كان له علاقات متميزة مع علماء المملكة العربية السعودية وفي مقدمتهم المفتي العام الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ محمد نصيف والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وغيرهم. أما في الداخل فكان حب منهج السلف يجمع بينه وبين اثنين من مشايخ الأزهر المعروفين هما الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم اللذين أيدا دعوته وناصراه في كثير من المواقف[(١)].

١٥) الجهاد:

فقد شارك الشيخ – رحمه الله – في الجهاد أيام الاحتلال البريطاني لمصر إبان الحرب العالمية الثانية حيث كان يُذكي روح الجهاد وحب الاستشهاد في سبيل الله.

كما كان يساهم في طبع المنشورات ضد الاحتلال البريطاني في مطبعته دون خوف أو وجل، معرضاً نفسه وماله للخطر؛ لكنه ضحى بكل ذلك من أجل دينه وعقيدته ودعوته وبلده[(٢)].

١٦) الدعوة النسائية:

لقد كان الشيخ – رحمه الله – يحرص على إدخال الجانب النسائي في دعوته لأهمية هذا الجانب في إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع.

ولقد استطاعت دعوة الشيخ أن تصل إلى كثير من نساء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت واللاتي كن يجتمعن في أحد المنازل الكبيرة ويأتي الشيخ الفقي أو من ينيبه لدعوتهن وتعليمهن، حيث كان لهن أثر جيد في دعم أنشطة الجماعة مالياً ومعنوياً[(٣)].

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (١٨٧/٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٧٨/٢) وكذلك جريدة المساء (ص: ٨) ١٩٦٢/١/١٨م.

(٣) انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ٩ ، عدد ٤ ، ص١٤٠.

المبحث الخامس
منهجه الدعوي

يحسن بنا أن نشير إلى سمات رئيسية في منهج الشيخ – رحمه الله – حتى يتسنى لمن يطّلع على كلامه ويقرؤه أن يكّون له صورة واضحة المباني ثابتة القواعد لا توقع في التخرصات والظنون.

ومن أبرز تلك السمات:

١. كان لا يرى الحجية إلا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة وهو في هذا يسلك سبيلاً وسطاً بين من أخذ بالقرآن وترك السنة أو أخذ بالسنة وترك القرآن غير مفرق بين صحيحها وضعيفها وموضوعها[١].

٢. كان هدفه وبغيته الحق، يقيس الرجال بالحق ويزنهم بميزانه ولا يقيس الحق بالرجال، ولا يجد حرجاً في نقد العلماء مهما بلغت منزلتهم ومكانتهم، لأنه يرى أنه لا قداسة بعد كلام الله إلا لكلام الرسول ﷺ فقط، أما من دونه فيؤخذ من كلامه ويرد، ولذلك لما نقد رأياً لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ورأى عدم الرضا من بعض أفراد الجماعة حزن لذلك وقال: (...لقد رأيت عدم الرضا في وجوه بعض أبنائي وسمعت من بعض الشيوخ الذين نعتز بأخوتهم أنهم ينقمون مني هذا النقد، وهذه إثارة تدل على أن هؤلاء لم يتطهروا بعد من كل شوائب التعصب لغير الحق، والتعصب للأشخاص مسربٌ خفي من مسارب الوثنية، ونحن أنصار السنة لا نتعصب إلا للحق وحده، نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال)[٢].

---

(١) انظر: إلى منهجه في التفسير.

(٢) انظر: نور من القرآن (ص: ٩).

٣. كان يدعو إلى إحياء منهج أهل السنة والجماعة وبعث، ونشر تراث السلف الصالح، وأنه لا سبيل لعودة الأمة لقوتها ومكانتها إلا بهذا الأمر.

٤. كان عدواً للمذهبية فلا يتعصب لمذهب دون مذهب، ورغم ما شاع عنه أنه حنبلي إلا أن الحق ضالته ولو كان مخالفاً للحنابلة.

يقول عنه الشيخ عبد الرحمن الوكيل (كان في دعوته هذه لا يتعصب لمذهب ما بل كانت عصبيته وحميته للحق وحده، وكان عدو المذهبية ويراها — عن بيّنة وإيمان — أنها الخطر الداهم على الجماعة الإسلامية)[1].

٥. كان يدعو الناس إلى ضرورة الإقبال على كتاب الله قراءةً وفهماً وتدبراً، وعدم وضع العراقيل أمام الناس بدعوى أن القرآن لا يفهمه إلا طبقة معينة من العلماء والأئمة أما سائر الناس فهم تُبعٍ لهم. ولذلك كان يدعو في خطبه ودروسه إلى تحطيم الحجب عن القرآن، ولقد جاءه رجل وقال له: كيف يستطيع العامي أن يفهم القرآن، ولا بد له من علوم يمارسها قبل ذلك؟ فقال الشيخ: (إن رغيف العيش مسور ومع ذلك نرى كل واحد منا يحطم أسواره لكي يخلص إليه وكذلك القرآن مسور، فلماذا لا تحطم الأسوار بينك وبين القرآن حتى تخلص إليه وتفهمه وتتدبره)[2].

٦. كان — رحمه الله — في بعض الأحيان يقسو في عباراته، ويغلظ في قوله وعذره في ذلك أن الناس قد أمعنوا في البعد عن الحق وتبعوا الخرافة والجهالة فكان يرى أنه لا بد من ذلك.

٧. كان له —رحمه الله — أساليب متنوعة في إنكار المنكرات ونبذ البدع والخرافات، يهدف من خلالها إلى اجتثاث المنكر من داخل النفس أولاً قبل إزالته ظاهرًا.

---

[1] انظر: نور من القرآن ص٧ .

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ٢٣ ، عدد ٩ ، ص ٣٥٠ .

ومن ذلك أنه كُلِّف بدرس في أحد المساجد فلما دخله وجد ضريحاً أمامه فما كان منه إلا أن وضع فوقه حذاءه وتبعه في ذلك طلابه، وألقى الدرس واقفاً لأن الصلاة لا تجوز في المسجد الذي بداخله قبر، وبعد انتهاء درسه والذي كان في التوحيد بيَّن لهم أن هذا الولي المزعوم وهذا الضريح المشئوم لا ينفع ولا يضر ولا يقدم ولا يؤخر ولو كان يستطيع ذلك لدفع عنه هذه الإهانة المقصودة.

فكان غالباً لا يخرج من المسجد إلا وقد هُدم ما فيه من بناء وأزيل، حيث كان يتم ذلك بأيدي أهل المسجد أنفسهم بمساعدة الشيخ وطلابه.

وإذا كُلف بدرس بين المغرب والعشاء وكان في المسجد ضريحٌ فهو أمام خيارين، إما أن يخرج بهم ويصلي بهم خارج المسجد ويلقي درسه خارج المسجد، وإما أن يصلي خارج المسجد ويدخل عليهم بعد الصلاة ويلقي درسه ثم ينصرف قبل آذان العشاء حتى لا يدركه الأذان في المسجد، بعد أن بيَّن لهم حقيقة التوحيد وما يتعلق به.[1]

٨. كان – رحمه الله – ضليعاً في اللغة العربية، يُعرف هذا من خلال كتاباته وأسلوبه في تعليقاته ومقالاته، وهو يُظْهِرُ من الاستنباطات العجيبة ما قد يخفى على بعض أهل العلم وبالتالي يؤدي على سوء فهم بينهم.

يقول رحمه الله رداً على أولئك الذين قدموا المعنى الاصطلاحي على المعنى اللغوي للقرآن: (... فيصرف به اللفظ عن استعماله اللغوي المشهور إلى المعنى الاصطلاحي وإنما هي دعاوى يقلد بعضهم بعضاً، كما زعموا أن السجود لا يفسر إلا بالمصطلح عليه لأنه اصطلاح شرعي ينبغي أن يحمل عليه كلام الله، وهذا الزعم في منتهى السخف والسقوط لأن الله يقول "قرآناً عربياً" "في آيات كثيرات" و لم يقل قرآناً شرعياً اصطلاحياً، ولأن هذه

[1] مقابلة مع الشيخ/ فتحي عثمان، وكيل الجماعة.

الاصطلاحات الفقهية التي زعموها شرعية إنما هي مستحدثة من عند أنفسهم لا من عند الله ولا من عند رسوله ولا من عند العرب الخلَّص، بل هي من عند الذين انحرفت عقولهم وتفكيرهم عن نهج العربية الفصحى إلى العجمية النبطية مما أدى إلى صرف الألفاظ عن مقاصدها ومعانيها الأصلية)[1][2].

وكما ذكرت سابقًا إن هذا المنهج الذي سلكه الشيخ الفقي – رحمه الله – أدى إلى وجود بعض الغمز واللمز بينه وبين بعض العلماء، وسأذكره في مكانه بإذن الله.

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد١٣ ، عدد (٣،٢)، (ص: ٦).

[2] لا يُسلم للشيخ هذا المبدأ على إطلاقه، لأن اللغة العربية معانيها كثيرة وربما كان للكلمة الواحدة عدة معاني، فلا يخصصها إلا ما جاء في الاصطلاحات الشرعية. والله تعالى أعلم.

الفصل الخامس

جهوده في تأصيل مصادر العقيدة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: القرآن الكريم والرد إليه.

المبحث الثاني: السنة النبوية والرد على القائلين بعدم قبول خبر الآحاد في العقيدة.

المبحث الثالث: جهوده في الرد على المتكلمين واعتمادهم العقل.

المبحث الرابع: جهوده في الرد على الصوفية واعتمادهم الرؤى والمنامات والكشف.

المبحث الأول

القرآن الكريم والرد إليه

اعتمد الشيخ / الفقي — رحمه الله — على كتاب الله اعتماداً قوياً وظاهراً في بيان عقيدته ونشر دعوته، وهذا يظهر واضحاً جلّياً في تفسيره ومقدماته وتعليقاته وحواشيه على الكتب التي كان يقوم على طبعها ونشرها.

حيث كان هذا الاهتمام الشديد يعود لعدة أسباب:

١) أنه المصدر الأول للتشريع في حياة كل مسلم وقد تكفل الله بحفظه.

٢) صلاحه لكل زمان ومكان على اختلاف الأجناس والأعراف.

٣) حث علماء السلف على التمسك به وأنه لا فلاح لأحد إلا بالعمل به واعتقاد ما فيه، بجانب المصدر الثاني "السنة المطهرة" وهكذا هو شأن أهل السنة والجماعة.

٤) الحالة السيئة التي وصل إليها المجتمع في ذلك الوقت من جهة الصلة بكتاب الله الكريم، حيث كان القرآن لا يُستخدم إلا لطلب البركة، والتنغيمات الصوتية، والمظاهر الخداعة، والقرآءة على الأموات، وافتتاح المحافل والمناسبات.

٥) الهالة التي أحيطت حول القرآن في ذلك الوقت من أنه لا يمكن لأحد الغوص في معانيه والبحث في أوامره ونواهيه إلا ممن بلغ في العلم شأوًا عظيماً، فخاف العامة من الأخذ منه مباشرة وتركوا ذلك للشيوخ المزعومين فحدث ما حدث من الانحرافات.

٦) استحالة تحريفه أو العبث به لمكانته العظيمة في النفوس.

لهذه الأسباب وغيرها نجد أن الشيخ —رحمه الله— لا يفتىء يذكر في ثنايا كلامه بضرورة العودة إلى كتاب الله عودة صحيحة، وأن ننفض من عقولنا ظلمات التقليد والخوف من الاقتراب من القرآن، فإنه لا فلاح ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالعودة الحقة إليه وفهمه كما فهمه السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم.

وقفات مع الفقي حول كتاب الله:

١. الصلة الحقيقية بين المسلم والقرآن.

إن كثيرًا من الناس لا يعرف موقفه من القرآن ولا موقف القرآن منه، ولذلك حرص الشيخ – رحمه الله – على بيان ذلك وإرشاد الناس إلى كيفية التعامل والصلة مع كتاب الله.

يقول –رحمه الله–: (إن على المسلم أن يتدبر القرآن ويعوّد نفسه التدبر ويمرنها على الفهم وذوق كلام الله تعالى، فإنه إذا قرأ كذلك فتح الله له من آيات أصول الإسلام في توحيد الإلهية والعبادة وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ ما لا يجد مثله في كتاب آخر وينتفع من ذلك بما لا ينتفع بمثله ولا ببعضه من أيّ كتاب آخر، وما لا يغني عنه أي كتاب غير القرآن، فإن لقِيَ في سبيله عقبة فلا يحاول إغفالها والإغضاء عنها، بل يعمل على تذليلها بالرجوع إلى قول الرسول ﷺ وقول الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم، فإن لم يقدر على ذلك بنفسه فليستعن بمن تطمئن نفسه إليه من أهل العلم)[1].

٢. إرشاد المسلم إلى أهمية العقيدة الصحيحة المستقاة من الكتاب الكريم:

يتخبط الناس في هذه الدنيا عندما يعيشون هملاً بلا مبادئ أو أسس ويزداد هذا الضلال حينما يعيش الناس منقادين لعقائد ضالة وعقول كالة، فلا عقيدة تحكم الناس وتأخذ بأيديهم أعظم مما في كتاب الله.

يقول – رحمه الله – : (لقد نصحتك كما نصحت نفسي، فكن على حذر أشد الحذر في عقيدتك ودينك، أحذر أشد الحذر أن تصدر فيها أو ترد إلا عن فهم كتاب الله وتدبر آياته وجمع الأشباه والنظائر إلى بعضها وضم المعاني القرآنية إلى أخواتها، وعن فهم ما صح عن إمام المهتدين وخاتم المرسلين احرص على ذلك

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١ عدد ٢ (ص: ١٦).

واشدد عليه يديك، وعض عليه بالنواجذ، واحذر أن يغلبك عليه عادة أو تقليد أو بيئة أو كثرة ولو كانت جميع الناس أو والد أو شيخ)[1]

٣. توجيه الأنظار إلى أن القرآن هو الحجة البالغة إلى قيام الساعة.

ليس هناك ثوابت تستقيم ما استقام الليل والنهار أعظم ولا أكرم من القرآن الكريم وما فيه من عقائد وأحكام، تكفل الله بحفظه، وهو الحجة البالغة إلى قيام الساعة.

يقول -رحمه الله- : (ذلك أن القرآن هو الحجة البالغة لله على الناس إلى قيام الساعة، وأنه الكتاب المهيمن على كل كتاب وكاتب، وأنه الشمس المشرقة التي تهدي الضال في مهامه الأهواء والآراء والأعمال والأخلاق والأحكام والنظام المالي والسياسي... ومهما حاول أعداء الله ورسوله وأعداء أنفسهم وأعداء الإنسانية أن يضعوا على معاني القرآن من أغلاق ويسدوا دونه من أبواب... فإنه بخروجك من سجن التقليد وأغلاله القذرة.. واجدٌ أنه قد فُتحت في قلبك أبواب الهدى والفقه لمقاصد القرآن، والعلم بمراد الله في الأسماء والصفات والتوحيد والعقيدة والعبادة والشرائع والأحكام، وذهب قلبك يسعى حثيثاً في سبيل الإيمان الصادق والعمل الصالح..)[2]

٤. أن المؤمن لن يجد حلاوة الإيمان إلا من خلال القرآن.

كلما ازداد المسلم قربًا من كتاب الله كلما ازداد إيمانًا وصلاحًا وتقوى وخشية، فلن يجد الإنسان حلاوة العبادة ولذة المناجاة وبرد اليقين وقوة الصلة بالله إلا حينما يقبل على كتاب الله صدقًا وحقا.

يقول -رحمه الله-: (فو الله ما عرفت حلاوة الإيمان إلا من يوم آمنت بحكمة الله في حفظ القرآن لي ولك ولمن يأتي بعدي وبعدك، وما عرفت إنسانيتي ونعمة الله علي إلا من يوم أخذت القرآن بجد وقوة وقلّبت كلماته على وجوهها، تقليب المريض

[1] انظر: الهدي النبوي، مجلد ١٧، عدد شعبان ص٩.

[2] انظر: الهدي النبوي، مجلد ١٢، عدد ٤، ص٨

المشرف على الهلاك بطلب عافيته وشفائه، فَلَيتُها فَلْيَ الجائع النهم يرجو قوته وغذاءه، فأخرج الله لي كنوزها النفيسة التي ليس في الوجود كله ما يدانيها في النفاسة، ولا عرفت فضل الله عليَّ في رسول الله ﷺ؛ إلا يوم تدبرت القرآن وتفقهت فيه... وما أحببت اللغة العربية وحرصت على الاستزادة من حبها والتضلع منها إلا من يوم ذقت حلاوة القرآن وعَذُبَ على قلبي مورده السلسبيل ...)[1].

٥. **إن الطريقة الصحيحة لفهم القرآن الكريم تكون بالترابط بين سوره وآياته مجتمعة.**

إن القرآن كُلٌ لا يتجزأ، وعقد لا ينفصم، وبناء لا ينهدم فمتى عزم الإنسان على فهمه متباعدًا منفصلاً فلن يستطيع، وإن استطاع فسيكون فهمه هشًا لا يثبت.

يقول – رحمه الله – (وخير ما يفسر القرآن: القرآن فإنك تقرأ الآية من السورة فيخفى عليك معناها، فإذا جئت السورة الأخرى وجدتها بأسلوب أوضح ولفظ أبسط، وهكذا تجد القرآن يقص القصص بألوان متعددة ... والذوق القرآني العلمي لا يكون مع الإعراض عن التلاوة ثم تأخذ المصحف وتطلب الآية الواحدة ثم تحاول فهمها. كلا إن الذوق القرآني ينعم به من اتخذ القرآن له خليلاً وصاحباً ورفيقاً في قيامه وقعوده ومضجعه وليله ونهاره وشأنه كله)[2].

٦. **تنديده بأصحاب الأهواء في موقفهم من القرآن:**

إن أصحاب الأهواء عادة لا يعرفون كيفية الوصول إلى الطريقة المثلى في التعامل مع كتاب الله تعالى فالقرآن في جهة وهم في أخرى تكاد تكون متناقضة تمامًا، حتى إن بعضهم يرى أن حق القرآن عليه فقط أن يزّينه و يجمّله ويحلّيه أو أن يقرأه ويترنم بترتيله وتجويده، وهو لم يعرف بعد حقيقة الصلة به.

يصفهم الشيخ – رحمه الله – بقوله: (إنهم يقضون السنين الطوال في حفظ الاصطلاحات ومدارستها ثم إذا طلبت إلى واحد منهم أن يعرف عقيدته أو عبادته.. على ما أحب الله وشرع من القرآن وبيان رسول الله، لفزع فزعاً، كأنما هجم عليه

[1] انظر: الهدي النبوي، مجلد ١٢ ، عدد ٤ ، ص١٠٠

[2] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ١ ، عدد ٢ ، ص٧

قسورة، فإذا سألته أين موضعك من القرآن وموضع القرآن منك؟ أجابك في زهوٍ وفي غير تلجلج: إني أحفظه عن ظهر قلب، وأجوده بالقراءات لتوقيع النغمات الموسيقية وأقرأ منه عند النوم وفي الصباح للبركة، وأقرأه لموتاي وموتى المسلمين، وأحلف عليه، وأضعه تحت وسادتي ... أما العقائد والعبادات والأحكام والآداب والمعاملات فهي أبعد شيء عن القرآن بل ابغض شيء إليها القرآن).[1]

٧. أهمية ربط سلوك المسلم بالقرآن:

الشيخ دائماً يربط القارئ بالقرآن الكريم في جميع شئون حياته، وأن الإنسان ينبغي أن تكون أخلاقه وسلوكه وعبادته واعتقاده مأخوذة من كتاب الله الكريم وسنة رسوله الكريم ﷺ ، وأن القرآن (لا يزال — ولن يزال — جديداً كما نزل به الروح الأمين على أطهر القلوب وأصفاها، ونطق به أصدق الألسنة وأهداها يكلم الناس في كل شأن من شئونهم ويشخص لهم الأدواء التي هَدَّت من كيانهم وحطمت كل مقوماتهم ونكدت على الجميع عيشهم، ويدعوهم إلى الدواء من كل ذلك...)[2]

أخيرًا نجد أن الشيخ — رحمه الله — إذا أراد الكلام عن قضيةٍ أو آية ما، فإنه يحشد لها آيات كثيرةٍ معضدةٌ لها قبل أن يبدأ في الكلام عن تلك الآية أو القضية، وإن القارئ ليعجب من شدة استحضاره وانتقائه وجمعه لتلك الآيات .. وهذا الأمر لا يتحقق في آية أو بضع آيات. بل كل ما أراد أن يفسر آية فإنه يحشد لها الشواهد الكثيرة، حتى تتضح للقارئ وتفتح له آفاقاً عظيمةً في فهم المعنى، ومن أمثلة ذلك عندما تكلم في (سورة النحل) [3] عن جناية التقليد الأعمى للآباء والشيوخ القائلين على الله بغير علم أورد آياتٍ كثيرة في نبذ التقليد تزيد على المئة آية بكثير كلها تتحدث عن هذا الأمر الخطير الذي دأب على تسميته بالطاغوت.

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ١٧ ، عدد ذي الحجة ١٢، ص٩٥

[2] الهدي النبوي ، مجلد ١٧ ، ذي الحجة ، ص٩،٨

[3] الهدي النبوي، مجلد ٢٢ ، عدد ٢-٥ ، ص١٠-١٩

سمات منهجه في الاستدلال بالقرآن الكريم كما يلي:

١) تفسير الآية بالآية:

وهو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن وهو منهج معتبر عند أهل السنة والجماعة، لأن القرآن يصدق بعضه بعض، ويوضح بعضه بعض، فلقد قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾[1]، بمعنى أن الأشياء كلها علويها وسفليها، وناطقها وصامتها عند الله خالقها ومدبرها ومقدرها بمقتضى سننه الكونية وأحكامه وتدبيره: بقدر معلوم عنده سبحانه ... ومادة "التقدير" استعملت في القرآن الكريم في عدة مواضع ولعدة معان ترجع كلها إلى معنى التحديد والتفصيل المنظم المحكم. وقوله : ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴿٧٤﴾ ﴾[2] أي ما أعطوا الله سبحانه حقه المحدد المفصل المعين من أسمائه وصفات حمده ومجده وتنزيهه عما لا يليق به، بل خلطوا حقه بحق أوليائهم العاجزين الضعفاء ... فهي أيضاً راجعة إلى معنى التحديد والتعيين والتفصيل وتجنب التخليط والعبث والفوضى والقول بغير الحق والعدل قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴿٥﴾ ﴾[3] وقال ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴿٣٩﴾ ﴾[4] وقال ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[5] وقال ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[6] وقال ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴿١٨﴾ ﴾[7] وقال ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٢٠﴾ ﴾[8] وقال ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[9] .. الخ)[10].

---

[1] سورة الرعد، آية: ٨ .

[2] سورة الحج، آية: ٧٤

[3] سورة يونس ، آية: (٥).

[4] سورة يس، آية: (٣٩).

[5] سورة الفرقان، آية: (٢).

[6] سورة الحجر، آية: (٢١).

[7] سورة المؤمنون، آية: (١٨).

[8] سورة المزمل، آية: (٢٠).

[9] سورة القمر، آية: (٤٩).

[10] الهدي النبوي ، مجلد ٦ ، عدد ١٣،١٤ ، (ص٤،٣).

٢) تفسير الآية بالسنة الشريفة:

السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع.لأنه ﷺ لا ينطق عن هوى ولا ميل قال تعالى﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1] فكلامه وأفعاله وتقريراته ﷺ كلها تُعد مصدراً مهماً في فهم ديننا وعقيدتنا ومبادئنا، فهو أعلم الخلق بالخالق وأفهم الناس لكلام ربه سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٦٤ ﴾[2].

ولقد قال ﷺ "أعطيت القرآن ومثله معه"[3] فعلى هذا يكون أصدق تفسير للقرآن ما كان ثابتاً عن النبي ﷺ. ومثال ذلك عندما فسر قوله تعالى: "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب.. "[4] قال: (والكتاب يعني به سبحانه : الكتاب المكنون، وهو الذكر وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه... وهو الكتاب الذي كتب الله فيه كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة، وهو كتاب القدر الذي جاء فيه الحديث الذي رواه البخاري في أول كتاب بدء الخلق عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ كان الله و لم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض .... الحديث. وروى أحمد والترمذي وصححه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه – مرفوعاً- "أول ما خلق الله القلم ثم قال له : اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة...)[5].

يقول رحمه الله: (ونحن إن شاء الله سنتوخى في قولنا في تفسير القرآن الكريم أن يكون أولاً بالقرآن، فإن لم نجد فبسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة برواية العدول الثقات)[6].

---

[1] سورة النجم، آية: (٣،٤).
[2] سورة النحل، آية: (٦٤).
[3] رواه أبو داود، كتاب السنة، برقم ٤٦٠٤، صححه الألباني.
[4] سورة النحل، آية: (٤).
[5] والحديثان سوف يأتي تخريجهما (٣٣٦).
[6] انظر: الهدي النبوي مجلد ١ عدد ٢ (ص: ١٨).

٣) تفسير الآية بأقوال الصحابة والسلف الصالح:

إن أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل هم صحابة رسول الله ﷺ حيث اختارهم الله اختياراً ليكونوا حملة لهذه الرسالة بعد الرسول ﷺ، لذلك كانوا أعرف الناس بهذا الدين وأقرب الناس إليه ولا غرو في ذلك، فلقد قام على تعليمهم وتربيتهم الرسول الكريم ﷺ فكانوا أعظم جيل خرج للناس وأتقى وأخوف لله من غيرهم.

ولقد انتشروا في الآفاق يعلمون الناس ما أخذوه عن رسولهم فنهل الناس من معينهم فمستقلٍ ومستكثر، وهكذا انتشر العلم بين الناس وصدق رسولنا الكريم حيث يقول: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[1] ولذلك دأب أهل العلم والتفسير على نقل كلامهم وتفسيرهم وانتشر هذا في كتب العلم وأصبح قول الصحابي له مكانة معتبرة عند أهل السنة والجماعة.

غير أن الشيخ حامد – رحمه الله – لم يكثر من نقل كلامهم وهو كذلك لم يغفله أيضاً حيث كانت له منهجية خاصة في تفسيره للقرآن ذكرتها سابقاً وأشير إليها إشارة عابرةً حيث يقول: (وما أرى تفسير القرآن إلا بهذا الأسلوب الذي يشرح مقاصد القرآن شرحاً وتطبيقاً على الأحوال الحاضرة والوقائع الحادثة، فإنه هدى للناس في كل وقت، ونور لهم في كل طريق)[2].

ويقول في موضع آخر: (وسنقصد إلى تطبيق حوادث الزمان، وحال الأمم الإسلامية في جميع شئونها السياسية والاقتصادية والدينية على القرآن لأن هذا هو أهم غرضنا من التفسير ليعرف الناس أين هم من القرآن)[3].

وكما ذكرت فإنه لم يغفل هذا الجانب كثيرًا فقد كان يذكر جانباً من تفسير بعض الصحابة وبعض من سار على نهجهم من السلف الصالح، وكذلك ينقل بعضاً من كلام العلماء والمفسرين ويأتي على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه كان يكثر من نقل كلامهما هما بالذات حيث يقول عنهما

---

[1] سوف يأتي تخريجه ص(٣٧٩).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٦ (ص: ٨).

[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ١ عدد ٢ (ص: ١٨).

(ولا أعرف في القديم والحديث – بعد الرسول والصحابة – من أوتي الفقه في القرآن، ورزقه الله الفهم الصائب فيه، والحكمة في شرح مقاصده ومراميه، والغوص على درره واستخراجها من أعماق بحاره صافية مشعة مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله وجزاهما أحسن الجزاء، لأجل هذا أنا حريص جد الحرص على أن أنشر ما أجد لهما من تفسير آيات أو سور)[1].

وهنا أشير إلى بعض الأمثلة على استشهاده بكلام الصحابة حيث ذكر كلام ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾[2] قال (فقال : ابن عباس رضي الله عنهما يريد بالعذاب قبل الرحمة)[3]، (... وقيل المثلات العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت من أجله وقال ابن عباس: مثّل الله بالمكذبين من قبلهم... وروى عن مجاهد في قوله تعالى المثلات قال: الأمثال..)[4].

قال: (وفي الدر المنثور: أخرج ابن جرير عن قتادة في قوله ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5] قال: جعله الله لهم هدى يخرجهم به من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم. وأخرج وابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾[6] قال شريكًا)[7].

٤) تفسيره الآية باللغة العربية ودلالاتها..

لقد نحا الشيخ الفقي – رحمه الله – منحى قوياً في هذا الجانب، وأكثر في استخدام هذا النوع كثيرًا، حيث كان له تصوره وفلسفته تجاه هذا الأمر، فهو يقرر أن القرآن نزل بلغة العرب، فالواجب أن نفهم القرآن بهذه اللغة العربية الفصيحة، وأن لا نلجأ إلى المعاني الإصطلاحية الحادثة، ونترك الأصل، يقول رحمه الله: (إنه

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٦ (ص: ٨،٩).
[2] سورة الرعد، آية: (٦).
[3] انظر: الهدي النبوي المجلد ٦ العدد ٩،١٠ (ص: ١).
[4] انظر: الهدي النبوي المصدر السابق (ص: ٥).
[5] سورة الإسراء، آية: (٢).
[6] سورة الإسراء، آية: (٢).
[7] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢٣ عدد ٢ (ص: ٧).

لن يُفهم القرآن ويفقه مقاصده على حقها وصوابها، وينتفع ويهتدي بهداه إلا من طهر نفسه من الهوى والسفه وعقله من العجمة والتقاليد والاصطلاحات المستحدثة، وعاد بكل ما أوتي من قوة وما يسر الله له من سبيل إلى العروبة القوية الصريحة الصافية في عقله وتفكيره ولسانه وقلمه، وخلقه وأدبه..)[1]

ويقول في موضع آخر: (لأن الله يقول "قرآناً عربياً" ولم يقل قرآناً شرعياً اصطلاحياً، لأن هذه الإصطلاحات الفقهية التي زعموها شرعية إنما هي مستحدثة من عند أنفسهم لا من عند الله ولا من عند رسوله ولا من عند العرب الخلّص، بل من عند من انحرفت عقولهم وتفكيرهم عن نهج العربية الفصحى إلى العجمية النبطية)[2].

لذلك نجد أن تفسير الشيخ للآيات يتميز بتركيزه الشديد على المعاني اللغوية والاستشهادات الشعرية، حيث كان يوردها كثيراً حتى يقرّب للقارئ المعاني اللغوية للكلمات داخل الآية، وهو في ذلك يكثر النقل من كتب اللغة المعتبرة.

فتجده يقول: قال في الصحاح كذا، وقال شارح القاموس كذا، وقال الراغب في المفردات كذا، وقال الزجاج، وذكر ابن الأثير في النهاية كذا، وهو مذكور في اللسان بنحو كذا....، وهذا غيض من فيض.

ومن الأمثلة على ذلك حين فسر كلمة "مسنون" قال فيه: (والمسنون من "أسن" إذا فاح ريحه من شدة التغير، وقيل: من "سن" الماء وغيره إذا صبه صباً سهلاً متتابعاً في رفق وأناة... قال القرطبي: قال ابن عباس وقتادة مجاهد: المسنون "المنتن المتغير" من قولهم: قد أسن الماء إذا تغير ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴾[3] وقوله ﴿ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ ﴾[4] ومنه قول قيس بن الأسلت:

سقت صداي رضاباً غير ذي أسن ... كالمسك فت على ماء العناقيد

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٣ عدد ٢، (ص: ٧).
[2] انظر: المصدر السابق (ص: ٦).
[3] سورة البقرة، آية: (٢٥٩).
[4] سورة محمد، آية: (١٥).

وقال الفراء: هو المتغير...

وقال عبد الرحمن بن حسان:

ثم خاصرها إلى القبة الحمراء تمشي في مرمرٍ مسنون

وقال أبو عبيدة: المسنون: المصبوب، وهو من قول العرب: سننت الماء على الوجه إذا صببته والسن: الصب.

قال أبو عمرو بن العلاء: ومنه الأثر المروي عن أبن عمر، أنه كان يسن الماء على وجهه ولا يشنه...

وقال سيبويه: المسُنون المصور. أخذًا من سنة الوجه وهو صورته.

قال ذو الرمة:

تريك سُنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب)[1]

ثم إن الفقي خاطب علماء المسلمين وقراءهم باسم القرآن الكريم فقال:

(والقرآن يشكو مر الشكوى وينادي بآياته البينات: أيها الناس افهموني بعيداً عن هذه الخرافات والجهالات، افهموني غضًا طريًا باللسان العربي المبين كما نزل بي الروح الأمين على قلب نبيكم وكما فهمني الصحابة والتابعون، فإن فهمتموني كذلك آتاكم الله بي الهدى والرحمة، ونفعكم بي في دينكم ودنياكم وآخرتكم وأخذ بكم إلى التي هي أقوم في كل شئونكم إن كنتم تعقلون)[2].

٥) إيراده القراءات المختلفة عند تفسير الآية:

لقد اهتم الشيخ –رحمه الله– بهذا الجانب اهتماماً جيداً، فتراه لا يمر بآية فيها أوجه مختلفة في القراءة إلا ويتكلم فيها –وهذا في الغالب– ويورد شواهد وكلاماً للعلماء فيها وربما رجح بينها.

وقد يكون للبيئة والمجتمع اللذان عاش فيهما الشيخ الأثر الأكبر في هذا، لأنه كان يغلب على الناس في ذاك ا لوقت حفظ القرآن والاستماع إليه ومعرفة أوجه الاختلاف والقراءات، وكان القراء يتبارون في هذا في المساجد والموالد وغيرها.

---

(١) انظر: الهدي النبوي مجلد ١٢ عدد ١١ (ص: ٢،٣).

(٢) انظر: الهدي النبوي مجلد ١١ عدد ٣ (ص: ٤،٥).

ومن الأمثلة على ذلك عندما فسر قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [1] قال: (اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة "ألا تتخذوا" بالتاء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل من دوني وكيلاً.

وقرأ بعض قراء البصرة "ألا يتخذوا" بالياء على الخبر عن بني إسرائيل بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا يتخذ بنو إسرائيل من دوني وكيلاً وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان، غير مختلفتين ... غير أني أوثر القراءة بالتاء لأنها أشهر في القراءة وأشد استفاضة فيهم من القراءة بالياء)[2].

وأمثالُ هذا كثيرٌ في تفسيره.

وأخيراً لقد كان الفقي –رحمه الله- يسعى دائماً إلى سلوك منهج الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين في فهم القرآن ومعانيه، ويوجه إلى أن نسير على خطاهم، نقف حيث وقفوا، ونسير حيث ساروا، يقول –رحمه الله- واصفاً حال الصحابة مع القرآن: (... ولقد كانوا من الفقه والفهم، والعربية المستقيمة بالدرجة العليا، ففهموا هذه الآيات على ما يدل لفظها العربي المنزل من عند العليم الحكيم، وآمنوا بها على ما يليق بالله العلي الأعلى الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [3] ولقد أورثهم ذلك الهدى، والسلامة من الزيغ والإستدراك على الله وعلى رسوله، إنهم كانوا مؤمنين كل الإيمان أن القرآن قول الله وكلامه الحكيم... ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، وأن كله آيات الله، فيردون بعضه إلى بعض، ويفهمون أوله بآخره وآخره بأوله، لا يضربون بعضه ببعض ولا يؤولونه بأهوائهم، ولا يحكمون فيه آراءهم وعقولهم... اللهم اجعلنا على سبيلهم وسُنّ بنا سنتهم...)[4].

---

[1] سورة الإسراء، آية: (٢).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢٣ عدد ٢ (ص: ٦).

[3] سورة الشورى، آية: (١١)

[4] انظر: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (ص: ح، ط) ط. ١ سنة ١٣٥٨هـ. تحقيق/ محمد حامد الفقي.

المبحث الثاني

السنة النبوية والرد على القائلين بعدم قبول خبر الآحاد في العقيدة

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وتأتي بعد القرآن الكريم في استقاء العبادات والمعاملات والعقائد وغير ذلك.

والسنة النبوية لها مكانة عظيمة، إذ إنها تفسير لما أجمله القرآن وبيان لما أبهمه، ونشر لما طواه، وتخصيص لما عممه وأطلقه من أجل ذلك بيّن الله سبحانه وتعالى مكانة نبيه ﷺ ومكانة كلامه حيث قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1] وقوله سبحانه ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[6]. وغيرها من الآيات التي حث فيها الله وندب وأمر بضرورة طاعة رسوله ﷺ، واتباع سنته ولزومها وعدم مخالفتها.

أما الأحاديث الواردة في ذلك فهي كثيرة أيضاً منها:

1) قوله ﷺ: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي".[7]

---

(1) سورة النجم، آية: (٣،٤).
(2) سورة النحل، آية: (٤٤).
(3) سورة آل عمران، آية: (٣١).
(5) سورة الحشر، آية: (٧).
(6) سورة النور، آية: (٦٣).
(7) انظر تخريجه ص: (٣٠١).

٢) قوله ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله "[1].

٣) قوله ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين وتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".[2]

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة تجتمع كلها وتصب في ضرورة متابعة سنة النبي ﷺ.

وأما جانب اهتمام السلف بهذا الأمر فهو كثيرٌ جداً، وكما يقال بحرٌ لا ساحل له، فلقد أطبق الأئمة العلماء من أهل السنة و الجماعة على عدم التفريق بين القرآن والسنة، وخير شاهد على ذلك كتبهم المنتشرة في القديم والحديث فنجد أنها قد رصّعت بآيات ا لذكر الحكيم معضدة بأقوال الرسول الكريم ﷺ ، وأسوق هنا أثراً جميلاً يبيّن الوجهة الحقة في اقتران السنة بالقرآن.

فعن الحسن البصري أن عمران بن الحصين كان جالساً ومعه أصحابه فقال رجل من القوم: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: فقال له: ادن، فدنا فقال أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً وتقرأ في اثنتين؟ أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن، أكنت تجد الطواف سبعاً، والطواف بالصفا والمروة؟ ثم قال: أي قوم خذوا عنا فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن"[3]. وذكر الأوزاعي عن أيوب السختياني قوله: "إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا من القرآن فاعلم أنه ضال مضل"[4].

---

[1] رواه أبو داود كتاب السنة، برقم ٤٦٠٤، صححه الألباني، والترمذي، كتاب العلم، برقم ٢٦٦٤، صححه الألباني.

[2] انظر تخريجه، ص: (٢٩٩).

[3] رواه البيهقي في مدخل الدلائل (٢٥/١) والخطيب البغدادي في الكفاية (ص: ٤٨) وابن عبد البر في الجامع (١٩١/٢).

[4] أخرجه ا لحاكم في معرفة علوم الحديث (ص: ٦٥)، والخطيب في الكفاية (ص: ٤٩).

وعليه فقد اعتمدها الشيخ –رحمه الله– مصدراً ثانياً من مصادر الاستدلال سواءً كان ذلك في مسائل الاعتقاد أو في غير ذلك وهو يقرر هذا الأمر في كثير من كلامه وأجمل ذلك في نقاط:

١. **استشهاده بالأحاديث الصحيحة والحسنة دون الضعيفة.**

وهذا أمرٌ واضحٌ ملاحظٌ في تفسيره ومقالاته، حيث كان دائماً ينبه إلى ضرورة الأخذ بسنة النبي ﷺ الصحيحة لأنه ﷺ ما مات إلا وأكمل الله به الدين، وأتم الرسالة ولن يُبيِّن لنا أحد كتاب الله كما يريد الله إلا رسوله ﷺ، فتجده قلما يذكر أمراً من أمور العقيدة إلا ويعضده بكلام النبي ﷺ وخاصة من الصحيحين فإنه يكثر الأخذ منهما.

يقول –رحمه الله– (... فنعمة الرسول الذي هو أعظم مظاهر رحمة الله وفضله، يقابلونها "أي العباد" بالحب الصادق والتوقير والتعزير والنصر له، ولكل ما جاء به من الهدى والعلم والحكمة والدين والآداب والأخلاق والاتباع له التحري للإقتداء حيث كان وكيف كان.... واليقين كل اليقين أن لا حق ولا هدى ولا دين ولا خير ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا من طريق هذا الرسول، ومن منبع علمه الذي أوحاه الله إليه وهداه الله إليه وألهمه إياه وبيان ما أنزل عليه من آيات وأحكام وشرائع، واحرص أشد الحرص على الاستمساك بحبله والاعتصام بسنته والوقوف عند طريقته والعض على ذلك بالنواجذ مهما قلّ الرفقاء وندر الموافقون...)[1].

وهكذا نجد التلازم القوي في فكر الشيخ –رحمه الله– وكلامه بين القرآن والسنة بل يصل الحال عنده إلى اتهام الذي يطعن في الصحيحين بغير حجة علمية معروفة عند أهل الجرح والتعديل بأنه زنديق مارق من الدين وهذا يدل على غيرته على أحاديث الرسول الكريم وشدة اتصاله بها.

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٦ عدد (١٦،١٥) ،(ص: ٥).

يقول –رحمه الله– رداً على من يرد أحاديث الصحيحين "في معرض رده على القاديانية": (... فراحوا مستمسكين بذيل الشيطان يردون أحاديث الصحيحين، ويطعنون في أوثق ما اعتمد عليه الإسلام في تفصيل شرائع القرآن وحدوده وأحكامه، اللذين أجمعت الأمة الإسلامية جيلاً بعد جيل من يومهما إلى الآن وبعد الآن إن شاء الله – أنهما أصح الكتب بعد القرآن، وإن الطاعن عليهما أو على شيء منهما بدون حجة فنية علمية من مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل فإنه زنديق مارق من الدين له شهوة خبيثة وقصد أخبث)[1].

ويقول كذلك: (إن الأمة قد أجمعت على قبول أحاديث البخاري ومسلم، واعتبارها دليلاً في أصول الدين وفروعه، وطريقاً صحيحاً في العلم والعمل إلا بعض أحاديث قال علماء الفن إنه اختل فيها ما اشترط هذان الإمامان الجليلان في تخريجهما للأحاديث وهي أحاديث قليلة معروفة... ولقد أصبحت أحاديث الصحيحين في حكم المتواتر بتلقي الأمة لها بالقبول طبقة بعد طبقة إلى عصر الناس اليوم)[2].

ويعلن بعد ذلك اعتراضه الشديد وإنكاره على كل من ينكر شيئاً من حديث الرسول ﷺ الثابت عنه فيقول: (إني أبرأ من كل من ينكر شيئاً من حديث رسول الله إلا اتباعاً لأهل الفن ورجاله الذين يعرفون ما يقولون والذين يفعلون ذلك دفاعاً عن السنة لا هدماً لها)[3].

أما بالنسبة للأحاديث الضعيفة فكان يردها ويحذر منها فقد قال في تعليق على مقال في مجلة الإصلاح: (إن الضعيف ليس كله درجة واحدة، فالأحاديث التي لا يجوز الاستدلال بها إنما تصدق على ما كان شديد الضعف، لأن في إسناده من يرمى بالكذب، وأما ما كان في درجة الحسن فلا شك في صحة الاستدلال به)[4].

---

(1) انظر: الهدي النبوي بتصرف مجلد ٣ عدد ٣٠ (ص: ٣٢).

(2) انظر: الهدي النبوي مجلد ٦ عدد (١٩،٢٠) (ص: ٣٤).

(3) انظر: الهدي النبوي مجلد ٣ عدد ٣٠ (ص: ٣٢).

(4) انظر: مجلة الإصلاح مجلد ١ عدد ١ (ص: ٩) بتصرف.

ويذكر –رحمه الله– في موضع آخر وهو يوجه الأنظار إلى حسن الصلة بالسنة: (وعلى المؤمن أن يصل ما بينه وبين سنة هذا الرسول الأكرم ﷺ علماً ومعرفة وتمييزاً لها عن غيرها مما أُلصق برسول الله ﷺ ونسب إليه من القول الكاذب والعمل الباطل، حتى يكون على بصيرة في دينه وبينة في كل أمره وأن يبذل وقته وماله في حفظها والمحافظةِ عليها ونشرها والدعوة إليها)[1].

٢. إنكاره على المبتدعة لردهم السنة الصحيحة في مقابل كلام مشايخهم.

لقد خاض الفقي – رحمه الله – ضد المبتدعة وأهل التصوف حرباً طاحنة كما بينت هذا سابقاً، وكان من الأمور التي أنكرها عليهم وأثارت غيرته وحفيظته، تقديمهم كلام علمائهم ومشايخهم على النصوص الشرعية من القرآن والسنة، حيث بيّن أن هذا الأمر هو سبب ظلال المسلمين وتخلفهم ونكوصهم عن طريق الجادة، فكان يركز على هذا الجانب في كل فرصة يجدها للكلام عن التقليد الأعمى وويلاته، وما أكثر هذا في كلامه.

يقول – رحمه الله –: (إن الذين غلب على قلوبهم التقليد الأعمى والعصبية الجاهلية للآباء والرؤساء فانغمسوا في البدع الوثنية وغير الوثنية... واتخذوا الشيوخ والمتفلسفين بزعمهم أرباباً مشرعين لما لم يأذن به الله من الحلال والحرام والواجب والمندوب والمكروه ، ثم يجيئهم الحق من الآية الصريحة والحديث الصحيح – من رواية البخاري مثلاً يعرفون صحة ذلك وأنه كتاب الله وحديث رسوله ﷺ ، الذي يزعمون أنهم يشهدون له بالرسالة – فيردون تلك الآية وذلك الحديث بأهوائهم ويطعنون فيها بآراء شيوخهم وأساتذتهم وساداتهم قائلين مثلاً "هذا لا يناسب روح العصر ومدنيته أو هذا لم يأخذ به شيخنا وليس من مذهبه ولا طريقته)[2].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٧ عدد ١٠ (ص: ٤).

[2] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٥ ، عدد (٦،٧) ، ص٨

ويقول عنهم في موضع آخر: (فيا عجباً لكم تزعمون أنكم تعظمون رسول الله بهذا الكذب الذي تردون به قول الله وقول رسوله. وإذا جاءكم حديثه الصحيح الصريح في عقيدة أو عبادة أو حكم رددتموه إلى قول فلان، وإلى ما في المتن والشرح والحاشية، فإذا وافقتها قلتم به تبعاً، ورددتموه إذا خالفها وما أكثر ما يخالفها)[1].

لقد كان الشيخ دائم التنبيه على ضرورة اتباع الكتاب والسنة ونبذ التقليد إلا ما وافق الحق، لأن هذا ما كان يوصي به سلف هذه الأمة وخَلَفُها من الأئمة المعتبرين، يقول: (ولو ذهبنا نسرد قول الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السلف والخلف في وجوب اتباع الكتاب والسنة على كل مسلم وأنهما المعين الصافي الذي لا تكدره كثرة الدلاء، والذي يجب أن يكون مورد كل من أراد الله والدار الآخرة لو ذهبنا نسرد ذلك لطال بنا القول كثيراً)[2]. ثم هو يعلن في أكثر من موضع على أنه ما ذل المسلمون ووهنوا وذهبت ريحهم ووقع بأسهم بينهم إلا من تركهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ، يقول: (ألا إنه لا دين، لا إيمان، لا إسلام، لا فقه، لا توحيد لا أصول ، لا فروع ، لا عبادات، لا طهارات ، لا أحكام ، لا أخلاق ، لا آداب، لا صلاح، لا إصلاح، لا شيء من كل ذلك إلا من منبع قال الله وقال رسوله ﷺ)[3].

٣. موقفه من خبر الآحاد:

خبر الآحاد/ هو ما رواه الواحد أو الاثنان فأكثر مما لم تتوفر فيه شروط المشهور أو المتواتر. ولا عبرة للعدد فيه بعد ذلك، وهو دون المتواتر والمشهور.

المتواتر/ وهو ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه على أن لا يختل هذا الجمع في أي طبقة من طبقات السند[4].

---

[1] انظر: الهدي النبوي، مجلد ١٦ ، عدد ١٠ ، ص٦

[2] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢ ، عدد ١٥ ، ص٣٧

[3] انظر: المصدر السابق، مجلد ١ ، عدد ١٢ ، ص٩

[4] انظر: أصول الحديث، علومه ومصطلحه ، د/ محمد عجاج الخطيب ، ص ٣٠١-٣٠٢، ط٤، ١٤٠١هـ، دار الفكر.

(لم يكن هناك خلاف بين أحد من السلف في القرون الأولى الثلاثة المفضلة في وجوب العمل بالسنة دون تفريق بين ما سمي فيما بعد بخبر الآحاد وما سمي بالمتواتر، ولا ما يسمى بأصول الدين أو فروعه، بل لما بزغت بعض رؤوس الفتنة في عصور السلف الأولى وردّت السنة أو بعضها هبوا جميعًا في وجوههم، وحذروا منهم، حيث وقفوا سداً منيعاً للحفاظ على السنة.

والمتتبع لتاريخ ظهور بدعة القول برد خبر الآحاد يجد الأمور التالية:

١) أن هذا القول لم يظهر إلا على يد المبتدعة وأصحاب الأهواء من جهمية أو معتزلة أو متكلمين.

٢) أن حقيقة هذا القول هو رد السنة بمجرد العقل أو الهوى.

٣) أن هذا القول طوال القرون الثلاثة بل الأربعة الأولى لم يكتب له الانتشار والظهور.

٤) انتشار القول برد خبر الآحاد في القرن الخامس وما بعده أدى إلى سيطرة علم الكلام ومنطق اليونان، ففسدت أغلب العلوم الإسلامية بدخوله عليها.

٥) لم تستيقظ الأمة من الركود والجمود إلا على يد المدرسة السلفية، مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وذلك في نهاية القرن السابع.

وقد تلخصت الأقوال في خبر الآحاد كما يلي:

١- أنه لا يفيد إلا الظن، وهو مذهب المعتزلة والأشاعرة.

٢- أنه يفيد العلم ويوجب العمل إن كان الرواة عدولاً ضابطين.

٣- التفصيل، بأنه إذا احتفت بخبر الواحد قرائن دالة على صدقه أفاد اليقين وإلا أفاد الظن)[1].

مما سبق يتضح أن القول برد خبر الآحاد لم يظهر إلا على يد المبتدعة وأصحاب علم الكلام، ليطلقوا لعقولهم العنان في مقدمات منطقية أو عقلية راموا

---

(1) انظر: تدوين السنة، د/ محمد بن مطر الزهراني ، ٦٠-٦٦ بتصرف، دار الخضيري، ط٢، ١٤١٩هـ وانظر: الرسالة للشافعي ، ص٣٦٩، دار الفكر، تحقيق/ أحمد محمد شاكر.

من خلالها تعطيل الكتاب والسنة فوقعوا في تردد وشك وعدم طمأنينة، فهلك منهم من هلك، وحار من حار، وتخبط من تخبط، تحت ستار النظر والفكر والمنطق.

ولقد تصدى الشيخ – رحمه الله – إلى هذه الشبهة التي أثارها بعض المنتسبين إلى العلم وبعض أرباب الأهواء في معرض تشكيكهم في نزول عيسى عليه السلام فكتب رداً أثبت هذا الأمر من خلال الكتاب والسنة وأجلى الحكم في الأخذ بحديث الآحاد حيث ساق كلام ابن حزم رحمه الله[1] من كتابه الإحكام، الذي بيّن من خلاله حكم العمل بخبر الآحاد وأنه متى ما صح الحديث وجب العمل به وساق الأدلة الكثيرة على ذلك ثم عقّب الفقي – رحمه الله – بقوله: (إن الصواب من القول الذي لا ينبغي المحيد عنه؛ اعتماده طريقاً للعلم والعمل إذا كان بنقل الثقات العدول الضابطين السالمين من الجرح؛ على حسب ما اصطلح عليه علماء الحديث ونقلة الأخبار الذين هم الحجة في الدين، وعلى قولهم العمدة في فروع الدين وأصوله).[2]

٤- قضايا مهمة في موقفه من السنة:

(أ) حفظ الله السنة لارتباط القرآن بها:

يذهب الشيخ – رحمه الله – إلى أن الله قد تكفل بحفظ السنة كما حفظ القرآن للصلة القوية بين كتاب الله وبيان رسوله ﷺ ، وأن أعظم وسيلة لفهم القرآن معرفة الأحاديث الصحيحة والسيرة الثابتة إذ يقول: (ولقد حفظ الله لنا بيان الرسول كما حفظ لنا القرآن، فواجب على كل مسلم ولازم له ألزم من لقمة العيش وجرعة الماء؛ أن يعرف سيرة الرسول ﷺ وسنته الصحيحة الثابتة في البخاري ومسلم وأشباههما من الكتب الصحيحة ليفهم القرآن ويؤمن به ويتبعه لتهنأ حياته ويطيب عيشه)[3]

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٦ ، عدد ١٨/١٧ ، ص٣٥-٤٠

[2] انظر: المصدر السابق، مجلد ٦ ، عدد ٢٠/١٩ ، ص٣٣

[3] انظر: المصدر السابق، مجلد ١٧ ، عدد ذي الحجة ص٨

(ب) **موقفه من القرآنيين:**

أراد الاستعمار الغربي أن يدمر روح الإسلام المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليخلو لهم بعد ذلك أن يسيطروا على بلاد المسلمين وعلى مدخراتها، ونظراً لعلمهم أن المسلمين تكمن قوتهم في دينهم، جعلوا لهم أهدافاً يستطيعون من خلالها هدم الدين من أساسه أو تشكيك المسلمين في دينهم. ولمّا كانوا يعلمون موقع القرآن في نفوسهم وأن من عقيدتهم أن الله قد تكفل بحفظه مهما حاولوا فلن يصلوا إلى نتيجة تهز مشاعر المسلمين فيه، اتجهوا إلى السنة النبوية لتشكيك المسلمين فيها وإبعادهم عنها، فأوجدوا جماعة في شبه القارة الهندية في حدود عام ١٩٠٢م تنادي برد السنة كاملة والاكتفاء بما في القرآن الكريم، وأوجدوا شبهًا كثيرةً لهذا الزعم الباطل حيث قام على هذا الفكر المنحرف مجموعة من الأدعياء منهم المدعو/ عبد الله جَكْرَاَلَوِي، والخواجة أحمد الدين بن الخواجة ميان محمد الأمْرَ تُسَرِّي، والحافظ أسلم جِرَاجبوْرِي، وغلام أحمد برويز بن فضل دين وغيرهم.

على أيدي هؤلاء تم تأسيس جمعية أهل القرآن وانتشرت أفكارهم حتى وصلت إلى بعض الدول العربية والأوروبية والأمريكية"[(١)]

(أما في بلاد العرب فقد تولى كبر الدعوة إلى رد السنة والاقتصار على القرآن وحده طائفتان:

الطائفة الأولى: من يزعمون أنفسهم من أتباع المدرسة الإصلاحية التي نشأت وترعرعت في أرض الكنانة "مصر" على يد كل من محمد عبده وشيخه الأفغاني ونُشرت آراء هذه المدرسة من خلال وسيلتين.

الوسيلة الأولى: مجلة المنار التي نشرت سلسلة مقالات بعنوان الإسلام هو القرآن وحده بقلم د/ توفيق صدقي. **الوسيلة الثانية: كتاب** "أضواء على السنة المحمدية لأبي رية.

---

(١) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، خادم حسين بخش، ط٢، ١٤٢١هـ، مكتبة الصديق.

الطائفة الثانية/ بعض الكتاب والأدباء وهم من أبناء الكنانة أيضاً ممن تأثر بالفكر الاستشراقي على رأسهم طه حسين وأحمد أمين وغيرهما). [1]

من أجل ذلك كان الفقي – رحمه الله – ينادي بالأخذ بالسنة المطهرة وعدم الالتفات إلى تلك الترهات (وذلك طبعاً بعد تطبيق ما صح من أحاديث رسول الله ﷺ التي بيّن بها للناس ما نزل إليه من عند ربه، فإن فيها من تفصيل ما أجمله القرآن ما لا غنىً عنه بحال. ولا يلتفت إلى النفر القليل الذين يزعمون بسخف عقولهم أنهم لا يأخذون إلا بالكتاب العزيز معرضين عن السنة التي لا توافق أهواءهم حتى ولو جاءت من أصح الطرق وأعدلها)[2].

(ج) الاهتمام بدراسة الأسانيد:

برع الشيخ – رحمه الله – كذلك في دراسة الأسانيد والحكم عليها وذلك من خلال الرجوع إلى الكتب المعتبرة في هذا الفن، حيث كان يحكم على الأحاديث وينقل كلام العلماء جرحاً كان ذلك أو تعديلاً، بفكرٍ صاف وتجردٍ للحق، ثم يُتْبِع ذلك ذكر من خرّج الأحاديث من أصحاب الكتب.

ولقد ظهر هذا الأمر جلياً حين شرح كتاب "المحرر" لابن عبد الهادي –رحمه الله– في ثنايا المجلة، ومن الأمثلة على ذلك عندما تكلم عن حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – الذي جاء فيه: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر قضاعة؟ وهي بئر تلقى فيها الحِيَض والنتن ولحوم الكلاب قال" إن الماء طهور ولا ينجسه شي" رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه وروي من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد وجابر.

قال الفقي: (أقول: رواه الترمذي قال: "حدثنا هناد والحسن بن علي الخلال وغير واحد، قالوا حدثنا أبو أسامة – يعني حماد بن أسامة القرشي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت مات سنة ٢٠١، عن الوليد بن كثير ... وقال الحافظ المنذري في تهذيب

(١) انظر: تدوين السنة / أحمد مطر ، ص٥٨-٦٠ بتصرف.

(٢) انظر: صحيفة الإصلاح ، عدد ٧،٨ ، السنة الأولى ، ص٤.

سنن أبي داود ... وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص ... وقد ذكـــره البيهقـــي في السنن وساقه من عدة طرق وذكر الاختلاف في عبيد الله بن عبد الله بـــن أبي رافـــع وذكر للحديث شواهد... وقال الشيخ عبد الرحمن المباركفوري في تحفة الأحـــوذي شرح الترمذي كذا... وقال الخطابي في معالم السنن كذا...)[1].

ثم يذكر كلام أهل العلم في الرجال والأسانيد باستفاضة مع ذكـــر الفوائـــد الحديثية والفقهية[2].

---

[1] انظر: الهدي النبوي، مجلد ٣، عدد ٢٦، ص٩-١٤، بتصرف.

[2] انظر: تعليقاته على جامع الأصول لابن الأثير وطبقات الحنابلة لأبي يعلى.

المبحث الثالث

جهوده في الرد على المتكلمين واعتمادهم العقل

كان السلف رضوان الله عليهم من أبعد الناس عن الخوض في الأمور الغيبية التي لم يرد فيها دليل من الكتاب والسنة، بمعنى أن كلامهم وشروحاتهم وتصانيفهم لا تتناول جانب الخوض في الغيبيات التي تعتمد على المقدمات المنطقية والأقيسة العقلية. بل كانوا على ما أرسل الله به رسوله ﷺ ، من الدين الحق والاتباع الصادق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول، إلى أن بزغت العقول العفنة والفرق المنحرفة التي تنادي بتعظيم شأن العقل ورفعه إلى درجة لا تنبغي له، حيث وضعوا له مقدمات وقضايا جعلوها لازمة وحاكمة على الأدلة النقلية.

وهذا الأمر لم يحدث مصادفة هكذا، بل له مقدمات وأصول سبقت ظهوره على المجتمع الإسلامي، وهذه الأصول تكمن في ظهور أهل البدع والأهواء الذين يمكن أن نؤرخ بدايتهم أنها كانت أيام الفتنة التي قتل فيها عثمان – رضي الله عنه وأرضاه – ، يقول ابن تيمية – رحمه الله – (لما قتل عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ووقعت الفتنة اقتتل المسلمون بصفين، ومرقت المارقة.. وكان مروقها لمّا حُكّمَ الحكمان وافترق الناس على غير اتفاق... وحدثت أيضاً بدعة التشيع كالغلاة المدعين لإلاهية علي.. والسابين لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –... وبدعة الخوارج والشيعة حدثتا في ذلك الوقت لما وقعت الفتنة، ثم إنه في أواخر عصر الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة... ثم إنه في أواخر عصر التابعين – من أوائل المائة الثانية حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم ... ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة، وهؤلاء أول من عُرف عنهم في الإسلام أنهم أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام..)(١)

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيميه ج١ / ٣٠٦-٣١٠ بتصرف. تحقيق د/ محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٩هـ.

وأقف هنا وقفة يسيرة مع تعريف علم الكلام والمتكلمين:

حيث ذهب كثير من أهل الكلام في تعريفاتهم له على أنه : (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه)[1].

قال ابن أبي العز: (إنما سمي هؤلاء أهل الكلام لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما عُلم بالحس)[2]

وأهل الكلام: (هم الطوائف الذين ارتضوا علم الكلام وقواعده الفلسفية منهجاً في الاستدلال على مسائل الاعتقاد. ومن أشهر فرق المتكلمين الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وغيرهم)[3].

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المعتزلة كان لهم اليد الطولى في تأسيس وإنشاء ما عُرف بعد ذلك بعلم الكلام جراء مطالعتهم وشغفهم بكتب الفلاسفة.

يقول الشهرستاني: (... ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين انتشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام)[4].

على أن من أهم الأسباب التي جعلت هذا المنهج ينتشر بين المسلمين هي تلك الحركة الموبوءة التي قام بها المأمون من ترجمة لكتب الفلاسفة اليونان وغيرهم حتى إنه كان يعطي الأعطيات والجوائز لمن يفعل ذلك.[5]

قال ابن تيمية — رحمه الله —: (وفي دولة أبي العباس المأمون.. عُرِّب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين).[6]

---

(1) انظر: المطالب الحسان في أمور الدين — لعبد الملك الفتني ، ص٥١ ، وشرح العقائد النسفية — للتفتازاني ، ص١٧ ، والمواقف في علم الكلام للإيجي ، ص٧ ، والمسامرة بشرح المسايرة — كمال الدين بن أبي شريف ، ص٩.

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، ٢٤٢/١. ابن أبي العز، تحقيق د/ التركي والأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٥هـ

(3) انظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل ، جابر إدريس علي ، ج١ ، ص٤٩. مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ

(4) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ، ج١ ، ص٣٠. تحقيق محمد سيد كيلاني، طبعة الحلبي، ١٣٩٦هـ.

(5) انظر: سير أعلام النبلاء . الذهبي ، ج١ ، ص٢٧٨ ، ص٢٨٥، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة أضواء السلف.

(6) انظر: نقض المنطق ، ابن تيميه ، ص١٩. تصحيح محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

ويقول السيوطي على لسان الصفدي: (إن الخليفة المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى، أرسل إليه رسالة يطلب منه خزانة اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها إليه، إلا بطريق واحد فإنه قال جهزها إليه فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها)[1].

وحدث ما توقعه البطريق إذ أحدثت هذه الكتب تحولاً في أفكار الناس ومسلماتهم وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية حيث تكلم عن أحوال الناس مع هذه الكتب المترجمة فقال: (ثم إنه لما عُرِّبت الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية وقبل ذلك، وبعد ذلك وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم ... وصار الناس فيها أشتاتاً قوم يقبلونها، وقوم يجلّون ما فيها، وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق ذلك دون مخالفة، وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب، مضموماً إلى ما حصل من التقصير والتفريط في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة...).[2]

وهكذا دبَّ في الأمة هذا الداء العضال الذي ما زالت تعاني منه إلى الآن وإلى أن يشاء الله وما كان هذا إلا بترك الكتاب والسنة.

وقد اصطلى الفقي بنار هذا الداء العضال حيث كان زمانه مرتعاً خصباً انتشر فيه أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم، ودُرِّست كتبهم ومصنفاتهم حتى ظن الكثير أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

[1] انظر: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي (ص: ٩)، دار الكتب العلمية، بيروت.

[2] انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيميه، ج١ / ص٣٢٣. تصحيح/ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط٢، ١٤٢١هـ، دار القاسم.

وقد قامت مطاحنات ومناظرات عدة بينه وبينهم في الصحف والمجلات[1] ورُفعت فيه الكثير من الشكايات والتهم إلى شيخ الأزهر في ذلك الوقت واستعدي عليه رجال السلطة لينالوا منه ولكن الله نصره وأعلى كلمته على أولئك المبتدعة.

ومن أعظم تلك المواقف ما حدث بينه وبينهم، عندما قام بنشر كتاب "رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد"، ووضع له مقدمة أبان فيها كيف انحرف المسلمون عن الصراط المستقيم وكيف بدأت الفتن تدب في العالم الإسلامي وخاصة علم الكلام فثارت الثائرة عليه من قبل المخالفين له وشُكي إلى الأزهر من أجل "تشليحه" كما قالوا من شهادة الأزهر العالمية.

لكن الأزهر – والحق يقال – وقف مع هذه القضية المهمة التي لا سابقة لها موقف المنصف برئاسة الشيخ/ عبد المجيد سليم- رحمه الله -، حيث أمر بتشكيل لجنة لدراسة هذه القضية حيث أصدرت فيها تقريرين كان الأول منصفاً وكان الثاني فيه تحامل واضح على الفقي. فما كان منه إلا أن أمر الشيخ/ محمود شلتوت أن ينظر في القضية لما عُهد عنه من التقوى والإنصاف والتجرد.

وقد استمر النظر في هذه القضية مدةً من الزمن تقدر بثلاث سنين بعدها أصدر الأزهر حكمه الفصل وأعلن في سابقة عظيمة ضَلاَل أولئك المتكلمين وانحرافهم عن النهج السليم، وتزكية لكتاب الدارمي، وصحةً لموقف الفقي ولزومه منهج السلف.

وسوف أعرض لهذه القضية بإيجاز:

(١) يقول الفقي: (فإني حين فرغت من طبع كتاب "رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد" قامت شرذمة من الناس تحت راية رجل أعماه التقليد الجاهلي وأصمته العصبية لنفسه لا كما يدعي زوراً للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. قامت تلك الشرذمة وتنادت بالويل والثبور، لأن حامداً

[1] انظر: مجلة الإسلام، السنة الثامنة، عدد ٣٣ ص١٩ ، وعدد ٣٥ ص٨.

رئيس أنصار السنة المحمدية نشر في الناس رد الدارمي الذي مزّق أديم داعية الجهمية في زمانه — المريسي — ، والمريسي زعم رئيس الشرذمة أنه مثله، لصيق بأبي حنيفة الإمام رحمه الله... فأخذته الحمية لنفسه والخوف عليها فدعا عصابته هلموا إلي بأقلامكم وألسنتكم لعلنا أن ننال من أديم الدارمي وناشر كتابه... وانجلت المعركة عن خيبة عميقة لأولئك الجهمية المساكين كشأن أسلافهم... فلما رأوا أن الناس قد أقبلت على كتاب الدارمي، وعلى نادي أنصار السنة تسمع لناشره، وتأخذ عنه العقيدة الصحيحة في الأسماء والصفات راحوا متصنعين الفزع على الدين يطرقون باب الأزهر ويستعدونه على كتاب الدارمي وناشره ومناصره ، ثم أخذوا يرجفون بأن مشيخة الأزهر ستقتل الدارمي وتمحو اسمه من سجل العلماء بمصادرة كتابه وستشلح عن ناشره ثوب العالمية، وعجب الناس لهذه الأراجيف، ودهشوا للكتابات والتقريرات التي تُنشر عن الكتاب... ثم ما لبث أن طلع عليهم تقرير العلامة الجليل الشيخ/ شلتوت حيث جلا الحقيقة التي كان يتلهف إليها الناس من الأزهر وعلمائه الغيورين على الإسلام، وانتهت مرحلة الدارمي وكتابه وناشر كتابه في جلسة كبار العلماء وقالت كلمتها التي طالما انتظرها الناس ثلاث سنوات. قالو "إن الكتاب لا يصادر" وهذه هي الصاعقة التي أحرقت كل أفّاك يحاول أن يتحكم في عقائد المسلمين)[1]

أ- <u>التقرير الأول لعلماء الأزهر/</u> كان حول سؤال وجه إليهم فحواه فيمن قال إن الملائكة حملة العرش الثمانية أوعال... ومن قال حملة العرش منهم من صورته على صورة النسر أو الثور أو الأسد. هل هذا مؤمن أم لا؟ وإذا قلتم مؤمن فكيف يكفر بنص القرآن من قال إن الملائكة إناث و لم يكفر من قال إنهم تيوس مع أن النساء أشرف من التيوس. ما وجه ذلك مفصلاً.؟

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ٦ ، عدد (٢١/٢٢) ص١،٢.

ولقد أجابت اللجنة إجابة موفقة مسددة بدراسة أسانيد تلك الآثار وبيان موقف العلماء منها وما جاء في السؤال.[1]

ب- التقرير الثاني/ كان بتوقيع نفس اللجنة حول كتاب الدارمي ومقدمته وجعلوا ذلك في ثلاث نقاط:

١- ما اشتملت عليه مقدمة الناشر والتنبيه على ما فيها.

٢- منزلة عثمان بن سعيد الدارمي في الفقه والحديث وأصول الدين وتحقيق نسبة الكتاب إليه.

٣- موضوع الكتاب، ببيان مسلك المؤلف في فهم آيات وأحاديث الصفات والتنبيه على خطئه بعد المقارنة بما نقل عن السلف وغيرهم في ذلك.

والحقيقة أن اللجنة قد حادت في أحكامها وركنت إلى الهوى في كلامها حول النقاط الثلاث حيث حوروا في أحكامهم إلى ما يوافق آراؤهم وما يعتقدونه من تأويل ومجاز وغير ذلك.

حيث قالوا: (... ونرى أن هذا الكتاب لا يصح أن يعتبر من كتب العقائد الدينية التي يُنتفع بها، لا بالنسبة لأهل العلم الذين يميزون الطيب من الخبيث، ... ولا بالنسبة للعامة الذين لم يتمكنوا من علم العقائد لأنه يوقعهم في الضلال)، ثم أصدروا حكمهم فقالوا: (إنه ينبغي النظر في شأن هذا الكتاب من جهة صحة تداوله أو منعه من التداول صيانة لعقائد العامة من الزيغ والضلال، كما يجب النظر في شأن ناشره من هذه الجهة، لأنه عالم ديني عهد إليه وعظ العامة وإرشادهم وكوّن جمعية سماه جماعة أنصار السنة المحمدية وجعل نفسه رئيساً لها فبنشره لهذا الكتاب يعتبر داعية لما اشتمل عليه، وهو مخالف لما عليه جمهور المسلمين من عهد الصحابة إلى الآن)[2].

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ٦، عدد (٢١/٢٢) ، ص٥

[2] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٦ ، عدد ٢١،٢٢ ، ص٢٠-٤٠.

ج- **التقرير الثالث/** قال الشيخ/ محمود شلتوت – رحمه الله – (فإني درست التقرير الذي وضعته لجنة جماعة كبار العلماء عن كتاب عثمان بن سعيد الدارمي الذي قام بطبعه ونشره والتقديم له الشيخ/ حامد الفقي من علماء الأزهر الشريف كما درست الكتاب نفسه والمقدمة التي يدور عليها التقرير...الخ).

ولقد قام الشيخ شلتوت بنقد كلام اللجنة نقداً علمياً مؤصلاً يقوم على الإنصاف والعدل بعيداً عن الهوى والميل النفسي.

يقول الشيخ شلتوت: (... لذلك عجبت جداً حين رأيت التقرير يصور "الفقي" بصورة رجل يقف وفي يده كلمة الكفر، يقذف بها وفي وجوه علماء التوحيد وأئمة الكلام).

ثم يقول (فقد كان أولى بنا – بدل أن نقرأ هذا التقرير الذي ينظر في مقدمة الناشر نظرة تخرجها عن واقعها، وتحولها عما أراده منها صاحبها – كان أولى أن نقرأ تقريراً آخر ينظر في الكتاب وما تضمنه لينبه ويناقش ما فيه، ويبيّن للناس وجهة الحق ثم يطلب من الجماعة العمل على إلزام ناشر الكتاب بنشر هذا البيان... لهذا أقترح على الجماعة الموقرة أن تصرف النظر عن هذه المسألة، لئلا تثير مشاكل لا فائدة للإسلام والمسلمين من إثارتها، لا بالنسبة إلى الكتاب ولا بالنسبة إلى ناشر الكتاب)[1].

أما موقف الفقي من الكلام وأهله وكيف بدأ وانتشر في العالم الإسلامي وما هو حال السلف فيقول: (... كان هذا شأن الصحابة والسلف – رضي الله عنهم أجمعين – يستضيئون بمشكاة القرآن فيهديهم أقوم الطرق، ويتحاكمون إليه وإلى سنة الرسول ﷺ فيفوزون بخيري الدنيا والآخرة، وما زال هذا شأن الناس حتى دخل فيهم الدخيل المدخول، ولبس ثوب الإسلام اللين الجميل على قلب

---

[1] انظر: الهدي النبوي، مجلد ٦، عدد ٢١،٢٢، ص٤٠-٥٠

موتور، وصدر موغور، ونفس تأكلها نار العداوة للإسلام... فبذروا في الناس بذور الفتنة، وزينوا لهم الانصراف عن الكتاب والسنة ومنبعهما الصافي إلى آراء الرجال وقياس العقول البشرية وزادوا في الفساد أن حسّنوا علوم الفرس وفلسفة الهند واليونان في الإلهيات وزخرفوها بشتى الوسائل من أنها موافقة للمعقول وأنه من العار على الإنسان أن يلغي عقله ولا يحكمه في منقول العلوم، ولابد أن يكون له السلطان على كل شيء حتى صفات الله وأسمائه والدار الآخرة وشئونها، واستعانوا على ذلك ببعض المخدوعين من الحكام والولاة، فاجتمع لهم الشبهات ووحي الشيطان وقوة اللسن وشدة المراء والجدل وبأس السلطان وسيفه، فقويت الفتنة وعم شرها... وكان من نتائج ذلك أن تبدل مجرى العلم الإسلامي وتحول من نهجه الأول وطريقه القويم الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المهتدون، ودونت الكتب والمؤلفات موسومة بأسماء إسلامية لترويج هذه الفتنة... وما علمنا المسلمين كانوا أذل منهم وقت أن فشت فيهم هذه الكتب والمؤلفات ولا أبعد منهم عن روح الإيمان وإخلاص المؤمنين السابقين، وما تقلّص ظل الإسلام ودولته إلا بعد نشر هذه المؤلفات... ولا سمعنا أنه انتفع بها أحد لا مدّع للإسلام ولا غير مدّع للإسلام)[1].

ويقول في موضع آخر: (لقد فتح على المسلمين أبواب الشبه والشكوك في عقائد القرآن وتوحيد القرآن وإيمان القرآن بما تُرجم لهم في عصر العباسيين من كتب اليونان والفرس في الفلسفة الإلهية... وجاء المأمون لا أقال الله عثرته فألزم الناس بها إلزاماً، وفرضها على الناس فرضاً... ثم ابتكر* فكرة شيطانية خبيثة هي القول بخلق القرآن وتشدد فيها تشدداً عجيباً وأخذ العلماء بمنتهى القسوة والغلظة)[2].

[1] انظر: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد. تحقيق/ الفقي ص (ز+ج).

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ٢ ، عدد١٦ ، ص٦.

* الحقيقة أن المأمون لم يبتكرها لكنه نصر الذين ابتكروها، فنسبها الشيخ رحمه الله إليه مجازا.

ولقد كان رحمه الله يكثر من التنبيه والإشارة إلى أن علم الكلام دخيل على المسلمين لا فائدة فيه مرجوة، بل هو أداة إفساد قَصَدَ إليها أعداء الإسلام لحربه وهدمه (فبادروا بفتح أبواب الترف العلمي بالمراء والجدال والمناظرات الكلامية والمحاورات التي لا طائل من العمل تحتها، ولا يجني الفرد ولا الجماعة أية ثمرة، ولا أدنى فائدة منها، وسموا ذلك علم الكلام، وأخرى علم التوحيد وأخرى فلسفة وتحقيقاً، وزعموا لهم أن ذلك توسيع للذهن وشحذ للفكر ورقي في العلم والبحث)[1]

وهو دائماً يعلن تبرؤه من هذا العلم ومن مشتقاته وألفاظه فعندما قدّم لكتاب "رد الإمام الدارمي" قال: (وأثنى على كتابه هذا كثير من السلف... لولا أنه أتى فيه ببعض الألفاظ... كان الأولى أن لا يأتي بها ... كمثل "الجسم والمكان والحيز" فإني لا أوافقه عليها ولا أستجيز إطلاقها لأنها لم تأتي في كتاب ولا في سنة صحيحة)[2].

كما يقول: (إنه لم ينقل عن الصحابة أنهم سألوا الرسول ﷺ حينما سمعوا منه الآيات المفصلات كيف؟ ولماذا؟ ويلزم الجهة ويلزم التحييز ويلزم المكان ويلزم كذا وكذا)[3].

ثم هو يعلنها صراحة أن علم الغيب لا يخضع لمشاهدات حسية أو قياسات أو مقدمات، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله (فأهل الإيمان يقبلون الأخبار من الصادق المصدوق، ويردون تفصيل ما أجمل من الغيب إلى عالم الغيب والشهادة ، لا يتصرفون فيها بالقياس والرأي، فإن مبنى القياس والرأي على اتحاد العلة والغاية، ومرجع ذلك إلى إدراك الحواس للمقدمات التي تؤدي إلى نتائجها، والعوالم الغيبية لا تقع تحت مدركات الحواس فلا تعلق للمقدمات والنتائج بها ولا يصح قياسها على علم الشهادة لأن الفرق بينهما بعيد والبون شاسع لا يدرك)[4].

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ١٣ ، عدد ١١ ، ص٢.

[2] رد الإمام عثمان بن سعيد..، ص (ل).

[3] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٥ ، عدد (٢٣،٢٤).

[4] انظر: المصدر السابق، مجلد ١ ، عدد ١١ ، ص٥.

رحم الله سلفنا الصالح الذين وقفوا أمام هذه الفتنة موقف مشرفاً عظيماً حذروا من الخوض فيها أو الاقتراب منها حفظاً للمعتقد الصحيح والإيمان الصافي يقول الشافعي: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام)[1].

ويقول كذلك: (لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله، ولأن يُبتلى العبُد بكل ما نهى الله عنه – ما خلا الشرك بالله – خير له من أن يُبتلى بالكلام)[2].

ويقول شيخ الإسلام عن المنطق اليوناني الذي انبهر به أهل الكلام (لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد)[3].

ويقول أبو المعالي الجويني – رحمه الله – (يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خُضتُ البحر الخِضَمَّ وخلّيت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا ذا أموت على عقيدة أمّي أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور)[4].

وذكر ابن تيمية – رحمه الله – عن ابن واصل الحموي أنه قال: (أضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر، و لم يترجح عندي شيء)[5].

وهكذا دائماً يكون حال من أعرض عن المنهج القويم، منهج الكتاب والسنة وترك لعقله ولهواه يتخبط به يمنة ويسرة فلا شك أنه ضال ومنحرف والتاريخ خير شاهد.

---

[1] انظر: شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز ، ج١ ، ص١٧.

[2] انظر: المرجع نفسه ، ج١ ، ص٢٤٧.

[3] انظر: شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز ، ج١ ، ص٢٤٥.

[4] انظر: المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٤٧.

[5] انظر: درء تعارض العقل والنقل. ابن تيميه ، ج١ ، ص١٦٥. تحقيق د/ محمد رشاد سالم، ط٢.

المبحث الرابع

جهوده في الرد على الصوفية واعتمادهم الرؤى والمنامات والكشف

لقد كان من العقبات التي واجهها الفقي -رحمه الله- في حياته، عقبة كأداء صعبة المراس جامحة البأس، تلك التي كانت متمثلة في النهج الصوفي المنحرف الذي كان سائداً ومنتشراً في تلك الحقبة الزمنية على العالم الإسلامي عامة وفي مصر خاصة، والذي مازال إلى الآن يرفرف بأجنحته على كثير من البلاد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد عانى الفقي -رحمه الله- معاناة عظيمة من هذا الفكر العفن الذي يخالف جوهر دعوته -دعوة التوحيد- مخالفة لا مداهنة فيها ولا مدارة ولا مجاملة، إذ أن كثيرًا من العقائد الصوفية تخالف عقيدة التوحيد إجمالاً وتفصيلاً.

فالعقائد الصوفية تقوم على الشركيات، ورفع التكاليف الشرعية، والحلول، والاتحاد ووحدة الوجود، والفناء والكشف، والرؤى والمنامات، والأذواق والغلو، والقبور والأضرحة وغير ذلك من الخزعبلات، التي ما أنزل الله بها من سلطان، أما عقيدة التوحيد فتقوم على الكتاب والسنة، فعلاً وتركاً، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب المنهيات وهذا باختصار مجمل عقيدة التوحيد.

فلا مجال هناك للذوق ولا للرؤى والمنامات، ولا للكشف والإشراقات، بل ما صح به الدليل وثبت فالمعول عليه والرجوع إليه، ولذلك قامت في مصر حرب شرسة ضروس- إن صحت العبارة- بين الصوفية وأذنابها من أصحاب الطرق والموالد والمشاهد والمزارات وبين دعوة التوحيد المتمثلة في جماعة أنصار السنة بقيادة الفقي وإخوانه في الجماعة.

ومما ساعد على تأجيج أوارها أن كثيراً من أنصار السنة قد اصطلى بنار الصوفية في أول حياتهم وفي مقدمتهم الفقي -رحمه الله- حيث يقول: (ولقد كنت

واحداً منهم وعرفت دخائل أمورهم، وخبايا زواياهم فالحمد لله الذي أنقذني وهداني إلى الإسلام)[1].

ويقول: (ولقد كنت في حياتي الأولى سالكاً مع السالكين، وملبساً مع الملبسين، ومنحرفاً مع المنحرفين وداعياً إلى البدعة والجاهلية، وعبادة الموتى والخُشُب والنُصب مع الداعين، فهداني الله إلى دين الهدى وكشف عن بصيرتي حجب الجهل والعمى.. فذقت من يومئذٍ حلاوة التوحيد الخالص والإيمان)[2].

هكذا يقرر الفقي –رحمه الله– أن الانتساب إلى تلك الفرق الصوفية ليس من الإسلام في شيء، وأنه ما عرف الإسلام إلا من بعد أن ترك الصوفية وتجرد للدين الصافي والتوحيد الخالص.

يصف الفقي –رحمه الله– الصوفية بقوله: (تقوم على محاربة سنن الله ومناقضة أوامره الكونية والشرعية، ورسالات الله التي يهدي بها الإنسان إلى الصراط المستقيم فالصوفية تحارب الله وشرائعه لأنها تدعو إلى الجهل وكراهية ومقت العلم... فبالجهل طغى شيوخ الصوفية فجعلوا أنفسهم آلهة، وبالجهل ذل العامة، واستكانوا للشيوخ ... فكانت طبقة المستكبرين وطبقة المستضعفين التي ولّدت نظام الطبقات المقيت)[3].

ويقول: (فكان من ثمرات هذا الدين الصوفي الشيطاني الخبيث: عبادة الموتى واتخاذهم –باسم الأولياء والوسائط والشفعاء– أنداداً لله وأقام الوحي الشيطاني الخبيث –باسم الصوفية– حرباً على الوحي الكريم من الله إلى أنبيائه، من أول نوح إلى يومنا هذا)[4].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٩ (ص: ٤٨).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ١ عدد ٢ (ص: ٦،٧).

[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢١ عدد (٢-٧) (ص: ١٠).

[4] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٦ عدد (٥-٦)، (ص:١٢).

وفي الحقيقة أن المتتبع لكلام الفقي –رحمه الله– يجد أنه لا يترك فرصة يمكن من خلالها التعريض أو التصريح بالصوفية إلا فعل، وهذا أمراً لا غبار عليه لمن يعرف طبيعة المجتمعات في ذلك الوقت.

وحتى تتضح الصورة الحقيقية لوضع الشيخ مع الصوفية أجدني مضطراً لجعل ذلك في عناصر وهي كما يلي:

١) الفقي ومسمى التصوف:

هذه الكلمة أشكلت على كثيرين ممن حاول نسبتها إلى شيء محدد تُنسب إليه وتقصر عليه دون غيره.

فهل هي مشتقة من الصُّفة، أو الصوف، أو الصفاء ، أو الصف، أو سوفيا "اليونانية" التي معناها الحكمة أو غير ذلك.

قال شيخ الإسلام: (لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك... وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي، فإنه من أسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك.

فقيل: إنه نسبة إلى أهل الصفة وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل صُفّي. وقيل : نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صَفَوِيْ. وقيل: نسبة إلى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة، قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة ينسب إليها النساك...) ثم إن شيخ الإسلام يرجّح أنها منسُوبة إلى لبس الصوف فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة [1].

ولقد تنوعت أقوال العلماء واختلفت في الوقت والزمان التي ظهرت فيه الصوفية حسب ما ترجح عندهم من أدلة وقرائن، وأذكر فيما يلي أهم الأقوال التي جاءت حول هذه القضية:

١. أن هذه التسمية عرفت قبل الإسلام، مراداً بها أصحاب الفضل والشرف.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج١١/ (ص: ٦)، انظر: الصوفية والفقراء (ص: ١٢،١١).

٢. أن المذهب الصوفي ظهر سنة ١٥٠هـ.

٣. أن المذهب الصوفي ظهر سنة ١٨٩هـ.

٤. أن المذهب الصوفي ظهر بعد المائتين من الهجرة.

٥. أن المذهب الصوفي ظهر قبل المائتين من الهجرة.

٦. أن المذهب الصوفي ظهر بعد القرون الثلاثة الأولى أي في القرن الرابع.

٧. أنه اشتد بعد النصف الثاني من القرن الثامن والتاسع والعاشر حين ظهرت آلاف الطرق الصوفية.

٨. أن التصوف كان معروفاً في زمن النبي ﷺ كما قال بعض من علماء الصوفية وهذا من أبطل الأقوال)[١].

إلا أن الفقي -رحمه الله- يذهب في هذا الأمر مذهباً آخر وينحو منحىً آخر حيث إنه ربط بين أفعال وعقائد الصوفية وبين أفعال وعقائد كثير من الأديان المنحرفة والأمم الهالكة، أمثال المجوس والهنود وأهل اليونان واليهود والنصارى وغيرهم. فظهر التشابه الكبير بينهم مما جعله يؤكد أن الصوفية مذهب قديم جدا وليس من الإسلام في شيء.

يقول -رحمه الله-: (هذه الطرق الصوفية ليست من الإسلام في شيء، والإسلام لا يعرف هذا التصوف بتقاليده وطقوسه وشطحاته وأسراره وباطنه، بل جاء دخيلاً من متصوفة الفرس والهند)[٢].

ويقول: (فانظر إلى الصوفية في عقائدهم وعباداتهم ومراقصهم وموالدهم وطواغيتهم، ومزّق عنهم تلك الهلاهيل والمزق من الأسماء الإسلامية الكاذبة، فإنك توقن حينئذٍ أنها ترجع كلها إلى أصول بوذية وبرهمية ومجوسية وكهنوتية وكنسية يهودية ونصرانية)[٣].

---

[١] انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام د/ غالب علي عواجي ج٢/ (ص: ٧٣٣). ط٣، ١٤١٨هـ، دار لينة للنشر والتوزيع.

[٢] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٩ (ص: ٤١).

[٣] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٠ عدد ٥ (ص: ١٣٢).

كما يذهب –رحمه الله – إلى أن السبب في وجودها وانتشارها هم اليهود الذين ما فتئوا يكيدون للإسلام والمسلمين تحت مسميات كثيرة ومختلفة يقول: (.... ولكن الجمعية الباطنية من اليهود وإخوانهم من أعداء الإسلام غرسوا هذه الشجرة الخبيثة باسم التصوف الذي جلبوه من طقوس الكنيسة التي اقتبسته من وثنية الهند واليونان)[1].

ويقول في موضع آخر: (ولكن العدو الدنيء من فلول اليهود عمدوا إلى أسفل وأدنأ سلاح فحاربوا به دولة المسلمين وعزهم؛ ذلك هو سلاح التصوف وطقوسه الهندوكية والكهنوتية والكنسية...)[2].

مما سبق يتضح أن الشيخ –رحمه الله- حكم على الصوفية من خلال عقائدها وأعمالها لا من اسمها ونشأها في التاريخ الإسلامي كما هو معروف في المصنفات والكتب. يقول معلقاً على معنى كلمة التصوف (هذه كلمة أعجمية وليست بعربية ولا إسلامية فهي: أولا: هندية، ثم يونانية ومعناها السعي إلى الحقيقة الأولى أو الحقيقة الإلهية وهي الأساس الذي قامت عليه عقيدة وحدة الوجود، ومن حاول الدفاع عن الصوفية أو تقسيمها إلى قديمة وحديثة، فإنما ذلك عن دراسة سطحية، و إلا فهي صنوان أو شيء واحد، والصوفية متباعدة الجذور في القدم آلاف السنين إلى ما قبل نوح عليه السلام وصورها واضحة وروائحها فائحة من سورة نوح وغيرها من آي القرآن ومما ذكر الله ربنا فيها من آلهة الصوفية ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر)[3].

وهذا الكلام من الشيخ قد يكون فيه نوع من المبالغة ليس هذا مكان بسط الكلام فيه، حيث خصصت له حديث آخر، ولكن ما رمى إليه الشيخ من أن الصوفية قديمة وأنها نتاج مجموعة من الوثنيات السابقة فأرى أن هذا الكلام هو

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ٥ (ص: ١٥٠٩).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ١ (ص: ١٦).

[3] انظر: مدرج السالكين ابن القيم ج١ (ص: ٤٩٩). تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

أقرب إلى الحقيقة والصواب لاعتبارات كثيرة ذكرها صاحب كتاب "الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ" "محمود عبد الرؤوف القاسم" حيث ذكر أدلة قوية دامغة ونقولات واستشهادات يضيق المكان عن ذكرها لكنها مقنعة لصاحب العقل المنصف والمنهج المستقيم أسوق بعضاً منها:

يقول: (إن الدراسة لوثنيات التاريخ تؤكد بأن الصوفية وجدت منذ أن نزل إبليس إلى الأرض أو بعد ذلك بقليل، ولقد انحدرت إلى المسلمين من الأمم السابقة كما يلي:

١) عن عرب الجاهلية/ فقد كانت الصوفية منتشرة في جزيرة العرب قبل الإسلام وكانت معروفة باسم الكهانة حيث كان في كل قبيلة كاهن.

٢) من الهند/ الكهانة الهندوسية هي نفس الكهانة في كل مكان؛ عقيدة وطريقة، وهي نفس الصوفية حيث تقوم عقيدتها على وحدة الوجود وطقوسها "الخلوة والجوع والسهر والصمت".

٣) من فرس الجاهلية/ حيث كانوا يدينون بالزرادشتية "المجوسية" المبنية على وحدة الوجود منحدرة من اتحاد أو حلول.

٤) من اليونان/ حيث كانت تسيطر الالوسية التي هي نفس الكهانة الهندوسية ونفس الغنوصية ونفس الصوفية عند المسلمين.

٥) من اليهودية/ حيث كانت الصوفية منتشرةً بين اليهود وكانت تسمى "التنبؤ" ويسمى الواصل من السالكين فيها "نبياً" ويسمى شيخها "صوفي".

ثم يقول: (عندما جاء الإسلام كانت الصوفية منتشرة في كل البلاد التي دخلها.. وكانت منتشرة في النصرانية التي كانت تسيطر على مصر والشام والعراق وجزء من فارس واليمن وكذلك اليهودية... ولما جاء الإسلام اختبأت وراء

الأسوار حتى قُدر لكهانها أن يجدوا صيغةً ملائمة استطاعوا أن يظهروا بها أمام الناس ويدعوهم إليها)[1].

وهكذا تتضح الصورة الحقيقية لهذا الشر المستطير، وأنه أعمق مما يظنه الكثيرون من أنه بدأ في القرن الثالث يزيد أو يقل، على أن من أعظم العوامل المساعدة على نشر مثل هذا الفساد بين الأمم غياب السلطة الواعية التي تقف مع الحق وتنصره حيثما كان، وكذلك غياب العلماء الصادقين الذين يقومون على نشر الحق واحتمال الأذى من أجله. وكذلك كثرة العوام الغوغاء الذين يتبعون كل ناعق وداع لا يميزون ولا يفكرون.

يقول الفقي –رحمه الله-: (وإنما دخل الفساد في العالم من ثلاث فرق ... الملوك الظلمة الجائرون... والعلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم... والرهبان وهم جهلة المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والكشف الشيطاني المتضمن شرع دين لم يأذن به الله وإبطال دينه الحق. فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة، وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الكشف وظاهر الشرع قدمنا الكشف)[1].

٢) الفقي ورجال التصوف:

ذكرت سابقاً أن الفقي رحمه الله- كان في أول حياته من المنتسبين إلى الصوفية –كما ذكر عن نفسه – وعندما أدركته رحمة الله وذاق حلاوة التوحيد، رأى لزاماً عليه أن ينبه أولئك الذين لا يزالون يتشبثون بها ويدافعون عنها معرضين عن الدين الحق والتوحيد الخالص، فكرّس معظم نشاطه ودعوته في هذا الجانب حتى صار عنده حساسية مفرطة ضد هذه الكلمة ومن ينتسب إليها، مما جعله يجّرح كل من يُذكر أو يُنسب للصوفية من بعيد أو قريب، معتدلاً كان أو غاليًا لا يفرق بين طبقاتهم ولا أحوالهم.

---

(١) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ (ص: ٧٣٥-٧٥٥). ط١، ١٤٠٨هـ، دار الصحابة.

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٤ عدد ٥٦ (ص: ١٠).

ولقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن الناس قد تنازعوا في أحكامهم على الصوفية فطائفة ذمّت الصوفية والتصوف مطلقاً، وأخرى غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ثم قال: (وكلا طرفي هذه الأمور ذميم، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد ... ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاصٍ لربه ... وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم)[1].

أما الفقي -رحمه الله- فلقد كان من الذين ذموا التصوف مطلقاً، قليله وكثيره حتى بلغ به الأمر أن قدح في شخصيات وعلماء شهد لهم المنصفون بالعدالة والمكانة العالية أمثال معروف الكرخي والجنيد والجيلاني والغزالي، وغيرهم، حيث كان يروي عنهم أخباراً وألفاظًا كفرية نُسبت إليهم واشتهرت عنهم، لكنها في حقيقة الأمر تخالف أقوالهم وأحوالهم التي ذكرها الأئمة المعتبرون في ترجماتهم.

فمثلاً يذكر عن معروف-رحمه الله- قوله: (إذا نزلت بك حاجة فائت قبري وسلني أقضها لك)[2] ويقول عنه أيضاً: (... يقول فيها سيدهم في الإجرام الذي سيقّرن معهم في صفد: معروف الكرخي: كلما ضاقت بك ضائقة أو نزل بك حاجة فائت قبري .. ويقضي وحي الشيطان الكرخي وسلفه الصوفية على وحي رب العالمين)[3].

ويقول: (هؤلاء الصوفية من جنيدهم إلى جيلانهم إلى غزاليهم إلى آخرهم كلهم يدينون بهذه البنوة والولادة لربهم - كما شرح ذلك وأوضحه ابن عربي وابن سبعين والجيلي)[4].

---

[1] انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ١٨).
[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٩ عدد ٣ (ص: ٤).
[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ١١ عدد ١١ (ص: ٧).
[4] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٢ عد ٦ (ص: ٩).

والحق أن الفقي لا يُوافق على هذا الكلام مطلقاً لأن فيه تجنيًا وقدحًا لا يرضاه الله ولا يتوافق مع المنهج السلفي المنصف.

وأسوق هنا بعض كلام أهل العلم في هؤلاء الرجال الذي طعن فيهم الفقي -رحمه الله-:

أ) **معروف الكرخي**/ معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ أحد أعلام الزهاد والمتصوفين، ولد في بغداد وبها توفي، اشتهر بالصلاح وأثنى عليه كثير من أهل العلم، قال عنه أحمد ابن حنبل (وهل يُرادُ من العلم إلا ما وصل إليه معروف). وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل بغداد: (لا تزالون بخير ما دام فيكم معروف). وقال أبو نعيم في ترجمته: (كان معروف الكرخي رضي الله عنه وعى العلم الكثير فشغلته الوعاية عن الرواية). ووصفه الذهبي بقوله: (علم الزهاد، بركة العصر، توفى سنة مائتين)[1].

ب) **الجنيد**/ ابن محمد بن الجنيد النهاوندي القواريري. هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومئتين. تفقه على أبي ثور وأتقن العلم كان يقول: (علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث و لم يتفقه لا يقتدى به). قال عنه ابن الأثير: إمام الدنيا في زمانه وعدة العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، توفى سنة مائتين وسبع وتسعين من الهجرة)[2].

ج) **الجيلاني**/ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلاني الحنبلي، شيخ بغداد ولد سنة إحدى وسبعين وأربع مائة من الهجرة عاش تسعين سنة قال عنه الذهبي (وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه وبعض ذلك مكذوب عليه. توفي الجيلاني سنة إحدى وستين وخمس مائة وشيعه خلق لا يحصون)[3].

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء ج٩ (ص: ٣٣٩) وصفة الصفوة ج٢ (ص: ٢١٠) وطبقات الحنابلة ج١ (ص: ٣٨١) والأعلام ج٧ (ص: ٢٦٩).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء ج١٤ (ص: ٦٦) انظر: صفة الصفوة ج٢ (ص ٢٧٠)، انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج١١ (ص: ١١٣).

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢) ، انظر: الأعلام (٤٧/٤) انظر: رسالة ماجستير: "الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، د/ سعيد بن مسفر القحطاني".

د) **الغزالي/** أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي قال عنه الذهبي الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، أثنى عليه كثير من العلماء، وقد أمضى كثيراً من حياته في علم الكلام ثم إنه في آخر حياته أعرض عن تلك الطرق وأقبل على أحاديث الرسول ﷺ ومات وصحيح البخاري على صدره)[1].

وهكذا نجد أن الشيخ أفرط في ذم هؤلاء الكوكبة من أهل العلم والفضل وما كان ذلك إلا لحساسيته المفرطة منهم ولتجربته المريرة معهم فرحمة الله على الجميع.

٣) **نقولات صوفية:**

أكثر الفقي -رحمه الله- من النقولات الكفرية والبدعية التي صدرت من أرباب التصوف حيث كان كثيراً ما يستشهد بها في بيان كفرهم وانحرافهم، ويقابلها بآيات القرآن الكريم والتي تخالفها جملة وتفصيلاً، رغبة منه ليرى الجميع الفارق الكبير بين عقيدة التوحيد الخالص وعقائد الصوفية الشركية المنسوبة إلا الأولياء والآباء ومن هم على شاكلتهم. على أن الفقي كان يحّرج على العلماء الذين يرون أهل الباطل وأعمالهم فيعمون أو يتعامون عن إنكاره.

ولقد قسم الفقي -رحمه الله- العلماء في مواجهة هذه البدعة إلى أقسام عدة:

(**القسم الأول:** فريق جاهل ظن المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والشرك توحيداً والتوحيد كفراً وضلالاً، دينهم إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.

القسم الثاني: فريق يعرف الحق ولكنه يداهن الجمهور وينافق الدهماء، يقول مالي وللناس أتعرض لسخطهم وقدحهم فيشهرون بي وينالون من مكانتي.

القسم الثالث: فريق يقول لا نجابههم بالحقائق ولكن ندور معهم ونريهم أننا معهم حتى نظفر بفرصة ولو بعد حين.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ج١٩ (ص: ٣٢٢) ، انظر: المنتظم (١٦٨/٩)، انظر: شذرات الذهب (١٠/٤)، انظر: الوافي بالوفيات (٢٧٤/١).

ثم **يقول:** ولكني تعودت أن أقول كلمة ا لحق صريحة لا أخاف إلا الله وإن أغضبت من أغضبت والأمر كله بيد الله)[1].

وها أنا أسوق بعضاً من كلامه ونقولاته:

أ) (يزعم شيخهم الشعراني أن الشيخ أحمد الرفاعي كان يتصاعد حتى يتلاشى ويعود مثل قطرة ماء ثم ينتفخ حتى يصير في حجم عدة أفيال، كما يزعم أن أولياءهم يتطورون حتى يكون الواحد منهم أربعين جسماً، وزاد الدباغ في أبريزه تهويلاً فزعم أنه يتطور إلى ثلاثمائة وستين جسماً)[2].

ب) ومن أقوالهم: (لا بد أن تعتقد أن شيخك جاسوس قلبك، يدخل فيه ويخرج من حيث لا تشعر، ولا بد أن تكون مع شيخك كالميت بين يدي المغسل، مجرداً من كل شعور وعقل وإرادة، وأن تستحضر شيخك في قلبك وقت أن تجلس لوردك، وأن تعتقد أن شيخك هو الذي يمدك بمدده ويوصلك إلى غايتك في الدنيا والآخرة، فإذا مات شيخك فاعكف عند قبره وضع عنده كل ما يلم بك من كرب فإنه يفرجه ويقضي لك كل حاجة...)[3].

ج) ومن أقوالهم: (إن العلم هو قول فلان ورأي فلان، وتلك طريقة أهل بلدنا، وإنا وجدنا الناس على ذلك من قديم الزمان، وحدث فلاناً قلبه عن وجده عن شهوده، وفلان كاشف بهذا ورآه في عالم الغيب، وهذا مما علمه فلان من عالم الأرواح وللأرواح كذا وكذا من التصرفات)[4].

د) يقول التيجاني: (صلاة الفاتح أفضل من قراءة القرآن ستة آلاف مرة، وقدمي على عنق كل ولي من آدم إلى يوم القيامة).[5]

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٩ (ص: ٤٠).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ٥ (ص: ١٤٧).

[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ٨ عدد ٥ (ص: ٦،٧).

[4] انظر: الهدي النبوي مجلد ٦ عدد ٤ (ص: ٦).

[5] انظر: المصدر نفسه.

هـ) (إن الأولياء من المجانين والحشاشين والقرادين وأشباههم يتصرفون بالتقديم والتأخير والتولية والعزل والتحكم في الله –هذا نص عبارة الشعراني في كتابه العهود المحمدية (ص: ٩٦))[١].

و) (حتى سوّل لهم الشيطان أن ينسبوا لله البنين من أوليائهم، وأنهم نور انبثق من الحقيقة الإلهية، وأنهم مجلى صفات الربوبية، وأنهم هو، وهو هم، وأن ليس في الوجود غيره ... ويعبرون لعوامهم بأن فيهم شيئاً لله، وأن فيهم أسراراً ربانية ترفعهم عن رتبة البشرية، ولقد تمادى بهم الكفر والوقاحة حتى جعلوا لله البنات ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[٢] فهن عندهم فيهن شيء لله ويقدرون على التولية والعزل والقبض والبسط والخفض والرفع والقهر والتحكم في الله، كما يقرر ذلك الشعراني في مننه وغيرها من كتبه الوثنية)[٣].

٤) أخيراً لقد عانى الفقي الكثير والكثير في حياته، من أولئك الصوفية الحقراء، والمغفلين البلهاء، وما جريمته التي ارتكبها إلا أنه دعاهم إلى التزام طريق التوحيد على هدي الكتاب والسنة.

وقد ذكر الفقي –رحمه الله– بعضاً من تلك المضايقات، كقولهم له: (أنت وهابي كافر تنكر كرامات الأولياء)[٤] وقولهم: (مارق من الدين خارج على مذاهب الأئمة المتبوعين، مضلل لجمهور العلماء والمتعلمين، هادم للدين خامسي المذهب)[٥]، وقولهم: (وهابي يحرم على الناس ما ورثوه عن الآباء والأجداد والشيوخ، ويمنعهم من عمل الموالد ويسميها أعياداً شركية، ويمنع الناس من الاستغاثة بالأولياء الصالحين كافر زنديق لأنه يحارب الطرق الصوفية كلها...)[٦].

---

[١] انظر: الهدي النبوي، مجلد٦، عدد٤ ، ص١٠.

[٢] سورة النساء، آية: (١١٦).

[٣] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٧ عدد شعبان (ص: ٤).

[٤] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ١ (ص: ١٠).

[٥] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ٥ عدد (١٧،١٦) (ص: ٧).

[٦] انظر: الهدي النبوي مجلد ٥ عدد (١٥،١٤) (ص: ٩).

إلا أن الفقي –رحمه الله– استطاع الوقوف أمام هـذه الهجمات الشرسة المدعومة من كثير من شرائح المجتمع، حتى أبان للكثير الصورة الحقيقة لها وأبان للناس أن واقعهم بلغ ما لم يبلغه أهل الجاهلية الأولى من الإنحراف والكفر، بل يجزم الفقي بأن أصحاب الجاهلية الأولى أفضل من أصحاب الجاهلية الثانية "الصوفية" فيقول: (إنهم كانوا أعقل منكم إذ يثوبون إلى رشدهم عند الضيق واشتداد الكرب، أما أنتم فإنكم حين تضطرب بكم الفلك في طريقكم إلى الحج تفزعون إلى موتاكم وأوليائكم وتهتفون بأسمائهم وترجون النجاة منهم)[1].

ويؤكد على أن التصوف قد لعب في تحريف القرآن والسنة عن نهجهما الصحيح وأورث الأمة الضعف والوهن والذلة. يقول: (ولقد لعب هـذا التصوف الممقوت شر لعب في تحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ عن موضعهما، فجردهما من الحقائق العلمية والعملية التي فتح المسلمون الأولون بها ظاهر الأرض وباطنها... وجعلت أولئك المخدوعين بالتصوف أشباه المسلمين وليسوا مسلمين بل أشباه الرجال وليسو برجال)[2].

ثم إن الفقي –رحمه الله– يضع لهذا الداء علاجاً نافعاً ناجعاً، هـو السبيل إلى الخلاص والتحرر من هذا الطاغوت وهو يتمثل فيما يلي:

١) تلاوة القرآن الكريم حق التلاوة مع التفكر في ملكوت السماء والأرض.
٢) معرفة رسول الله ﷺ وهداه ورسالته.
٣) الكفر بكل الطواغيت.
٤) الاستعانة بالله الواحد الأحد دائماً وأبداً.
٥) تطهير القلب مما ملأه الآباء والشيوخ والبيئة مما يخالف التوحيد.
٦) أن يُغرس فيه الغرس الطيب من الهدى والإيمان.
٧) إمداده وتعاهده بغيث القرآن ونوره. (أي القلب)
٨) أن يُقصد بكل أنواع العبادة والدعاء لله رب العالمين)[3].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ١ (ص: ١٢٩).
[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ١ (ص: ١٦).
[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ١١ عدد ١١ (ص: ٩٩).

الفصل السادس

ملاحظات وردود

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الفقي وأحمد شاكر مع ابن تيمية

المبحث الثاني: موقف الفقي من الملائكة

المبحث الثالث: إشكالات عارضة

المبحث الأول

الفقي وأحمد شاكر مع ابن تيمية

قد يكون هذا المبحث – ولا أكون مبالغاً – من أشهر القضايا التي جعلت كثيراً من الناس يحمل على الشيخ/ حامد الفقي – رحمه الله – وينتقده.

وطرفا هذه القضية هما الشيخ/ حامد الفقي والشيخ/ أحمد شاكر – رحمهما الله تعالى – ومع ما بينهما من أخوة وزمالة وصداقة استمرت أكثر من أربعين سنة في خدمة التوحيد والسنة، إلا أنها ظهرت على صفيح ساخن في بعض الفترات.

والحقيقة التي تخفى على كثير من الناس أن هذه المشكلة حدثت وانتهت وصفت القلوب واتحد العالمان مرة أخرى، إلا أن بعض الناس ما زال يسعى بين الفينة والأخرى إلى إثارة مثل هذه القضايا، ولعل بعض دور النشر لها اليد الطولى في هذا والله أعلم.

ما حقيقة الخلاف الذي وقع؟ وما هي فحواه؟

بدأ هذا الخلاف بتعليق كتبه الشيخ/ حامد في مجلة الهدي النبوي في عدد (شهري رجب وشعبان سنة ١٣٧٤هـ ص٣١) على فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية حول قضية الجن وكانت بعنوان "الرد والإنكار على طوائف من الضُّلال" حيث يقول شيخ الإسلام: (... إذ وجودهم ثابتٌ بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من رآهم، ومنهم من رأى من رآهم، وثبت ذلك عندهم بالخبر اليقين، ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم، وهذا يكون للصالحين ولغير الصالحين ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب، وكذلك ما جرى لغيرنا).

فعلق الشيخ/ الفقي بقوله: (ليس ثَمَّ دليل على صدق أولئك المُخْبرين، ولعل أكثرهم كان واهماً ومتخيلاً، وقد قال الله ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1])[2].

وهنا ثارت ثائرة الشيخ/ أحمد شاكر – رحمه الله – وربما والله أعلم صادفت أمراً في نفسه نحو الفقي – وهذا معروف بين الأقران في الغالب – فشحذ قلمه عليه وكان مما قاله في الرد على الشيخ/ حامد: (وليست فعلته هذه بأول ما فعل، ولكنها خاتمته التي اختارها وعمل لها بضع سنين إن لم يكن أكثر ونحن لا ندري، ولست أظن بصديقي القديم – وهو قوي الذاكرة – حافظٌ للأحداث أن ينسى ما فعل ويفعل، أو ينسى ما خطَّته يمينه، مما لا نريد كشف الغطاء عنه.. ولكن الصديق القديم اختط لنفسه منذ بضع سنين خطة الاستعلاء العلمي بما اعتقد في نفسه أنه أعلم الناس في هذا العصر؛ كما صارحني بذلك، حتى لقد صارحته حينذاك بأن لا أجادله في العلم لئلا أورث حقده الذي بدأ، ولا أثير طغيانه الذي اتخذه لنفسه سبيلاً. ولكن كان يغلبني الفينة بعد الفينة ما درجنا عليه عمراً طويلاً، فأناقشه في شيء من العلم ثم أستدرك خطئي وأسكت).[3]

وكان مما قاله أحمد شاكر ووجهه للفقي: (أين يُذهب بك أيها الرجل؟.. ألا تعرف وأنت الرجل الذكي العالم؛ الفرق بين الأحكام والقواعد واستنباطها وبين الوقائع المعيَّنة وثبوتها؟ وسأُعَلِّمُك ... وأنا أراك منذ أكثر من عشر سنوات واقفاً على هُوَّةٍ غطاؤها لا يكاد يتماسك مما تُحَمِّلُهُ من أعباء ... وأنا أدينك بخطك لا بكلامي ... وقد أحْكَمْتُ لك الحَكَمَة وزمامُها بيدي... الخ).

---

[1] سورة الأعراف، آية: (٢٧).

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ١٩، عدد (٨/٧)، ص٣١.

[3] انظر: كتاب كلمة الحق – أحمد شاكر ٣١٣-٣١٤ بتصرف.

وكان مما ذكره أيضاً (... فقال لي وهو يحاورني ابن تيمية بتاعي قبلك... الخ) آهـ[1].

إن الذي يقرأ الكلام السابق وبكل تجرد لابد أن يظهر له أنه نزاع أقران، وأن شخصية الفقي — رحمه الله — كانت مسيطرة على الوضع العام فيما بينهما، ولذلك كانت هذه فرصة سانحة للشيخ/ أحمد شاكر — رحمه الله — أن يظهر بعض الانتصار على الشيخ/ الفقي — رحمه الله — .

ولقد أردت من ذكر ما سبق إثبات أن القضية بينهما كانت قضية طبيعية تحدث بين الأقران في العادة، وكتب التراجم تشهد بكثير من أمثالها، وأن ذلك لا يغمطهما حقهما ومكانتهما.

ثم ذكر الشيخ/ أحمد شاكر، أنه بعد أن اطلع على تعليق الشيخ/ الفقي أرسل له رسالة نبهه على الخطأ الذي وقع فيه، وبيَّن له ماذا فُهم من تعليق، حيث ذكر: (.. أدهشني أكبر الدهشة، وأنكرتُ أشدَّ الإنكار تعليقكم في هامش الفتوى.. فأول ما آخذُه على قولتك هذه أنها رميٌ صريح لشيخ الإسلام بالكذب والافتراء، أو على الأقل بالغفلة والغباء، فإنك تراه يزعم أن (من الناس من رآهم و من الناس من كلَّمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم) ثم يقول (ولو ذكرتُ ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب) اهـ.

وليس لهذا الكلام معنى في لغة العرب إلا أن شيخ الإسلام — رحمه الله — كان له مع الجن شيء مما حكاه: إما أنه رآهم، وإما أنه كلمهم وكلموه، وإما أنه يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم فإذا عقَّبْتَ أنت على هذا القول بأنه "ليس ثَمَّ دليل على صدق أولئك المخبرين — لم يكن معناه إلا أن هذا الذي حكاه شيخ الإسلام لم يَقَعْ منه شيءٌ، لأنه ليس هناك دليل — عندك — على صدق المخبرين "ولعل أكثرهم كان واهماً ومتخيلاً" وهؤلاء المخبرون: شيخ الإسلام فيما زعم أنه جرى له،

[1] انظر: كتاب كلمة الحق — أحمد شاكر ٣١٥-٣٤٢ بتصرف.

وغيره الذين لم يُسمهم "من أصحابه" وليس لنا شأن بمن لم يُسَمِّه هو من أصحابه، وإن كنا موقنين من تَوَثُّقه وتحريه فيما يحكي عنهم ولو أجمالاً، إنما الشأْنُ فيما حكاه هو عن نفسه ... وأقصى ما أستطيع من حمل كلامك على أحسن مَحَامله، - بحسن الظن بك - أنك رأيت رأيا رسخ في قلبك، وغَلَبَك رأيك فلم تستطع له دفعاً، فجرى به قلمك حين رأيت القول بأنَّ "من الناس.. ومن الناس.." فكتبت تعليقك عنده قبل أن تقرأ ما جاء بعده، من أن شيخ الإسلام يثبتُ شيئاً كثيراً من ذلك جرى له ولأصحابه مع الجن. بل لعلك - حين هدأت نفسُك واستراح قلبُك بما خَرَجَ منه - لم تقرأ آخر الكلام، أو قرأته غير عابئ به، ولا مُلْقٍ له بالاً، ولا متعمق فيما وراءه من معنى.

ثم أكثر من هذا وأشدُّ خطراً: أن إنكارك ما أنكرتَ، فيه إنكار لكثير مما ثبت بالسنة الصحيحة التي عشنا عُمُرَنَا ندفع عنها ونرد على منكريها، ونعيب متأوليها مما يخرج عن معناه الصحيح..)[1]

ثم ساق له الشيخ/ أحمد شاكر - رحمه الله - حديث أبي هريرة عندما كان يحرس تمر الصدقة في المسجد وبعض كلام الحافظ ابن حجر في تفسير قوله تعالى (من حيث لا ترونهم) وأنه مخصوص بما إذا كان في صورته التي خُلِق عليها، وذكر الشيخ/ أحمد شاكر - رحمه الله - أنه قول لا بأس به، وأن أجود منه أن يكون خاصاً بحالة أو ناحية لا نراهم منها. وأقوى من هذه الأدلة - كما يقول - (أن الجن لم ولن يكونوا أرقى من الملائكة ولا أعظم خلقاً منهم ورؤية الملائكة ثابتة ثبوت القطع حين يتشكلون على صورة يمكن رؤيتها كما في حديث جبريل).[2]

هذا ما كان من كلام الشيخ/ أحمد شاكر - رحمه الله - ، فماذا كان الرد من الشيخ/ الفقي - رحمه الله -؟

---

(1) انظر: كلمة الحق ص٣١٩-٣٢٥ بتصرف.

(2) انظر: كلمة الحق ص٣٢٤

بداية استنكر هذا الأمر وهي تهمة شيخ الإسلام بالكذب والافتراء، وهو حامل لوائه والمتتلمذ على كتبه وناشرها، وتعجب منها غاية التعجب، ثم بعد ذلك بيّن وجهة نظره التي أراد أن يثبتها مع الثناء والاعتراف بالفضل لشيخ الإسلام ابن تيمية ومكانته في نفسه.

قال رحمه الله: (لست أدري كيف تطرق إلى ذهن بعض الإخوان اتهامي شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب من تعليقي: "ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين"؛ أي ليس ثم دليل من الكتاب والسنة يُعتمد عليه في هذه الأمور الغيبية، ونفي الدليل على وقوع ما يذكره الناس من رؤيتهم للحق لا يعطي مطلقاً أن يحملها حامل على أني أرمي شيخ الإسلام بالكذب. فهي والله عندي عجيبة جِدُّ عجيبة، ولكني قصدت إلى أن أقطع على الدجالين سبيل اتخاذهم لما يُحكى من ذلك حجةً لهم على ما يدجلون به على الدهماء، ويستغلونهم به أسوأ استغلال، كما هو شائع قد ابُتلِيَ به أكثر العوام وأشباههم. ثم أردف قائلاً: (وكيف يتوهم متوهم في حامد الفقي الذي وقف حياته على نشر علوم ابن تيمية، وتخصص فيها من يوم أن كان اسم ابن تيمية لا يذكر إلا مقروناً باللعنة على ألسنة الوثنيين الجاهلين... ولقد نفعني الله بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم نفعاً أعده من أجل نعم الله عليَّ، ومن أشد وأكد وصاياي لإخواني أنصار السنة: أن من لم يتضلع من كتب الشيخين لا يمكن أن يكون سلفياً بالمعنى الصحيح، ولكني أحمد الله وأدعو لشيخ الإسلام دائماً بالمغفرة والرضوان، وأضعه من نفسي أجل موضع؛ أن تعلمت منه مقت التقليد أشد مقت لما يفضي إليه كما عرفت من شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع، فلست أقلد ابن تيمية ولا ابن القيم ولا غيرهما. ولا أتخذهم أرباباً من دون الله، بل العلماء عندي بشر يخطئون ويصيبون)[1].

---

(١) انظر: كلمة الحق، ص٣٢٦-٣٢٧ وانظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ١٩، عدد (١٠،٩)، ص٢١-٢٢.

ثم بعد ذلك أوضح الشيخ/ حامد – رحمه الله – مقصده من ذلك الكلام وشرحه بقوله: (ونفي صدق الدليل الشرعي: أقصد منه خطأ من يثبت تيسر رؤية الجن كرؤية المرئيات العادية، فإن "الجن" بلا شك من عالم الغيب الذي نؤمن به على ما صح وثبت عن الله ورسوله ﷺ ولا نزيد بعقلنا ولا بعقل غيرنا) [1].

ويقول كذلك – رحمه الله –: (لا أعبأ بما يحاول المعوقون أن يلقوا في طريقي من غبار أو أشواك، وقد قطعت مع شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وإخوانهما من السلفين القدامى رضي الله عنهم نصف قرن، لا يهمني مطلقاً أن يُقعقع حولي بهذه الشنان، فليرح نفسه من يحاول ذلك ويذهب متتبعاً السقطات.. وأعوذ بالله وأعيذ إخواني بالله أن أكون أو يكونوا من الذين يصدرون عن هوى أو شبهة أو مقاصد لا تتفق وهدى الرسول ﷺ).[2]

وختم قوله: (غفر الله لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ورضي الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ما أحببته بقدر ما نفعني الله بعلمه وفقهه، فكان حبه سبباً في شديد أذىً صبرت عليه بفضل الله وتوفيقه حتى كانت العاقبة الحسنى)[3].

وعندما اطلع الشيخ/ أحمد شاكر – رحمه الله – على مقالة الشيخ/ الفقي – رحمه الله – لم تَرُق له، وظنَّ أنها تعريض به، فأنزل تعقيباً على مقالة الفقي وكان مما جاء فيها وأسوق نتفاً من ذلك في نقاط:

- (قد بدأ الشيخ مقالَهُ بالبراءة إلى الله من سوء الظن بشيخ الإسلام ابن تيمية وذكر أن تعليقه لا يعطي مطلقاً رمي شيخ الإسلام بالكذب).
- (أما سوء الظن بشيخ الإسلام فما نسبناه إليه قط ولا نستطيعه لأنه من أفعال القلوب التي لا يطّلع عليها إلا الله).

---

[1] انظر: الهدي النبوي ص٣٢٧-٣٢٨ وانظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٩ ، عدد(١٠،٩) ص٢١-٢٢.

[2] انظر: المصدر نفسه ص٣٢٨-٣٢٩ وانظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ١٩، عدد (١٠،٩) ، ص٢١-٢٢.

[3] انظر: كلمة الحق ص٣٢٩ وانظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد ١٩ ، عدد (١٠،٩) ، ص٢١-٢٢.

- (وإنما الكلام فيما يدل عليه تعليقه – أو يوهم – أنه نسبةُ الكذب إلى شيخ الإسلام ورجونا أن يبرأ منه براءةً صحيحة واضحة صريحة فأبى).

- (وأنا أثق كل الثقة أنك لا تستطيع رمي شيخ الإسلام ابن تيمية بالكذب والافتراء ولا تعمد إلى ذلك قط على كثرة ما يَجْري على لسانك وعلى قلمك من الطعن في الأئمة والعلماء ورميهم بالكذب والافتراء لسبب واحد أعرفه وتعرفه: وهو أن لشيخ الإسلام ابن تيمية من يغضب له، ويقلي شانئيه ومبغضيه، وأنت أحرص أن تقف هذا الموقف وخاصةً أن كنت في أول أمرك من محبيه ومعظميه).

- (ولكنك أفلتت منك كلمة عابرة غفلت عن مرماها وما وراءها، فحين كشفت لك غطاءها ووقفتك على ما وراءها، ثارت ثائرتك وكَبُرَ عليك أن يُكْشَفَ الستار عما تُجنُّ نفسك فاندفعت فأسأت الظن بي).

- (إن استشهادك بمقولة الشافعي "من زعم أنه يرى الجن رددنا شهادته إلا أن يكون نبياً" وأنه قد أدّاك اجتهادك إلى مثل قوله، فالتزمته قولاً لك، تذهب إليه وترتضيه، وأنك جئت بكلمة الشافعي استئناساً لا استدلالاً وهذا بديهي من معنى قولك ... أفتدري إلى ما ينتهي بك هذا القول، وهذا الرأي؟ إنك باختيارك إياه قولاً، وبارتضائك إياه مذهباً – تحكم حكماً لا رجوع لك عنه ولا مناص منه أن شيخ الإسلام ابن تيمية ممن لا تُقبل شهادته عندك، لأنه ادعى رؤية الجن والكلام معهم بصريح قوله الذي نتحدث عنه. وأعيذ شيخ الإسلام بالله منك ومن اجتهادك ومن ادعائك نصرته والذياد عنه).[1]

[1] انظر: كلمة الحق، ص٣٣٠-٣٤٢ بتصرف.

وبعد هذه النقولات التي ذكرتها فأنا لم آت بها إثارةً للماضي ولا تقليباً للمواجع كما يقال في الأمثال، إنما جئت بها حتى نتبين ماذا حدث بين هذين العالمين رحمهما الله.

غير أن روح العلم وصفاء العلماء ما لبثت حتى ظهرت بينهما، فما هي إلا أيام قليلة وزالت تلك السحابة السوداء بينهما، ورجعت العلاقة بينهما أقوى من السابق، وهذا ما سطراه في ثنايا مجلة الهدي النبوي وأنا أسوقه كاملاً، إحقاقاً للحق ودرءاً لسوء الظن.

قال الشيخ/ حامد الفقي – رحمه الله –: (لقد فزع إخواني – الذين هم إخوان الشيخ/ أحمد شاكر – أشد الفزع حين قرؤوا ما كتب، وحزنوا أشد الحزن، وسألوني في لهفة وحسرة، ماذا بينك وبين أخي العمر مما ولد هذه الفتنة؟.

فأقول – وأؤكد القول – إن الذي بيني وبين أخي العمر: هو الذي عليه عشنا ما عشناه في ظل الإخاء المتين، الوثيق الأواصر. لأنه نُسج بحمد الله على نول العلم، وحِيْك من خيوط مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم. واليدُ التي نسجته وحاكته يد الكتاب والسنة ونحن – بحمد الله ورغم أنف كل حاسد حاقد – لا نزال نكتسي بهذا الثوب الكريم، وننعم بزينته وتقاه، ونسأل الله سبحانه أن يديم علينا ذلك الثوب سابغاً، حتى نلقاه على ذلك، ولن نترك ثغرة لأيٍ ممن حاول أن يسعى بالوقيعة لتأجيج نار الفتنة.

وأخي الشيخ/ أحمد شاكر يعلم علم اليقين: أن أخاه حامداً أعرف الناس بفضله، وأشكر الناس لجميله، وأصبرهم على صداقته، وأحفظهم لعهده، وأحرصهم على وده، وأبعدهم عن مساءته، وأسرعهم إلى مسرته. ومهما نزغ الشيطان بيني وبينه، فالفيئة إلى معقِل الودِّ – إن شاء الله – سريعة، والإخاء السلفي كفيل بالإسراع بهذه الفيئة، وأرجو من ربي سبحانه أن يجعل هذا خُلُقي مع كل أخ سلفي ينقدني، مهما طغى قلمه، واشتط نقده. ولن أزكي نفسي. فأزعم – كما زُعم عني خطأ – أني أعلم إخواني، وأفقههم في دين الله. فإني أعرف نفسي

وأعرف أنها دائماً بحاجة إلى علم جديد، وآداب نبوية جديدة، والله عليم بذات الصدور "وكل الناس خطاء وخير الخطائين التوابون".

وعتبي على أخي الشيخ/ أحمد شاكر أنه أساء الظن بأخي العمر في الله ونسبه إلى ما يعرف هو أنه أبعد الناس عنه، وأكره الناس له – وبالأخص مع أخيه الذي يحفظ عهده، ويحرص على إخائه ووده – فهو يعرف أني أبغض الظلم، بل لا أستطيعه، ولا أحسنه، فضلاً عن أن أظلم أخي الشيخ/ أحمد شاكر. فلعله هو الذي ظلم نفسه فتعجل وكتب، وكان الأحرص أن يتريث وهو القاضي الخبير.

فلقد جاءتني كلمات من غير واحد من إخواني أنصار السنة، كما جاءني منه، ينبهونني فيها إلى ما نبهني إليه. في شأن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية – رحمه الله – فكتبت كلمتي، وأجملت فيها القول ليأخذها كل منهم جوابه. ولذا لم أذكر اسم واحد منهم، لأنه لا حاجة لأحد منهم إلى ذكر اسمه. فإنما كتبوا للعلم والحق، لا لأنفسهم. فكانت غضبة – صعيدية – من أخي الشيخ/ أحمد شاكر – غفر الله لي وله – اتخذ منها الشيطان سبيلاً إلى أن ينزغ بيني وبينه وقد عرف ذلك أخي فاستغفر والله يغفر لي وله وللمؤمنين.

وأخيراً فليعرف الجميع أن ليس بيني وبين أخي الشيخ/ أحمد إلا الرجوع الدائم – إن شاء الله – إلى الله وإلى رسوله، وأني شديد الحرص على سد الثغور وتوفير الجهود وتركيزها لتوجيهها إلى أعداء الله ورسوله فهم أعداؤنا، وإني لأجل هذا لحريص أشد الحرص على التحقق بقول الله سبحانه لعباده المؤمنين (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم)[1] وقوله (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)[2][3].

---

[1] سورة النور ، آية: (٢٢).

[2] سورة الشورى، آية: (٤٣).

[3] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٩/ – عدد ١٢/١١ عام ١٣٧٤ ص١٠-١١

ثم عقب الشيخ/ أحمد شاكر – رحمه الله – بعد هذا البيان بتعقيب قال فيه (أما وقد عتب عليَّ الأخ الشيخ/ حامد الفقي فيما كتبت، فله العُتْبَى. وما كنت لأرضى أن يكون بيننا اللدد في الخصومة، بل ما أرضى هذا بيني وبين أي إنسان، وليس من اليسير هدم الصداقة القديمة والأخوة في الله، وفي سبيل نصر الإسلام والحرب على أعدائه.

ولكن أظن – بل أوقن – أن الشيخ/ حامد لو نظر للأمر من زاوية أخرى ومن وجهة نظري، ولو استعرض الظروف التي ألجأتني للكتابة والتي حكمت عليَّ أن أقف منه هذا الموقف – لعذرني بعض العذر – ولعلم أن الأمر لم يكن غضبة "صعيدية" بل كان دفعاً لظلم ظننته وقع، أما وقد تبرأ منه فالحمد لله على هذا البيان.

وكان عذري – فيما رأيت إذ ذاك – أن الحديث دار بيني وبينه في شأن مقالي لينشره في المجلة، وكان منه الإباء. وكان أقصى ما أظن بشأن مقالي، بل أقساه أن يطويه فلا ينشره وكان الحديث مناسبة جيدة بل موجباً عليه أن يخبرني بأن قد جاءته كلمات أخر من غير واحد من إخواننا في هذا الشأن. إذن لما ظننت شيئاً ولما فهمت أن مقاله موجّه إليّ. أما و لم يفعل، فقد كان لي كل العذر، أن فهمت أن مقاله موجه إليّ وحدي خصوصاً وأنه ردَّ على كل الأبحاث التي أشرت إليها في مقالي على ترتيبها تقريباً. ثم زاد يقيني بذلك أن كنا معاً يوم عيد الفطر مساءً فلم يخبرني.. عما كتب ثم أجد مقاله في المجلة صبيحة اليوم التالي لعيد الفطر حين جاءت المجلة بالبريد. ثم لم يحدثني بعد ذلك في شأن كلمته، وأنه لا يقصدني وحدي بل يردّ ردّاً عاماً على ما جاءه، فأنى لي العلم بذلك، ولذلك قلت له وأنا صادق فيما أقول: لو أنه أخبرني بشيء من هذا ما كتبت، مهما تكن القرائن والدلائل على أنه يرد على كلمتي دون نشرها.

فهذه بعض الملابسات التي حفزتني على الكتابة، و لم يكن قط أن أحداً حاول أن يسعى بيننا بالوقيعة وتأجيج نار الفتنة. وما كنتُ أنا ممن يخضع لهذه

المؤثرات إن وجدت في هذا الظرف، وهو يعلم علم اليقين أن قد وجِدَتْ محاولات من هذا المعنى دهراً طويلاً فلم تؤثر عليٍّ، ولم تؤثر عليه والحمد لله على كل حال، ولو كان لمثل هذا أثر لما بقيت الصداقة والأخوة بضع سنين، وقد بقيت ثابتة راسخة بضعاً وأربعين سنة، فليطمئن إخواننا على ما بيننا.

وأما الجدال العلمي المبنيّ على اتباع الدليل وإحقاق الحق، فلا أثر له بين الإخوان مهما تختلف آراؤهم ووجهات نظرهم وكلنا طالب علم، وكلنا باحث عن الحق، وكلنا يهتدي بهدي الكتاب والسنة ما استطاع، وكلنا حسن النية والقصد إن شاء الله.

وما أكثر ما تصادمنا في العلم واختلفنا، وما أكثر ما بحثنا وتشعبت آراؤنا لمقصد واحد وعلى هدىً واحد، فمنا المخطئ ومنا المصيب وكثيراً ما يكون للمخطئ فيئة إذ يستضيء بنور الله، ويهتدي بهدي كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ).[1]

وبعد أن سُقت هذا الكلام للشيخين الجليلين أرجو أن تتضح الصورة الحقيقية لما آل الأمر بينهما رحمهما الله رحمة واسعة وأسكنهما فسيح جناته. وأن الأمر لم يكن إلا كغيوم تلبدت في سماء العالِمينَ ثم انقشعت وعاد الود بينهما كأقوى مما كان وهذا أدب العلماء ودأب العقلاء.

وأخيراً إن الذي ينظر إلى الأمور بميزان العقل المنصف يدرك حقيقة هذا الخلاف. وإلا رجل يتصدى لنشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في زمن يُحارب فيه ابن تيمية ويتهم بالزندقة والكفر، ويتحمل ناشر كتبه البلاء والاتهامات، ويصبر على ذلك ولا تلين شكيمته بل ظل ينادي بفكره ومنهجه ويجاهر بهما على الملأ، فهل يظن ظان أنه يمكن بعد ذلك أن يقدح في ابن تيمية أو يتهمه أو يصفه بصفات الذم!!.

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٩ عدد ١٢/١١ (ص: ١٣،١٢).

المبحث الثاني

موقــف الفقي من الملائكـــة

من القضايا التي أثيرت حول الشيخ/ الفقي – رحمه الله – وتكلم فيها بعض أهل العلم ما ذهب إليه الشيخ/ الفقي من أن سجود الملائكة لآدم سجود كوني لا شرعي، وأن الملائكة لا يصح أن نطلق عليهم صفة العقل أو نطلق عليهم لفظة أنهم عقلاء.

وظهر الكلام حول هذا الموضوع عندما بدأ الشيخ في تفسير قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً من صلصال من حمأٍ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من رُّوحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين).[1]

فقد تناولها الشيخ من جانب لغوي فتطرق إلى قضية سجود الملائكة لآدم وأنه كوني لا شرعي تعبدي. وقد تبع هذه المقالة اعتراض لأحد العلماء حيث ذكر أنهم عقلاء وإطلاق السجود الكوني عليهم أمر خاطئ لكونهم عقلاء فبيّن الشيخ/ الفقي وجهة كلامه ومراده، وأنكر عليه إطلاق لفظ العقلاء على الملائكة لكونه لم يثبت لا في الكتاب ولا في السنة. وهنا قام بالرد عليه اثنان من العلماء وهما:

١) الشيخ/ محمد سلطان المعصومي الخجندي.

٢) الشيخ/ محمود شويل المدني.

أما الشيخ المعصومي فقد ثارت ثائرته على الشيخ وألّف فيه ثلاث رسائل قوية اللهجة، حادة الكلمات صعبة الأحكام، ثم دبجها وضمنها رسالة الشيخ/ محمود شويل – رحمه الله – وهي قريبة نوعاً ما من سابقاتها.

---

[1] انظر: سورة الحجر آية (٢٨-٣١)

وعنوان الرسائل كالتالي:

أولاً: رسائل الشيخ المعصومي:-

١) تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء.

٢) الرد الوفي على تعليقات حامد الفقي.

٣) نغمة جديدة من رئيس أنصار السنة المحمدية.

ثانياً: رسالة الشيخ محمود شويل:-

القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل.

وقد تولى طبعها ونشرها الشيخ/ المعصومي على نفقته في عام ١٣٧٤هـ.

أصل المسألة:

قال الشيخ/ الفقي – رحمه الله –:((فقعوا) الوقوع: السقوط من علو. وقال الراغب. كل سقوط شديد يعبّر عنه بالوقوع. وهذا الأمر بالوقوع أمر كوني لا شرعي تعبدي، على ما رجحّه ابن كثير وأستاذنا رشيد رضا[1] وغيرهما من محققي المفسرين.

فإن سجود الملائكة المأمورين بالوقوع به ليس هو السجود الاصطلاحي المعروف في الصلاة، بل هو سجود بالمعنى العربي الأصيل الذي كان معروفاً عند العرب. أما السجود بالهيئة المعروفة في الصلاة فالأمر به ابتلاء وامتحان، ككل الأوامر الشرعية الموجهة للإنس والجن، والملائكة ليسوا محل ابتلاء وامتحان.. وهذا الأمر بالوقوع يدل على نزول مرتفع، وسقوط عالٍ من عليائه إلى جهة أخفض، وهو دال على أن الأمر قد توجه إلى الملائكة بنزولهم وخرورهم من منازلهم العالية في

[1] قال رشيد رضا "بعدما عرّف الله الملائكة بمكان آدم ووجه جعله في الأرض خليفة أمرهم بالخضوع له وعبر عن ذلك بالسجود فقال ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ وهو سجود لا نعرف صفته، ولكن أصول الدين تعلمنا أنه ليس سجود عبادة إذ لا يعبد إلا الله تعالى، والسجود في اللغة التطامن والخضوع والانقياد، وأعظم مظاهره الخرور نحو الأرض للأذقان ووضع الجبهة على التراب.. والسجود لله تعالى قسمان، سجود العقلاء المكلفين له تعبداً على الوجه المشروع وسجود المخلوقات كلها لمقتضى إرادته قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ وقال ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾. تفسير المنار ٢٦٥/١

السماء إلى حيث كان آدم الإنسان الكريم بعد تمام خلق الله إياه بيده ونفخه فيه من روحه.

(ساجدين) أصل السجود في لغة العرب التي نزل بها القرآن: التطامن والخضوع والانقياد والتذلل في سكون ومطاوعة، يقولون: أسجد البعير إذا طأطأ رأسه وتطامن وسكن لتركبه.. وقال الراغب: (اسجدوا لآدم) قيل أمروا بالتذلل له والقيام بمصالحه ومصالح أولاده فائتمروا إلا إبليس... وقوله تعالى ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾[1] أي متذللين منقادين. انتهى كلام الراغب أقول :(إن المعنى المقصود هنا بالسجود هو الاستسلام والتطامن والخضوع والتذلل التام في الخدمة، وضده الإباء والتمرد والاستكبار الذي وقع من إبليس وجنده. ولقد ذكر الله في القرآن أن كل ما في السموات والأرض ساجد مسلم له سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾[4]. والذي لا ينبغي أن يشك فيه عارف بأسلوب القرآن العربي المبين: هو أن سجود الملائكة من جنس هذا السجود الذي يسجده النجم؛ الذي هو صغير النبات والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر...) لا أنه السجود على الهيئة المعروفة المصطلح عليها في الصلاة... لأن الملائكة ليس خلقها كخلق الإنسان وليس لها أعضاء تضعها في الأرض كما يضع الإنسان أعضاءه حين يسجد في الصلاة فكان بديهياً أن سجود الملائكة ليس كسجودنا في الصلاة)[5].

---

[1] سورة البقرة، آية: (٥٨).

[2] سورة آل عمران، آية: (٨٣).

[3] سورة الرعد، آية: (١٦).

[4] سورة الرحمن، آية: (٦).

[5] مجلة الهدي النبوي مجلد (١٣) عدد (٢،٣) (ص: ١-٣) بتصرف.

وذكر الفقي كذلك عن إخوة يوسف: (.. فلما آتاه الله ما حقق رؤياه وألجأهم الحاجة إليه ذلوا له واستكانوا وخضعوا لسلطانه وأمره).

وقال أيضاً: قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [1].

فكل ذلك ساجد مذلل منقاد للإنسان من آدم إلى آخر واحد من بنيه ذكورهم وإناثهم في ذلك سواء، ولولا ذلك التسخير والسجود والتذليل لكل بني آدم لما كان هنا معنى للتذكير به ولا معنى للامتنان به ... إذ لو كان هذا السجود من الملائكة للأب الأول آدم وحده، فقد مات آدم ومات معه هذا السجود وماتت هذه النعمة ... ثم إن الامتنان على الولد؛ بالنعمة على الوالد ليس من شأن العليم الحكيم الرحمن الرحيم، إن كان الوالد شكرها أو كفرها فماذا على الولد وله من ذلك؟

... ثم ما بال السجود يكون لآدم وحده ولا يكون لبنيه من بعده، فيموت آدم ويذهب السجود بموته، ويبقى لنا نحن الامتحان والابتلاء بإباء إبليس العدو المبين واستكباره وتمرده ووسوسته وإغوائه، ونحرم من الابتلاء من الملائكة: أيكون هذا من العليم الحكيم؟ سبحانه وتعالى... فانساق الناس بما زين الشيطان من إسقاط الملائكة بل وغيرهم من سنن الله؛ من حساب نعم الله عليهم وسننه فيهم، وابتلائهم بهم كابتلائهم بكل شيء سخره الله لهم في السموات والأرض وفي أنفسهم..)[2].

ولقد أرسل الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي إلى الشيخ الفقي رسالة ناقش فيها ما كتبه الشيخ حيث يقول الشيخ/ الفقي – رحمه الله – : (فقد جاءتني كلمة من أخي الحبيب الأخ الصالح العلامة الشيخ/ عبد العزيز بن راشد، وفقني الله وإياه لما يحب ويرضى... ناقش فيها ما كتبت عن سجود الملائكة، وذكر أنه كان

---

(1) انظر: سورة الجاثية، آية: (١٢،١٣).

(2) انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ١٣ ، عدد ٢،٣ ، ص ٨+٩ بتصرف.

سجود عبادة شرعياً تعبدياً، ونفى أن يكون كسجود الشمس. والقمر والنبات والشجر والدواب مع تسليمه أنه سجود مغاير لسجودنا، وذكر أن السجود على الجبهة وبقية الأعضاء هو الأصل اللغوي المتبادر في معنى السجود وأن حمله على السجود الكوني بمعنى نهاية الخضوع والذل، تأويل من جنس تأويل الباطنية الذي يعرف مني محاربته بأشد عنف، وذكر أن اللائق بالملائكة هو السجود الشرعي التعبدي لأنهم عقلاء فكيف يسوون بغير العقلاء...)[1].

فقام الشيخ/ الفقي –رحمه الله– ببيان ما رمى إليه، وشرح ما المراد بمعنى السجود من الناحية اللغوية معضداً كلامه ببعض النقولات للراغب الأصفهاني وابن القيم.

قال الشيخ في رده على قضية السجود:–

(إن معنى "السجود" اللغوي: هو منتهى الخضوع والتذلل والانقياد. لم أذكره من عندي، بل نقلت فيه كلام الراغب الأصفهاني، وغيره من المؤلفين والمحققين وقلت: إن الواجب على المسلم فهم القرآن باللسان العربي، الذي نزل به القرآن، لا باللسان الاصطلاحي الحادث بعد فساد الأذواق والعقول والأفكار والألسنة وسقت الأدلة على ما قلت من قول الله في كثير من آي الذكر الحكيم.

وأما إن سجود الملائكة كان عبادة شرعية وكان ابتلاءً لهم وتأديباً على اعتراضهم، فذلك قول بعيد عن الصواب، ومجاف لما وصف الله به ملائكته، قال العلامة ابن القيم –رحمه الله[2]– : (بل عبادتهم – يعني الملائكة– وتسبيحهم كالنفس لبني آدم) وليس النفس لبني آدم إلا خضوعاً للسنن الكونية لأن كل حي مخلوق يتنفس، وليس له عليه ثواب ولا عقاب، لأنه لا يملك أن لا يتنفس. والعبادة الشرعية لا تكون إلا ابتلاء وامتحاناً، والابتلاء لا يكون إلا على أساس الأسباب والقوى المختلفة التي هدى الله بها الإنسان النجدين وعلى ذلك كان الوزن بالقسط، والثواب بالجنة أو النار وقال ابن القيم أيضاً[3] في الكلام عن السجود العام: وقال الله في السجود العام ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٣، عدد ٦ (ص: ١٠).
[2] انظر: مدارج السالكين (٥٥/١).
[3] انظر: مدارج السالكين (٢٥٧/١).

﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[1] ولهذا كان هذا السجود الكره غير السجود في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] فخص بالسجود هنا كثيراً من الناس، وعمهم بالسجود في سورة النحل وهو سجود الذل والقهر والخضوع، فكل أحد خاضع لربوبيته ذليل لعزته، مقهور تحت سلطانه". ومن هذا يتبين أن سجود الملائكة كسجود الشمس والقمر وغيره: سجود قهر وذل وخضوع لأنه سجود كوني، وهو السجود العام بالمعنى الأصلي، أما السجود الخاص وهو السجود الشرعي الذي عليه الثواب والأجر الجميل فهو لكثير من الناس).[3]

هذا ما كان من بيان وإيضاح من الشيخ/ الفقي – رحمه الله – حيث أسند قوله ومذهبه في هذه القضية إلى المستند اللغوي وإلى فهمه من قول ابن القيم.

أما القضية الثانية وهي وصف الملائكة بالعقل، وأن هذا لم يرد في الكتاب والسنة فقد كتب رده حول هذا الموضوع حيث قال فيه: (أما قوله: إن الملائكة عقلاء: فإنه قول بلا دليل، لأن العقل لا يوصف به إلا الإنسان الذي أعطاه الله السمع والبصر والفؤاد وأسباب العلم الصحيح وآلاته التي تؤدي إلى عقلها فيعقلها، أي يحفظها ويعيها ويحتفظ بها ليتصرف فيها عند حاجته، ولذلك سمي عقلاً من عقل البعير أي منعه من السير، و لم يقل أحد إن خلق الملائكة كخلق الإنسان بل إنها خلق لا يعلم حقيقته إلا الله، مغاير كل المغايرة لخلق الإنسان، فوصفها بالعقل غير صواب).[4]

وهنا قام الشيخان المعصومي ومحمود شويل بتأليف رسائلهما رداً على الشيخ/ حامد الفقي – رحمه الله – بعد أن ذكرا أنهما ناصحاه فلم يقبل منهما.

---

[1] سورة الرعد، آية: (١٥).

[2] سورة الحج، آية: (١٨).

[3] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد ١٣ ، عدد٦ ، ص١١+٤٩.

[4] انظر: مجلة الهدي النبوي ، مجلد١٣، عدد٦، ص٤٩.

وقفات سريعة مع الرسالتين:

أولاً: رسائل الشيخ/ المعصومي:

يتميز أسلوب الشيخ بالحدة والقوة، والتصريح تارةً والتلميح أخرى. فالقارئ حينما يقرأ كلامه يتخيل نفسه كأنه يقرأ لابن حزم – رحمه الله – وربما جاوزه.

فألفاظه في بعض الأحيان قاسية جداً، بل ربما تصل إلى درجة التجريح والاتهام، وهو في ذلك متأرجح في ألفاظه بين الشدة والقسوة، وبين الاعتدال الذي يميل إلى الشدة. وهو مرّةً يثني عليه ويعدد مناقبه، وأخرى يعرّض به ويقدح وقد يكون الكلام قريباً من بعضه.

نعم العدل والإنصاف مطلوبان لكن لا يصل الأمر إلى الوقوع في التناقض كما سوف يمر معنا.

كلامه في الثناء على الشيخ/ الفقي – رحمه الله – :

يقول: (لقد عرفت هذا الشيخ منذ أمد بعيد، فهو رجل فاضل، خدم الإسلام والمسلمين بطبع كتب السلف ونشرها، وبنشره مجلة الهدي النبوي وهو رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ويحج كل عام، ويزور الملوك والأمراء والأغنياء ويكرمونه).[1]

ومما قاله (... يا أخي حامد، نحن نعلم أنك عالم فاضل ...)[2]

وقال أيضاً (... قد كان رجل من إخواننا السلفيين يخدم الإسلام والمسلمين بنشر الكتاب والسنة والدعوة إلى التمسك بعقيدة السلف الصالح ألا وهو الشيخ/ محمد حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية بمصر ورئيس تحرير مجلة الهدي النبوي. وما من كتاب أو رسالة يباشر هُوَ طبعها إلا له عليها تعليق...)[3]

---

[1] انظر: تنبيه النبلاء من العلماء .. / محمد سلطان المعصومي ، ص٢٨، القاهرة، ١٣٧٤هـ، المطبعة السلفية.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص٢٩.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص٤٤.

ويقول (أما حامد الفقي فأعرفه، وقد صاحبته أيضاً مدةً مديدة، وطالت تجربتي له بحيث لم يبق عندي ريب ولا شك في أنه عالم فاضل)[1]

كانت هذه بعض المقتطفات لثناء الشيخ/ المعصومي على الشيخ/ الفقي.

كلام المعصومي في التعريض بالفقي – رحمهما الله تعالى – :

وهذا كثير جداً. ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لا تخلو صفحة واحدة من رسائله الثلاث إلا وفيه تصريح أو تعريض بالفقي – رحمه الله – ومن ذلك قوله على الشيخ/ الفقي: (الذي يدعي السلفية والدعوة إلى التوحيد والدين الصحيح).[2]

وقال كذلك: (وحامد الفقي يسرق في تفسيره من تفسير المنار وابن كثير وابن جرير بلا عذر، ويسرق من كلام غيرهم بلا عذر، كما سرق خطبة رسالة الإمام الشافعي وجعلها افتتاحية السنة الثانية من مجلة الهدي النبوي).[3]

وقال تعليقاً على مقولة قالها الشيخ الفقي ذكر الحسين وأباه علياً رضي الله عنهما، وأنهما منعمان في قبرهما... قال: (كما أن تخصيصه الحسين وأباه علياً رضي الله عنهما بنعيم الجنة دون الصحابة الباقين من الشيخين وسائر المبشرين، مشعر بأنه أي –الكاتب– من الرافضة والشيعة الاثنى عشرية وإلا فما السبب بهذا التخصيص؟!!)[4].

ويقول كذلك: (فهل أيها المؤمنون يشتبه أو يتردد ذو عقل ودين بعد هذه الآيات في كون الملائكة الكرام رسل الله العظام علماء عقلاء. أعاذنا الله تعالى من الجهل والعناد والزندقة والإلحاد).[5]

وقال معرّضاً: (وأعوذ بالله من فساد القلب، والحرص على جمع الدنيا ولو بالتملق لأهلها والإلحاح في التردد على أبوابهم..)[6].

---

[1] انظر: تنبيه النبلاء من العلماء ، ص٦١

[2] انظر: المصدر نفسه، ص٣

[3] انظر: المصدر نفسه، ص٤٩

[4] انظر: المصدر نفسه، ص٥٤

[5] انظر: المصدر نفسه، ص١٠

[6] انظر: المصدر نفسه، ص٥٧

هذه بعض المقتطفات من كلام الشيخ/ المعصومي في تبكيت الفقي، والقارئ يجد فيها الحدة والشدة وتوجيه الاتهامات جزافاً حتى وصل به الأمر إلى اتهامه أنه من الرافضة أو الشيعة الاثني عشرية.

ثانياً: أما الشيخ/ محمود شويل المدني فرسالته ليست كسابقاتها في الشدة والاتهام إلا أنها لا تخلو من عبارات التعريض والإيلام إذ يقول – رحمه الله –في مقدمة كلامه: (فهذا مقال أذاعته محطة المملكة العربية السعودية في ١٣٧٠/١/٩هـ إثر كلمة كتبها بعض الإخوان ممن يعزون علينا، وصف فيها ملائكة الله تعالى بعدم العقل، إذ قال عفا الله عنه: لا توصف الملائكة بالعقل، إذ لم يرد هذا قرآناً ولا سنة وظن هذا الأخ الكريم علينا، أن عدم وصفهم بهذا الوصف يقتضي نفي وصفهم به، وهذا خطأ يحققه إن شاء الله تعالى ما سيراه القارئ فيما كتبنا في هذه العجالة).[1]

ثم يقول: (ولم يسبقه أحد بها منذ نشأ الدين الإسلامي إلى يومنا هذا إلا حثالة من الفلاسفة قالت بأن الملائكة هم كالهواء والسحاب).[2]

وقال: (إذ ساقه حمقه وجنونه وطيشه إلى القول بأن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان سجوداً كسجود الشمس والقمر والجبال والأشجار).[3]

رد الشيخ/ المعصومي:

(قام الشيخ باستعراض مقالة الفقي المنشورة في مجلة الهدي النبوي ورَدَّ عليه من أكثر من وجه:

أولاً: رده من الناحية النقلية:

قام الشيخ المعصومي باستعراض كثير من الآيات القرآنية التي ذكرت الملائكة، وأخذ يذكر وجوه الدلالة لتلك الآيات الكريمة ويثبت أن المتصِّفين بهذه الصفات لا يكونون إلا عقلاء. ومن الأمثلة على ذلك قوله: وقال الله تعالى (﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ

---

[1] انظر: القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل – محمود شويل ، ص٣٢، رسالة مطبوعة مع رسائل المعصومي.

[2] انظر: المصدر نفسه ، ص٣٢

[3] انظر: المصدر نفسه، ص٣٥

﴿ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]، يعني أن روح القدس- وهو جبريل عليه السلام- نزَّل هذا القرآن إليك يا محمد بأمر من ربك ليثبت به المؤمنين ويقوي قلوبهم وإيمانهم، وهذا القرآن هدى للعالمين وبشرى خاصة للمؤمنين الذين يصدقون به ويعملون بموجبه، فهل روح القدس هذا غير عاقل؛ يا...)[2].

ثم ثنى بعد ذلك بذكر بعض أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، حيث كان يذكر الحديث ويذكر استنباطه منه، ومن تلك الأحاديث حديث جبريل حينما قدم إلى الرسول فسأله على الإسلام والإيمان والإحسان قال: (والحديث مشهور ومعروف لا ريب فيه، فهل هذا المعلم المرسل من الله على صورة سائل مستفيد لتعليم عباد الله المؤمنين وسيد المرسلين غير عاقل)[3].

ثانياً: رده من كلام العلماء:

وقد قام الشيخ/ المعصوم بعد ذلك بتعضيد كلامه بنقولات كثيرة من كلام السلف، أمثال أبي جعفر الطحاوي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وبعض كلام أهل اللغة والتفسير أمثال الراغب الأصفهاني، والفيروز آبادي، والزمخشري، والرازي، والألوسي، وغيرهم وهنا أسوق ما نقله عن شيخ الإسلام من رسالة العقل والروح قال شيخ الإسلام: (إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو عرض قائم بالعقل، وعلى هذا قد دل القرآن ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[5] ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[6] ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل، يعقِلُ، عقلاً، والعلم

---

[1] سورة النحل، آية: (١٠٢).

[2] انظر: تنبيه النبلاء من العلماء (ص: ٩).

[3] انظر: المصدر نفسه (ص: ١٤).

[4] سورة البقرة، آية: (٧٣).

[5] سورة الحج، آية: (٤٦).

[6] سورة آل عمران، آية: (١١٨)

مع العمل والعمل مع العلم هو العقل، ولذا قال أهل النار ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [1] والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون عَلوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره، فلهذا لا يسمى المجنون عاقلاً، فالعقل غريزة يعلم بها الإنسان ويميز بين الضار والنافع، وهذا عند جمهور العقلاء، كما أن العين فيها قوة بها يبصر، وفي اللسان قوة بها يذوق... الخ"[2].

ويقول شيخ الإسلام في نفس الرسالة: (إن العقل مناط التكليف فإذا فُقد العقل عُدم التكليف ورُفع، فالحق المحقق أن العقل قوة غريزية يخلقها الله تعالى في الملائكة والإنس والجن، فبها يعلمون الأشياء ويميزون الحسن عن القبيح. وهو مناط التكليف، ولكن عقول الملائكة والجن ليست كعقول الإنس، كما أن حقيقتهم وذواتهم ليست كحقيقة الإنسان وذواته، فنؤمن بوجودهم وأوصافهم كما ورد، وقد صرح أكابر العلماء والمحققون – يرحمهم الله – أن الملائكة عليهم السلام هم عقول بلا شهوات أما بنو آدم فقد رُكبوا على الشهوة والعقل... الخ)[3].

ثالثاً: رده من الناحية العقلية:

قال: (وقد عاب الله تعالى على الذين قالوا في حق الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، حيث إن الأنوثة نقص بالنسبة للذكورة، فإذا كان وصفهم بالأنوثة عيباً ألا يكون وصفهم بعدم العقل عيباً بل أعيب؟)[4].

ثم ختم الشيخ المعصومي بقوله: (واعلم يا أيها العبد المؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أن الملائكة إذا لم يكونوا عقلاء وكانوا أشياء مسخرة كالشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب، كيف جعلهم الله تعالى رسلاً وحملة العرش ومبلغين كلام الله إلى المرسلين)[5].

---

(1) سورة الملك، آية: (١٠).

(2) انظر: تنبيه النبلاء من العلماء (ص: ٢٣).

(3) انظر: تنبيه النبلاء من العلماء (ص: ٢٥).

(4) انظر: المصدر السابق (ص: ٢٦).

(5) انظر: المصدر السابق (ص: ١١).

رد الشيخ محمود شويل المدني:

ولقد تعرض الشيخ محمود كذلك للرد على الفقي في كِلاَ القضيتين معاً.

فقد ذهب إلى ذكر الأدلة التي تثبت وجود الملائكة وأنهم مكلفون، منهيون ومأمورون، وأنهم ليسوا كالسحاب والهواء التي لا تعقل شيئاً، فذكر حديث جبريل حينما سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، وذكر بعض الآيات المعضدة لكلامه.

ثم ثنى الكلام باستعراضه المقالة الثانية، وهي أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام - كان سجوداً كونياً كسجود الشمس والقمر والجبال.

وقد ذكر عدداً من الآيات منها قوله تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (الحجر ٢٩) حيث قال: (والوقوع معناه اللغوي الخرور من وقوف أو قعود، فلو كان الملائكة ساجدين سجوداً كونياً ضرورياً لما أمروا بالخرور على الجبهة وكذلك حديث النواس بن سمعان في وصف تكلم الله تعالى بالوحي فيُسمع لصوته سبحانه كسلسلة على صفوان، فيصعق أهل السموات كلهم فإذا فزِّع عن قلوبهم وأفاقوا، كان أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام...، ففي هذا الحديث الصحيح رفع جبريل عليه السلام من سجوده ثم تتبعه الملائكة رافعين رءوسهم فلو كان هذا السجود كسجود الجماد والنبات فما معنى الخرور في آيتي الحجر و ص)[1].

- من الأدلة العقلية التي ساقها قوله: (والعقل الذي به عرفنا الله تعالى ولولاه ما عرفناه، ومن أبطل العقل فقد أبطل التوحيد، إذ كذَّب شاهده عليه، إذ لولا العقل لم يعرف الله تعالى أحد، ألا ترى أن المجانين والأطفال لا يلزمهم شريعة لعدم عقولهم)[2].

---

[1] انظر: القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل (ص: ٥،٤).

[2] انظر: المصدر نفسه (ص: ٢).

رد الشيخ الفقي: ولقد أوضح الشيخ/ الفقي –رحمه الله– بعد ذلك في مجلة الهدي النبوي ما قصده وما أراده من كلامه، وأنه فُهم على غير الوجهة التي أرادها، وأن اللوازم التي ذكرت لكلامه ما قصدها مطلقاً.

قال الفقي –رحمه الله–: (إن كل من قال في الملائكة قولاً لا يدل عليه دليل سمعي ثابت فهو قول باطل، والسلف لا يعرفون من الأدلة السمعية إلا ما كان من قول الله في كتابه أو القول الصحيح عن الصادق المصدوق، وأن غير ذلك لا يقام له وزن في وصف الملائكة ولا غيرهم من علم الغيب)[1].

وقال كذلك: (وينبغي أن يكون واضحاً عند كل ناصح لنفسه أن الفرق بين السلفي المسلم وبين المبتدع المتمرد: هو أن السلفي المسلم يؤمن بالغيب كما جاء به الخبر عن الله ورسوله ﷺ لا دخل لعقله فيه أبداً، إلا على أن يفهم النص كما ورد، ولا يدخل فيه برأي أو قياس، ولا زيادة ولا نقصان قائلاً بقلبه ولسانه: آمنت به كما أخبر الله و كما أخبر رسوله، ولا يورد عليه النسبة والاعتراضات، ولا اللوازم التي يوحيها شياطين الجن إلى شياطين الإنس. أما المبتدع المتمرد: فإنه يأبى الإسلام والتسليم، ويذهب وراء شيطان الغرور والعصبية الجاهلية، متخبطاً برأيه الفاسد، وعقله الكاسد، مفترياً على الله الكذب وقائلاً على الله ما لم يقل، محاولاً بذلك أن يجعل الغيب شاهداً)[2].

ويقول كذلك: (ولقد كنت أعتقد أن هذا القول واضح فيما أريد أن أقوله من مثل قول سعيد بن المسيب –رحمه الله– الذي نقلته عن الحافظ ابن حجر: (الملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون) ولكنها أشكلت عند بعض الإخوان أو اشتبهت عليهم، فألقي في روعهم أمورٌ بعيدة عن فحوى الكلام ومقصده، لمن تدبر أدنى تدبر مع استجماع أطراف الحديث من أوله وآخره، فذهب بعضهم يرميني: أني أصف الملائكة بالجنون،

---

[1] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٤، عدد ٤ (ص: ٦).

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٤، عدد ٤ (ص: ٦،٧).

لأن نفي العقل معناه إثبات ضده، وهو الجنون -عندهم- و لم يلحظوا قولي: إن العقل إنما يوصف به الإنسان، أي إن هذه الخصيصة التي نسميها في عرفنا العربي والبشري العقل والتي بها يدرك الإنسان ويفهم، هي خاصة بالإنسان بحسب خلقه وتكوينه، وإننا لا نجد دليلاً من الكتاب ولا من السنة يعطينا هذا الوصف للملائكة.

وفي الكتاب والسنة مئات الأدلة أن الملائكة تنفذ أمر ربها ولا تعصيه وأنها تتنزل من عند ربها بالأمر الكوني والأمر الشرعي، وكل ذلك واضح أشد الوضوح في أن الله قد أعطاها ما تدرك به عن ربها... أما اسم هذه الخاصية التي جعلها لهم ربهم يدركون بها وينفذون أوامر ربهم، فلست أقول لها اسماً من عندي، ولا أؤمن بأن لأحد بأن يسميها من عند نفسه وبرأيه وقياسه عقلاً... كل ذلك فوق مدارك عقولنا فما جاءنا عن الله ورسوله صدقنا به وآمنا، وما لم يجئنا لا نتكلف البحث عنه ولا نقيسه بعقولنا وآرائنا)[1].

وهنا يتبين لنا حقيقة الخلاف حول هذه المسألة، فالشيخ لم يهدف من خلال كلامه وتعليقه إلى ما ورد على فهم الشيخين من أنه أنكر الملائكة وأنه اتهمها بالجنون وعدم الإدراك وأنها في مرتبة الجمادات والدواب والرياح.

إنما الشيخ جاء بما يفيده ويحتمله المعنى اللغوي الفصيح، أضف إلى ذلك أن هناك من ذكر بعض هذه الأمور و لم يُشنّع عليه فهذا شيخ الإسلام يورد أثراً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول فيه: (... إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر....)[2]. فذكره شيخ الإسلام و لم يعلّق عليه و لم يرده بل أتى به استشهاداً له في قضية المفاضلة بين البشر والملائكة، فالذين شنَّعوا على الشيخ/ حامد الفقي – رحمه الله – واتهموه بأنه يشبه الملائكة بالجمادات أين هم من تقرير شيخ الإسلام -رحمه الله- لهذا الأثر؟

---

[1] مجلة الهدي النبوي، مجلد ١٤، عدد ٤ (ص:٩،٨).

[2] مجموع الفتاوى ج٤/ (ص: ٣٥٧)، وكذلك (٣٤٤/٤).

وقد قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في قضية السجود: (والسجود من جنس القنوت، فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل، ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء، ووضع جبهته في رأس مدور على التراب، فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان، ومن الأمم من يركع ولا يسجد وذلك سجودها، ومنهم من يسجد على جنب كاليهود، فالسجود اسم جنس ولكن لما شاع سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن أن هذا هو سجود كل أحد كما في لفظ القنوت.

قال الشاعر: "ترى الأُكمَ فيه سُجداً للحوافر").

فهذا البيت يقتضى أنه لا يجب أن يكون سجود كل شيء هو وضع رأسه بالأرض، بل هو خضوع يناسب حاله، وقد قيل لسهل بن عبد الله: أيسجد القلب؟ قال: (نعم سجدة لا يرفع رأسه منها أبداً)[1].

قال القرطبي – رحمه الله – حول قضية السجود: (واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، وذهبوا إلى قولين:

أولاً: قال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة لأنه الظاهر من السجود في العُرف والشرع.

ثانياً: وقال قوم: لم يكن هذا السجود هو المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض، ولكنه مبقيًا على أصل اللغة؛ فهو من التذلل والانقياد، أي اخضعوا لآدم وأقروا له بالفضل)[2].

وقال صاحب البحر المحيط: (.... والسجود المأمور به والمفعول، إيماء وخضوع قاله الجمهور، أو وضع الجبهة على الأرض مع التذلل وإقرارهم له بالفضل واعترافهم له بالمزية، وهذا يرجع إلى معنى السجود اللغوي، قال فإن من أقر لك بالفضل فقد خضع لك)[3].

---

[1] انظر: جامع الرسائل: ابن تيمية (١/٢٧-٤٥). تحقيق د/ محمد رشاد سالم. دار العطاء.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/٢). لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية.

[3] انظر: تفسير البحر المحيط (١/ص: ٣٠٢). لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية.

وقال الشوكاني رحمه الله: (ومعنى السجود هنا: هو وضع الجبهة على الأرض، وإليه ذهب الجمهور وقال قوم: هو مجرد التذلل والانقياد)[1]

ويقول الشيخ محمد عبده: (وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ينتفع في ترقية الكون بمعرفة سنن الله في ذلك...)[2].

ويقول الشيخ رشيد رضا في قضية السجود: (بعد ما عرَّف الله الملائكة بمكانة آدم ووجه جعله خليفة في الأرض أمرهم بالخضوع له، وعبر عن ذلك بالسجود فقال ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[3] وهو سجود لا نعرف صفته لكن أصول الدين تعلمنا أنه ليس سجود عبادة، إذ لا يعبد إلا الله تعالى، والسجود في اللغة: التطامن والخضوع والانقياد، وأعظم مظاهره الخرور نحو الأرض للأذقان ووضع الجبهة على التراب... والسجود لله تعالى قسمان، سجود العقلاء المكلفين له تعبداً على الوجه المشروع، وسجود المخلوقات كلها لمقتضى إرادته فيها...)[4].

ومما يعضد أن رأي الجمهور هو الأرجح في هذه المسألة حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطانُ يبكي يقول يا ويله أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجدَ فله الجنةُ، وأُمِرت بالسجود فعصيت فلي النار..)[5] فهنا ذكر الحديث السجود الذي يفعله الإنسان المسلم وهو معروف للجميع بأنه السجود الشرعي وكون إبليس لم يسجد – باعترافه – يدل دلالة على أنه شبّه سجوده الذي تركه بسجود ابن آدم.

أما المسألة الثانية –وصف الملائكة بالعقل– فأرى والله أعلم أن الخلاف لفظي في هذه المسألة، فالشيخ الفقي يثبت وجود خاصية تدرك بها الملائكة وتفهم وتعي الخطاب لكنه لا يثبت لها اسماً معيناً، لعدم ورود شيء من ذلك في الكتاب والسنة. والطرف الآخر يصفونهم بالعقل للوازم الآيات والأحاديث ولا مشاحة في الاصطلاح. والله تعالى أعلم وأحكم.

---

(1) فتح القدير (١/٦٦). محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.

(2) تفسير المنار، (١/ص: ٢٨٢).

(3) سورة البقرة، آية: (٣٤).

(4) تفسير المنار (١/ص: ٢٦٥).

(5) رواه مسلم في – كتاب الإيمان رقم ١١٥ وأحمد برقم ٩٣٣٦ وابن ماجة برقم ١٠٤٢

المبحث الثالث

إشكـــالات عارضـــة

لقد عاش الفقي -رحمه الله- منافحاً عن عقيدة التوحيد ومـــدافعاً عنـــها، لا يرضى المساس بهذا الركن العظيم ولا التقصير في جنابه. شديداً علـــى أهـــل البـــدع والشركيات، منازلاً لهم في مناظرات ومجادلات وخصـــومات، ذاق مـــا ذاق منـــهم وتحمل ما تحمل منهم، فما وهن له عزم وما لانت له قناة.

إلا أن الفقي -رحمه الله - جرَّاء خوفه على جناب الوحيد أن يمـــس بشـــيء قد يصرف الناس إلى الخرافات، وقع في بعض التجـــاوزات إن صـــحت لنـــا هـــذه التسمية - وما أظنها تليق به- وما وقوعه فيها إلا من خوفه الشديد على التوحيـــد والعقيدة الصافية هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأثره بـــرواد مدرســـة التفســـير في عصره والذين -تعرضنا لهم في بحث سابق- (الشيخ/ محمد عبده - الشـــيخ/ محمـــد رشيد رضا - والشيخ/ محمد مصطفى المراغي). وما كان لمدرســـتهم مـــن تميـــز في التفسير الأدبي الاجتماعي للقرآن الكريم، مع ما خالطه من ركون إلى العقل في بعض جوانبه وأطروحاته.

والحقيقة أن الشيخ/ الفقي - رحمه الله - كان يحمل تقديراً واحترامـــاً كـــبيراً لرواد هذه المدرسة، وهذا ما يلاحظه القارئ لثنايا مجلة الهدي النبـــوي، مـــع إيماننـــا العميق بأنه كان أقرب منهم لمنهج السلف وأشد تمسكاً به ورجوعاً إليه والتصاقاً به، وإعمالاً للسنة.

إلا إنه والحق يقال لم يسلم من تأثره ببعض الآراء العقلية لهذه المدرسة جعلتـــه يميل بعض الشيء لموافقتهم.

وأسوق هنا بعضاً من الإشكالات التي وقعت للشيخ غفر الله له:

١- موقفه من السحر.

٢- موقفه من الجن والشياطين.

٣- موقفه من العين.

٤- الفقي والجنس العربي (القومية العربية).

٥- تعليقات الفقي.

أولاً: موقف الفقي من السحر.

كان لانتشار الطرق الصوفية وما يصاحبها من سحر وشعوذة أثرٌ في موقف الشيخ من هذه القضية، حيث كان دائماً يسعى إلى تعليم الناس وإرشادهم إلى أن هؤلاء الأولياء المزعومين لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا خيراً ولا دفعاً، وأن هذه الهالة التي تنتشر حولهم ما هي إلا خداع للسّذج حتى تعظُم أحوالهم في أعين الناس الذين يصدقون كل خرافة ليسهل بعد ذلك السيطرة عليهم.

ومن جهة أخرى لم يكن الشيخ بعيداً عن تأثره بفكر الشيخ محمد عبده – رائد مدرسة التفسير الأدبي الاجتماعي– في هذا الجانب.

يقول الفقي –رحمه الله– في تعليقه على كلام لابن القيم في معنى النفاثات في العقد: (بل النفث الذي يليق بعظمة بلاغة القرآن وفخامة أسلوبه: هو نفث المفسدين سمومهم بالكذب والغيبة والنميمة وقالة السوء في عقد الصِلات بين الناس حتى يفكوا عرى الزوجية والمودة والرحمة، وشر وضرر هذا في الناس أكثر جداً من شر من يقولون: إنهم سحرة)[1].

ويقول كذلك: (... والقرآن صريح في أن ما صنعه سحرة فرعون كان تخييلاً لا حقيقة له في الواقع، وسحر الأعين فن ليس بدقيق كل الدقة ولا خفي كل الخفاء ... أما أن يصل إلى إحداث بغض أو حب أو نزيف في رحم من غير أسباب ذلك فهذا الذي يحتاج إلى دليل وكل ما ساق الشيخ وغيره من الأدلة فلا ينهض حجة لذلك والله أعلم)[2].

وكلام الفقي هذا يشبه كلام الشيخ/ محمد عبده الذي قال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾[3]: (المراد هم، هنا هم النمامون المقطعون لروابط الألفة المزقون لها بما يلقون عليها من ضرام نمائمهم، وإنما جاءت العبارة كما في الآية لأن الله جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين

---

[1] التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوي (ص ٥٧١). تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

[2] المصدر نفسه (ص: ٥٧٣).

[3] سورة الفلق، آية: (٤).

الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه -مثلاً- حينما يوهمون به العامة عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلّوها ليكون ذلك حلاً للعقد التي بين الزوجين. والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر لأنها تحول ما بين الصديقين بوسيلة خفية كاذبة)[1].

ويذهب محمد عبده كذلك إلى إنكار أحاديث سحر النبي ﷺ من قِبَل لبيد بن الأعصم حيث يقول: (وقد قال بعض المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ولا ما يجب لها: إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين. والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام، وأما الحديث فعلى فرض صحته هو آحاد. والآحاد لا يؤخذ به في باب العقائد)[2].

وقد وافقه الشيخ محمد رشيد رضا في هذا المعنى حيث قال عندما فسَّر قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾[3] بقوله (والآية تدل على أن السحر خداع باطل، وتخييل يُري مالا حقيقة له في صورة الحقائق.... فقد نص القرآن على أن السحر تخييل لما ليس واقعاً وأنه كيد ومكر وأنه يتعلم تعلماً)[4].

أما حديث سحر النبي ﷺ من لبيد بن الأعصم فقد تأوله على أنه كان من قبيل عقد النساء[5].

والحديث المذكور هو في صحيح البخاري، وقد أخرجه كثير من أهل العلم وليس في إثباته ما ينقص من مقام النبوة، فلقد كان الذي أصابه من قبيل الأمراض التي تصيب الأجساد لا العقول، فكان يخيل له أنه يأتي أهله أو أنه كان لا يستطيع إتيان أهله كما هو معروف بالربط.

---

[1] انظر: تفسير جزء عم، الشيخ محمد عبده – مطبعة مصر ١٣٤١هـ (ص: ١٨١).

[2] انظر: المصدر نفسه (ص: ١٩٢).

[3] سورة الأنعام، آية: (٧).

[4] انظر: تفسير المنار ج٧ ، (ص: ٣١٢،٣١١).

[5] انظر: تفسير سورة الفاتحة مع ست سور من خواتيم القرآن (رشيد رضا ص: ١٣٣). المنار ١٣٥٣هـ.

قال ابن القيم: (وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وقالوا إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد، وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث)[1].

وهنا أذكر نكتة مهمة في هذا الجانب، ألا وهي أن الذين ذهبوا إلى أن السحر حقيقة لا خيال أو خيال لا حقيقة قد قصروا المعنى بلا دليل يقيني، فإن الله أثبت التأثير الحقيقي للسحر بالتفريق بين الزوجين، وأثبت الأثر التخيلي لسحرة فرعون.

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى ذكر أقسام متعددة للسحر لا قسماً واحداً فمنهم من جعلها ثمانية أنواع ومنهم من جعلها أقل من ذلك.

يقول أبو عبد الله الرازي: (أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين والكشدانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية.

الثالث: سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن وهذا النوع المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

الرابع: سحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعبذة، مثل ما صنعه سحرة فرعون.

الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات مركبة على النسب الهندسية.

السادس: الاستعانة بخواص الأدوية يعني في الأطعمة والدهانات.

السابع: التعلق للقلب، وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه.

---

[1] التفسير القيم لابن القيم (ص: ٥٧١).

الثامن: السعي بالنميمة والتقريب من وجوه خفيفة لطيفة وهذا شائع بين الناس)[1].

ويذهب الشيخ الدكتور/ عمر الأشقر إلى تقسيم السحر إلى ثلاثة أنواع:

(**الأول:** السحر الحقيقي الذي له حقيقة في الخارج.

الثاني: سحر التخييل وهو إلقاء خيالات ومحاكاة صور عن طريق الشعوذة.

الثالث: السحر المجازي الذي يقوم على حيل علمية ومعرفة خواص المخلوقات وعلى خفة اليد....)[2].

قال ابن حجر الهيتمي: (اختلف العلماء في أن للسحر حقيقة أم لا فقال بعض العلماء: إنه تخييل لا حقيقة له. وقال الأكثرون وهو الأصح الذي دلت عليه السنة أن له حقيقة)[3].

قال القرافي: (السحر له حقيقة وقد يموت المسحور أو يتغير طبعه وعاداته وإن لم يباشره، وقال به الشافعي وابن حنبل، وقالت الحنفية إن وصل إلى بدنه كالدخان ونحوه جاز أن يؤثر وإلا فلا، وقالت القدرية لا حقيقة للسحر)[4].

وقال الرازي بعد أن ذكر الأنواع الثمانية للسحر: (اتفق المعتزلة على إنكار هذه الأنواع إلا النوع المنسوب إلى التخييل، والمنسوب إلى التفريق والنميمة، فأما الأقسام الخمسة الأولى فقد أنكروها)[5].

بعد هذا العرض يتضح لنا الصورة الحقيقة للسحر وأنه أضراب متعددة منها ما يُحدث الأثر حقيقة، ومنها ما يكون تخييلاً، ومنها ما يكون شعوذة وكذباً وخداعاً.

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٩).

(2) انظر: عالم السحر والشعوذة. د/ عمر سليمان الأشقر (ص: ١٠١). مكتبة الفلاح، ط١، ١٤١٠هـ.

(3) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/١٠٠). دار المعرفة ، بيروت.

(4) انظر: الفروق للقرافي (٤/١٤٩). دار المعرفة، بيروت.

(5) انظر: قصة السحر والسحرة للرازي (ص: ٤٧). بقلم محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ط١.

ثانياً: موقفه من الجن والشياطين.

كذلك لقد تأثر الفقي –رحمه الله- بأستاذه محمد رشيد رضا والشيخ/ محمد عبده في قضية الجن والشياطين وأنها لا تأثير لها على بني آدم إلا بالوسوسة والإغواء والتزيين فقط حيث يقول الفقي: (والله سبحانه ينفي أن يكون لإبليس على عباده المخلصين سلطان. أي قهر، ولا غلبة وتمكن؛ بحيث يكونون أسراه يغلبهم على أمرهم، ولكنه لم ينف أن يكون له محاولات ومكائد ووساوس يأتيهم بها من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم....)[1].

أما شيخه رشيد رضا فيقول: (كل ما يدعيه بعض الدجالين من تسلط الشيطان، أو ملوك الجان على بعض الناس وقدرتهم على نفعهم وضرهم فهو كذب وحيل من شياطين الإنس وحدهم..)[2].

ويقول كذلك: (والمحقق عندنا أنه ليس للشيطان سلطان على عباده المخلصين)[3].

ويقول كذلك: (فمن تأمل النصوص جزم بأن سلطان الشيطان على الإنسان عبارة عن تمكنه من إغوائه وإضلاله وأن مجرد الوسوسة ليس سلطاناً)[4].

أما محمد عبده رائد المدرسة فقد ذهب أيضاً إلى أن الشيطان لا تأثير له على بني آدم إلا بالوسوسة والإغواء حيث يقول في تعليقه على حديث رسول الله ﷺ: "كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وأبنها" -والمتفق عليه[5]- فقال: (إذا صح الحديث فهو من قبيل التخييل لا من باب الحقيقة)[6].

---

(1) انظر: الهدي النبوي مجلد، ١٣ عدد، ٦ (ص: ٧).

(2) انظر: تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن. محمد رشيد رض (ص: ١٤١).

(3) انظر: تفسير المنار (٣/٢٩١).

(4) انظر: تفسير المنار (٧/٥١٢).

(5) رواه البخاري – كتاب التفسير، برقم ٤٥٤٨/ ومسلم – كتاب الفضائل، برقم ٦١٣٥.

(6) انظر: تفسير المنار ج٣ (ص: ٢٩٠).

أما رؤية الجن فقد أحدثت هذه المسألة زوبعة كبيرة في حياة الفقي تعرضت لها سابقاً من وجهة أخرى، وأتناولها هنا من جهة مختلفة وهي أن الفقي علق على كلام ابن تيمية – رحمه الله- الذي يقول فيه: (ومن الناس من كلمهم وكلموه "الجن" ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم.... ولو ذكرت ما جرى لي ولأصحابي معهم لطال الخطاب).

فعلق الفقي قائلاً: (ليس ثم دليل على صدق أولئك المخبرين ولعل أكثرهم كان واهماً متخيلاً وقد قال الله: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [1])[2].

وشاهدي هنا أنه كان يرى عدم إمكانية رؤية الجن كما صرح في كلامه، وهذا الرأي لم يأت من فراغ، نظراً لكونه هو نفس ما ذهب إليه شيخه محمد رشيد رضا الذي قال: (المختار عندنا أن البشر في حالتهم العادية غير مستعدين لرؤية الجن في حالتهم التي خلقوا عليها كما قال الله: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [3])[4]، ويقول كذلك: (والراجح والمعقول أنه تخيل لا حقيقة له في الخارج وقد يكون منه رؤية حيوان غريب كبعض القردة.. الخ)[5].

أما الشيخ الفقي فقد برر مقولته تلك وتعليقه ذاك بقوله (ولكني قصدت إلى أن أقطع على الدجالين سبيل اتخاذهم لما يحكى من ذلك حجة لهم على ما يدجلون به على الدهماء ويستغلونهم به أسوأ استغلال، كما هو شائع بين العوام وأشباههم،... وأقصد خطأ من يثبت تيسر رؤية الجن كرؤية المرئيات العادية)[6].

---

(1) سورة الأعراف، آية: (٢٧).

(2) انظر: الهدي النبوي مجلد ١٩، عدد (٧،٨) (ص: ٣١).

(3) سورة الأعراف، آية: (٢٧).

(4) انظر: تفسير المنار، ج٧ (ص: ٣١٦).

(5) انظر: المصدرنفسه ج ٧ (ص: ٥٢٦).

(6) انظر: الهدي النبوي مجلد، ١٩، عدد (١٠،٩) (ص: ٢١،٢٢).

التحقيق حول ما سبق ذكره:

أولاً: مسألة الرؤية: لقد دلت الأحاديث الصحيحة على جواز رؤية الإنسي للجن، ومنها ما جاء في الصحيحين من رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان: رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي)[1].

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة الذي ذكر فيه أن الرسول ﷺ جعله حارساً للصدقة في المسجد وفيه: (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قال لا قال: ذاك شيطان)[2].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال ﷺ: (إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئاً منها فحرجوا عليها ثلاثاً، فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر وفي رواية فإنما هو شيطان)[3].

ولقد ذكر البغوي في شرح السنة تعقياً على حديث (إن عفريتاً تفلت عليَّ البارحة...) قال: (فيه دليل على أن رؤية الجن غير مستحيلة، أما قوله ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾[4] فإنه في حكم الأعم الذي امتحنهم الله بذلك ليفزعوا إليه – عز وجل – ويستعيذوا من شرهم) [5].

وقد علَّق الشيخ صديق حسن خان على آية الرؤية السابقة بقوله: (وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشيطان غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنّا لا نراه أبداً، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقاً... والحق جواز رؤيتهم كما هو ظاهر الأحاديث الصحيحة، وتكون الآية مخصوصة بها فيكونون مرئيين في بعض الأحيان لبعض الناس دون بعض)[6].

---

[1] متفق عليه. رواه البخاري – كتاب التفسير، برقم ٤٨٠٨/ ومسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم ١٢٠٩.

[2] رواه البخاري – كتاب الوكالة، برقم ٢٣١١.

[3] رواه مسلم – كتاب السلام، برقم ٥٨٤٠.

[4] سورة الأعراف، آية: (٢٧).

[5] انظر: شرح السنة – البغوي ج (ج٣/ ص: ٢٧٠). تحقيق الأرنؤوط – المكتب الإسلامي، ط١.

[6] انظر: فتح البيان. صديق حسن خان ج٣/ ٣٠٥.

ثانياً: مسألة المس: أختم هنا بذكر كلام شيخ الإسلام في قضية التلبس والمس التي تحدث من الجن للإنس حيث يقول فيها: (... ودخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1] وفي الصحيح عن النبي ﷺ: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)[2] وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذّب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)[3].

وهكذا يقرر شيخ الإسلام صراحة أن المس من الشيطان للإنسان مجمع عليه، لا يُعرف عن أحد من الأئمة المعتبرين أنه أنكر ذلك.

ثالثاً: موقف الفقي من تأثير العين:

من القضايا التي تطرّق لها الفقي –رحمه الله – في ثنايا تفسيره قضية الإصابة بالعين، لكنه تناولها بمعنىً غريب بعيد ، لم أره عند أحد ممن تطرق إلى هذه القضية، ولعل ما تناوله الفقي في هذه القضية يشابه حاله مع القضيتين السابقتين، من خشيته أن يتمادى الناس فيها فينتج ما لا تحمد عقباه في جناب التوحيد - كالوقوع في الخرافات والتهديدات المزعومة من الأولياء المزعومين، أو تأثراً بالمدرسة العقلية التي منها شيخه وأستاذه محمد رشيد رضا، مع أني لم أجد له مثل هذا التفسير في مظان تفسيره.

ذكر الفقي حديث الرسول ﷺ: "العين حق"[4] فقال مفسْراً ومبيناً هذا المعنى: (يعني إن كَذَبَ اللسان فاعرف الحق من العين بما تميزه عنه)[5]، ويقول كذلك: (وأبرز ما في الإنسان الذي تعرف به ما انطوت عليه نفسه من الحسد ونتائجه هو العين، فإن المتوسم يقرأ فيها ما يضمر العدو من كيد أو شر، فيحذره ويتقيه، والعين كذلك فيك هي السفير الذي يأتيك بالخير أو الشر..)[6].

---

[1] سورة البقرة، آية: (٢٧٥).

[2] رواه البخاري برقم ١٨٩٧ كتاب الاعتكاف ومسلم برقم ٤٠٤٠ كتاب السلام.

[3] مجموع الفتاوى ج٢٤، (ص: ٣٧٧،٢٧٦).

[4] رواه البخاري كتاب الطب ،برقم ٥٧٤٠/ومسلم،كتاب السلام،٥٧٠٢.

[5] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٤، عدد ١٢ (ص: ٢)، انظر: مجلد (١٩/ عدد ٢/ ص: ٣٤).

[6] انظر: التفسير القيم (ص: ٥٧٤).

وقال معلقاً على كلام ابن القيم الذي يقول فيه: (وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة. وهي في ذلك بمنزلة الحية التي إنما يؤثر سمها إذا عضت واحتدت..).

قال الفقي: (قياس مع الفارق البعيد، فإن الحية توصل السم في موضع ما جرح نابها)[1].

وقال الفقي كذلك تعليقاً على كلام نقله ابن القيم عن الزجاج يقول فيه: (... إن الله قرن هذا النظر بسماع القرآن وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية، فيحدّون إليه النظر بالبغضاء).

قال الفقي (هذا المعنى هو الأليق بالآية، بل هو الذي لا يناسبها غيره)[2].

وقال الفقي كذلك تعليقاً على حديث أسماء بنت عميس الذي جاء فيه: (.. يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين)[3].

قال الفقي: (ما درجة هذه الأحاديث من الصحة؟ فليس كل ما قيل حديثاً يكون حديثاً)[4] وكأنه يعرض بضعفه وعدم صحته.

والحقيقة أن الشيخ أبعد النجعة في هذا المعنى، حيث إن ظاهر كلامه أنه إنكار لهذه القضية ونفيها بدلالة تفسيره الغريب للحديث.

وأما تأثير العين فهو ثابت بالكتاب والسنة، لا شك في ذلك ولا ريب فأما من القرآن:

١) **قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام :** ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .[5]

---

[1] التفسير القيم لابن القيم (ص: ٥٧٥).
[2] المصدر نفسه (ص: ٥٧٨).
[3] أخرجه الترمذي – كتاب الطب برقم ٢٠٥٩، وصححه الألباني / وابن ماجه – كتاب الطب، برقم ٣٥١٠، صححه الألباني.
[4] التفسير القيم (ص: ٥٧٤).
[5] سورة يوسف، آية: (٦٧).

قال ابن كثير: (قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد إنه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة)[1].

وذكر الطبري (أنه رُوِيَ عن الضحاك وقتادة وابن عباس ومحمد بن سيرين والسدي وابن إسحاق ومجاهد).[2]

٢) **قال الله تعالى:** ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾[3].

قال ابن كثير: (قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ليزلقونك لينفذونك بأبصارهم أي يعينونك بأبصارهم... وهذه الآية دليل على أن العين حق إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل)[4].

أما ما ورد من أحاديث الرسول ﷺ: فهي كثيرة أذكر منها ما يلي:

١. روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"العين حق"[5].

٢. روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا"[6].

مما سبق بيانه يتضح حقيقة هذه القضية التي خاض فيها العقلانيون كثيراً، محاولين ردها أو تأويلها، ضاربين صفحاً عن الأحاديث الصحيحة الصريحة.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، وابن كثير ج٢/ (ص: ٤٨٤). دار القلم، ط٢.

[2] انظر: تفسير الطبري. ابن جرير الطبري ج١٦/ (ص: ١٦٥). دار الكتب العلمية، ط١ ، ١٤١٢هـ.

[3] سورة القلم، آية: (٥١،٥٢).

[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج٤/ ص:٤٠٨).

[5] سبق تخريجه، ص (٢٠٨)

[6] رواه مسلم – كتاب السلام، برقم ٥٧٠٢ .

رابعاً: الفقي والجنس العربي:

إن المتتبع لكلام الفقي -رحمه الله- يجد فيه تمجيداً جلياً وواضحاً للجنس العربي، فهو دائماً يثني عليه ويطلق عليه صفات عظيمة شتى، فتارة يذكره مقروناً بالإسلام وأخرى من دونه.

والقارئ لبعض ألفاظ الشيخ، إذا لم يكن على دراية كاملة بحاله ودعوته قد يظن أن الشيخ يدعو ويميل إلى القومية العربية تلك الحركة السياسية الفكرية المتعصبة التي تدعوا إلى تمجيد العرب وإقامة دولة على أساس الدم واللغة والجنس والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين[1]، والتي حمل لواءها في تلك الحقبة الزمنية الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي تبنى أفكارها وسخر لها أجهزةَ إعلامه وامكانات دولته.

والحقيقة أن الفقي كانت تصدر منه بعض ألفاظ موهمة في هذه القضية حيث يقول: (وقد بعث الله للعرب والمسلمين عبده "جمال عبد الناصر".... ونفخ فيه روح العزة الإسلامية والحمية العربية فصرخ صرخته بالقومية العربية- التي هي أساس الجامعة الإسلامية ...)[2].

ويقول كذلك: (وإن يد عبد الله "جمال عبد الناصر" تشتد وتشتد وتمتد وتمتد ومن ورائها الأمة العربية الإسلامية... قد ربطها الله برباط القومية العربية ووثقه بأوامر الجامعة الإسلامية القومية)[3].

بل لقد أبعد أكثر من ذلك حين قال: (.... وتعود العرب خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله)[4] ولا أظنه قالها إلا زلة من قلمه أو سهواً في لفظه وإلا فلا يمكن أن يخفا مثل هذا على الفقي، وأن الله لم يميز العرب بل ميز المسلمين.

---

[1] انظر: الموسوعة الميسرة ط١، (ص: ٤٤٨).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢٣، عدد ٣ (ص: ٢٤).

[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢٣، عدد ٣ (ص: ٢٤).

[4] انظر: المصدرنفسه.

أعود فأقول إن الفقي رحمه الله كان يحمل للجنس العربي مكانة سامقة في نفسه، على غيره من الأجناس الأخرى، وإن كان في بعض الأحيان يقدمهم على العرب فمثلاً يقول مادحاً العرب: (الذي لا ينبغي أن يشك فيه مسلم أن الله العليم الحكيم ما اختار خاتم رسله من العرب إلا لأنهم كانوا أبعد أهل الأرض عن الفساد الشامل والانحلال التام الذي عم جميع أقطار الأرض، فلقد كان العرب مع شركهم ووثنيتهم- أحفظ أهل الأرض لصفات الرجولة لما اقتضته حياتهم من الوضوح والصراحة والبعد عن الالتواء وعن العقد النفسية ولذلك لم يكن فيهم نفاق بل كانوا أعداء للإسلام معلنين، ثم كانوا بعد أن هداهم الله مؤمنين صادقين وجنداً للإسلام مخلصين بخلاف غيرهم من الأمم الأخرى التي غرقت في الترف الجسمي والترف العقلي..)[1]

ثم هو يمدح غير العرب ويفضلهم على العرب في موضع آخر فيقول: (ومن أوضح الدلائل على ذلك من نبغ من العجم في فقه الدين، وحمله بقوة انتفع به كثير من الأمة مثل الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وغيره من أئمة السنة والهدى حتى برزوا في هذا على كثير من العرب)[2].

لكن وللإنصاف ينبغي أن يعلم أن الفقي –رحمه الله– من خلال الاستقراء لغالب ما كتبه فهو من أبعد الناس عن مفهوم القومية بمعناها المنحرف المعروف.

وما قال ما قال، ولا صدر منه ما صدر، إلا لحبه للغة القرآن، ولمن جاء بالقرآن، والأمر الثاني: لما كان يعصف بالعالم العربي في ذلك الوقت من محن واستعمار كان يعايشها ويذوق لوعتها وهو من هو في عالمية دعوته وشمولها وعدم تقوقعها على قطر معين أو منطقة محدودة.

---

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم شيخ الإسلام، تحقيق محمد حامد الفقي (ص: ١٤٩). مطبعة السنة المحمدية، ط٢، ١٣٦٩هـ

(2) انظر: المصدر نفسه (ص: ١٦١).

وثالثاً: هذا التمجيد للعرب لم يكن إلا لارتباطهم بالإسلام والذي كان سبباً في إفراز حضارة لا مثيل لها على مر الأزمنة ولولا ذاك ما حدث ذا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (... وسبب ما اختصوا به من الفضل — والله أعلم — ما جعل الله لهم من العقول والألسنة والأخلاق والأعمال ... فالعرب هم أفهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتمييزاً للمعاني)[1]

خامساً: تعليقات الفقي.

لعل الكثيرين يلقون باللوم على حامد الفقي —يرحمه الله- لتعليقاته وانتقاداته على الكتب التي كان يطبعها وينشرها، ويرون في ذلك نوعاً من الانتقاص لمؤلفيها؛ واعتراضاً على إنتاجهم، ويأتي في مقدمة أصحاب الكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم —رحمهما الله-، وهما بالذات دون غيرهما اللذان أكثر من التعليقات والحواشي على كتبهما فما السر في ذلك؟ وما الذي كان يدعوه إلى مثل هذه التعليقات؟.

لقد كانت مكانة الشيخين في نفسه مكانة عظيمة، فهو يضعهما من نفسه في موضع عالٍ، ويجلهما ويثني عليهما ما وجد إلى ذلك فرصة أو سبيلاً، وقد مرَّ معنا سابقاً كلامه فيهما، ومن أحسن ما قال فيهما: (لقد نفعني الله بكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم نفعاً أعده من أجل نعم الله علي... إن من لم يتضلع من كتب الشيخين لا يمكن أن يكون سلفياً بالمعنى الصحيح. ولا أعرف في القديم والحديث بعد الرسول والصحابة من أوتي الفقه في القرآن والفهم الصائب والحكمة والغوص على درره واستخراجها من أعماق بحاره صافية مشعة مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله).

---

[1] انظر: جامع الرسائل: (٢٨٩/١).

بل إن الفقي –رحمه الله– يذهب إلى أكثر من ذلك في تزكيتهما والرفع من مقامهما حيث يقول (كما نرجو أن يكون شيخ الإسلام وتلميذه من الصديقين، وإنما كان تسليمهما لرسالة الرسول ﷺ علماً وعقيدة وعملاً وحالاً وأدباً وخُلقاً، ودعوة وحباً وكرهاً وموالاة)[١].

فهل يمكن بعد هذا الكلام وهذا الوصف أن يقول متقول أو يزعم زاعم أن الفقي ينتقص ويقلل من مكانة شيخ الإسلام وتلميذه؟!.

بل لقد قال في مقدمة كتاب مدارج السالكين كلاماً من أجمل ما قرأت في تقريظ ابن القيم –رحمه الله– حيث يقول: (فهذا كتاب مدارج السالكين، تأليف شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصر الدين الذاب –بما أوتي من قوة– عن سنة سيد المرسلين، الطاعن بسنان قلمه الحاد في نحور المبتدعين، القاطع بسيف حده البتار أعناق المخرفيْن، ترجمان القرآن، ذي الفنون البديعة الحسان الملهم من ربه القيام بالهدي والبيان، المؤيد من الله بواضح الحجة وناصع البرهان أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بمواقفه الخالدة ابن قيم الجوزية غفر الله لنا وله وللمؤمنين، وأسكنه فسيح جنته وألحقنا به على صادق الإيمان)[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه حتى تتضح الصورة بيِّنة واضحةً – ما قاله الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله على تعليقات الفقي، في مقدمة بعث بها إلى الفقي ونشرت مع الكتاب "مدارج السالكين" قال فيها بعد الثناء على الفقي: (فأما ما جرى به قلمك من التعليق عليه فأنا أعتقد أن كل ما كتبته مما تجد مثله في كلام ابن القيم نفسه في كتبه الأخرى، بل أنا أعتقد أن ابن القيم لو كان اليوم حياً، فقرأها لقررها وأقرها وجزّاك عليها خيراً.

---

[١] انظر: التفسير القيم. ابن القيم (ص: ٤٠).

[٢] انظر: مدارج السالكين ج١، ص١. ط١ ، تحقيق/ محمد حامد الفقي (١٣٧٥هـ)، ط١.

وأحب أن أهوِّن عليك أمر ما لاحَظتَه في هذا الكتاب على ابن القيم –رحمه الله– بأنه عَجَزَ في بعض المواضع أن يدَحَضَ أوضار الصوفية الجاهلية التي حشدها الهرويُّ في "منازل السائرين"، فإن من قواعد أهل هذه الملة الإسلامية التي رضيها أثبات العلماء، وقررها ابن القيم وشيخه ابن تيمية من قبل "أن المفسدة اليسيرة تُرْتكَب، لجلب المصلحة الكبيرة، وأن المصلحة القليلة تترك لدرء المفسدة العظيمة".

وأنت جدُّ خبير بأن الزمان الذي كان قلمُ ابن القيم يُطوِّف فيه بهذه البحوث لم يكن خيراً من الزمن الذي نعيش فيه، بل لعلك– إن رجعت إلى ذاكرتك– مدركٌ أنه –رحمه الله– كان في أسوأ حال مما نحن عليه اليوم، لكن ماذا أقول وأنت لا تريد إلا الجادة "الجادة وحدها "ولا شيء غير الجادة)[1].

إذاً هذه الحدة عند الشيخ لمن تكن لحسد نفسي أو حق شخصي أو رغبة في الشهرة أو الصعود على أكتاف الآخرين، بل هي لشدة طلبه الحق والوصول إليه ثم هو من جهة أخرى نبذ للتقليد المذموم والذي كان يحذر منه أشد تحذير.

يقول –رحمه الله– (.... ولكني أحمد الله وأدعو لشيخ الإسلام دائماً بالمغفرة والرضوان، وأضعه من نفسي أجل موضع أن تعلمت منه مقت التقليد أشد مقت، لما يفضي إليه كما عرفت من شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع، فلست أقلد ابن تيمية ولا ابن القيم ولا غيرهما، ولا أتخذهم أرباباً من دون الله بل العلماء عندي بشر يخطئون ويصيبون)[2].

ويقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل: (وأذكر مرة أنه نقد رأياً للإمام الجليل ابن تيمية وتلميذه العظيم ابن القيم، ثم رأيته بعد هذا حزيناً، فسألته عن ذلك فأجاب: لقد رأيت عدم الرضا في وجوه بعض أبنائي، وسمعت من بعض الشيوخ الذين نعتز بأخوتهم أنهم ينقمون مني هذا النقد وهذه إثارة يا بنيِّ تدل على أن هؤلاء

---

(1) مدارج السالكين. تحقيق الفقي ط١. (ص: ٥).

(2) كتاب كلمة الحق (ص: ٣٢٧).

لم يتطهروا بعد من مسارب الوثنية، ونحن أنصار السنة يا بني لا نتعصب إلا للحق وحده، نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال)[٣].

وأخيراً أظن أن القارئ الكريم قد اتضحت له الصورة الحقيقية خلف تعليقات الشيخ/ الفقي - رحمه الله – وأنها لا تعدو كونها اجتهادات شخصية رأى الفقي أنها موافقة للأصوب لا تفسر مطلقا أنها انتقاص للآخرين.

أهم العوامل التي كان لها تأثيرٌ مباشرٌ – وهذا من وجهة نظري- على تعليقات الشيخ ما يلي:

١) شخصية الفقي شخصية متميزة متجردة، فإذا رأى فكرة أو رأياً واقتنع به فإنه لا يتردد أن يصرح به ويعلن به وهذا يظهر جلياً فيما سبق أن أوردناه.

٢) وجوده في وسط ومجتمع ينتشر فيه الشرك بأشكال متعددة والبدع بصور مختلفة، أفرز عنده ردة فعل تجاه كل ما من شأنه أن يمس جانب التوحيد، فحدث ما حدث من تعليقات شديدة.

٣) لقد كانت تصدر منه بعض التعليقات والتي بناها وقالها على حسَب وضع واقعه ومجتمعه الذي سبر أغواره بنفسه ولاقا فيه ما لاقا، وليس على ما كان في حياة المؤلف، لذلك يطرأ مثل هذا الخلاف في وجهات النظر بينهما في بعض القضايا.

٤) "التقليد" كان من الأمور التي حذر منها الفقي، وكان يدندن كثيراً حول هذا الأمر ويرى أن كل انحراف وقع في الأمة ليس وراءه إلا التقليد، فصار هذا الأمر دافعاً له على التصريح- لا التلميح - لكل ما يرى فيه عدم موافقة لمنهجه الذي ارتضاه.

٥) الحالة النفسية قد يكون لها دور في قضية التعليقات فإذا كانت نفسية الشيخ هادئة سالمة من المنغصات في حياته، نجد أن تعليقاته لا تتسم بالشدة، و هذا

---

(٣) نور من القرآن (ص: ٩).

قد يكون معروفاً، إذ كان أكبر ما ينغص على الشيخ ويقلق تفكيره هو انتشار الشرك وأهله الذين يعكفون عليه، فإذا لم يتكدر خاطره رأيت في قلمه عذوبة ورقة تعجب لها، حتى إن الذي لا يعرف أسلوب الشيخ قد يقول هذا تناقض، وأسوق مثلاً على ذلك، فلقد قال في مقدمة كتاب "مدارج السالكين" (وفي الحق أن كتاب مدارج السالكين من خير ما كتب الإمام ابن القيم- وحسبك بابن القيم — في تهذيب النفوس والأخلاق والتأدب بآداب المتقين الصادقين مما يدل أوضح دلالة على أنه كان من أولئك المهتدين الصادقين...)[1].

ويقول في نفس الكتاب في خاتمة الطبع — حيث إن الكتاب طبع على أوقات متفاوتة و لم يطبع كله دفعة واحدة- (والله المسئول أن يغفر للإمام ابن القيم على قدر حسن نيته، وسلامة قصده وطويته. فما أراد إلا النفع للمسلمين، وليته صرف ما صرف من الجهود في هذا الكتاب في نوع آخر من التأليف الذي أجاد فيه وأفاد في كل أبوابه ونواحيه وفنونه ومعانيه ولكن ما شاء الله كان)[2].

٦) أخيراً، لا شك أن الفقي قد جانب الصواب في بعض التعليقات جرّاء حماسة وحميته، ولعله يكون فيها من أصحاب الأجر الواحد والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث.

---

[1] انظر: مدارج السالكين (ج١/ص: ث).

[2] انظر: مدارج السالكين ج٣ (ص: ٥٣٤).

الباب الثاني

منهج الفقي في التوحيد وبيان نواقضه
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: توحيد الربوبية

الفصل الثاني: توحيد الأسماء والصفات

الفصل الثالث: توحيد الألوهية

الفصل الأول

توحيد الربوبية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: منهج الفقي في إثبات توحيد الربوبية

المبحث الأول

تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً

توحيد الربوبية لغة:

قال الراغب الاصفهاني: الربوبية مصدر يقال في الله عز وجل والربابة تقال في غيره.

وقال أيضاً: الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، ويقال: ربه ورباه وربيه... ولا يقال: الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [1] ... ويقال: رب الدار ورب الفرس لصاحبها.[2]

وقال الجوهري: رب كل شيء: مالكه. والرب: اسم من أسماء الله عز وجل. ولا يقال في غيره إلا بالإضافة.

والرباني: المتأله العارف بالله تعالى: وقد قال سبحانه ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ [3]

وربيت القوم: سستهم، أي كنت فوقهم[4]

وقال ابن قتيبة :(الرب: المالك، يقال: هذا رب الدار، ورب الضيعة ورب الغلام، أي مالكه قال الله سبحانه ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [5]، أي إلى سيدك ولا يقال لمخلوق: هذا الرب معرفاً بالألف واللام كما يقال لله، إنما يقال. هذا رب كذا، فيعرف بالإضافة...)[6]

---

[1] سورة سبأ – آية: (١٥)

[2] انظر: المفردات في غريب القرآن ، ص١٨٤ ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط١، دار المعرفة.

[3] سورة آل عمران ، آية: (٧٩)

[4] انظر: الصحاح ١/١٣٠ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢ ، ١٤٠٢هـ

[5] سورة يوسف، آية: (٥٠)

[6] انظر: تفسير غريب القرآن ، ص٩ ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية بمصر، سنة ١٣٧٨هـ.

وقال ابن الأنباري: الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يكون الرب: المالك، ويكون الرب: السيد المطاع. قال الله تعالى ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾[١] ويكون الرب: المصلح).[٢]

وقال ابن الأثير: الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى...[٣]

يقول الفقي – رحمه الله –: (فلم يجئ في لغة العرب ولا في القرآن ولا في الحديث كلمة "رب" بمعنى معبودا أبداً، وإذا جاءت في القرآن مقصوداً بها الله سبحانه، فإنما يراد بها: المالك، السيد، العزيز، المربي للعالمين بنعمه وآلائه وسننه وآياته ورسله ووعده ووعيده فهو سبحانه يربهم وحده).[٤]

توحيد الربوبية اصطلاحاً:

هو الاعتقاد الجازم واليقين الصادق والإقرار التام بأن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وهو الخالق والمحي والمميت والضار والنافع المتصرف في هذا الكون ليس له شريك ولا ند ولا شبيه.

وقيل: (هو إفراد الله عز وجل بالخلق والملك والتدبير)[٥]، بمعنى أن المسلم يجب عليه أن يعتقد أنه لا خالق ولا مالك ولا مدبر إلا الله سبحانه وتعالى.

---

[١] سورة يوسف ، آية: (٤١)

[٢] انظر: تهذيب اللغة ، ١٧٧/١٥للأزهري .تحقيق عبدالسلام هارون،ط١، ١٣٨٤،المؤسسة المصرية العامة للتأليف.

[٣] انظر: النهاية في غريب الحديث (١٧٩/١)، لابن الاثير، تحقيق طاهر الزاوي و محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية بمصر.

[٤] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٥ ، عدد ٣ ، ص١٦

[٥] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ٥/١ ،ابن عثيمين .ط١، ١٤١٥، دار العاصمة، وانظر: مجموع فتاوي ابن عثيمين ١٨/١

أقوال العلماء في توحيد الربوبية:

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطي المانع، النافع الضار، الخافض، الرافع، المعز، المذل، فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته).[1]

ويقول أيضاً: (فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله ؛فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن... فمشيئة الله وحده مستلزمة لكل ما يريده)[2]

وقال ابن القيم – رحمه الله – : (فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه؛ لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره).[3]

يقول الفقي – رحمه الله – :(أما كلمة "رب" فمعناها: الذي يرب العباد ويربيهم بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، وغيرها من الشئون. فالله رب الجميع. والكل مربوب له، يتجلى عليهم بصفة الربوبية بكل ما تحتاجه عبوديته، سواء رضي أو لم يرضى، أحب أو كره، علم أو لم يعلم، فحق هذا الرب سبحانه: أن يكون وحده إله الجميع ومعبودهم دون سواه، لأن ما سواه عبد مربوب. فالإلهية من العبد للرب؛والربوبية من الله للعبد. والإلهية شكر العبد للرب على تجليه بصفات الربوبية؛ وحق الرب على العبد).[4]

ويقول أيضاً: (فهو الرب المربي لكل العالمين، وإن كفر به الجميع، وهو الرب القاهر بربوبيته العالمين وإن زعم الجميع أنهم مستكبرون عليه، وهو الرب المربي

[1] انظر: مجموع الفتاوى (٩٢/١)

[2] انظر: المصدر السابق (٣٣١/١٠)

[3] انظر: مدارج السالكين (٤٣/١)

[4] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٧ ، عدد ٩ ، ص٤،٥

لكل العالمين بميزان العدل والقسط. إن آمنوا لا يزيد في ربوبيته إيمانهم وإن كفروا لا ينقص من ربوبيته سبحانه كفرهم. وهو الرب الكريم الجميل الذي لا يكون منه سبحانه إلا الجميل الذي يدعو كل شيء في الوجود بأرفع صوت إلى حمده والثناء عليه وذكره وشكره سبحانه).[1]

ولقد شنع الفقي على أولئك الذين لا يفرقون بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأنهم أن فعلوا ذلك فقد أبعدوا النجعة وارتكبوا خطأ كبيراً لما بينهما من فرق واختلاف.

يقول – رحمه الله- :(والناس يخطئون أفحش الخطأ في فهم معنى كلمة "إله" ويخلطون بينها وبين كلمة "رب" ومن هذا الخطأ الفاحش يقعون في شرك العبادة والإلهية وهم لا يشعرون،إذ هم لا يميزون بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة والإلهية... فلم يجئ في لغة العرب ولا في القرآن ولا في الحديث كلمة "رب" بمعنى معبود أبداً، وإذا جاءت في القرآن مقصوداً بها الله سبحانه، فإنما يراد بها: الملك، السيد العزيز، المربي للعالمين بنعمه وآلائه وسننه وآياته وكتبه ورسله ووعده ووعيده فهو سبحانه يربهم وحده، وهو الحقيق أن يؤلهوه وحده، وأن لا يجعلوا في قلوبهم له شريكاً في الإلهية والعبادة بجميع أنواعها، فإن كل من اتخذوهم آلهة: مربوبون له وحده وهو الذي يربيهم ويربي عابديهم ومواليهم بنعمه وآياته. فالربوبية صفته سبحانه التي يربي بها خلقه والإلهية: حقه الذي يستحقه وحده على مربوبيه؛ شكراً له على ما يربهم به من النعم الدائمة. فآثار الربوبية: نعم متتالية على العباد من ربهم، وآثار الإلهية: عبادات قلبية وبدنية ومالية تصعد من المؤمنين إلى ربهم وحده وتنزل بالمشركين إلى حضيض المهانة والصغار والشقاء في الدنيا والآخرة).[2]

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١١ ، عدد ٦ ، ص٢

[2] انظر: المصدر السابق ، مجلد ١٥ ، عدد ٣ ، ص١٥،١٤

وتوحيد الربوبية هو الأساس والقاعدة لأنواع التوحيد الباقية؛ توحيد الإلوهية وتوحيد الأسماء والصفات – لأن الخالق، المالك، المدبر، النافع، الضار، الرازق هو الذي يستحق العبادة والخضوع والانقياد والتذلل له سبحانه. وكذلك هو وحده الذي يستحق أن نطلق عليه صفات الكمال وأن يتنزه عما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وتوحيد الربوبية لم يُعلم على مرِّ التاريخ السابق أن أحداً أنكره أو جحده إلا ما حدث من فرعون فإنه جحده استكباراً وتعطيلاً لا حقيقةً يؤمن بها، فقد زعم أنه الرب كما حكى ذلك ربنا عنه ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [1]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [2]. لكنه في حقيقة الأمر وفي داخل نفسه وخلجاتها يؤمن بالله كما قال سبحانه ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [3]، وقال سبحانه ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [4]، حكاية عن موسى وهو يخاطب فرعون.

و لم يعلم أن رسولاً جاء إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الربوبية ومعرفة الله، بل إن كل من حكى القرآن عنهم كانت دعوتهم واحدة "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [5]. وهذا هو هود عليه السلام يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [6]، وقال صالح عليه السلام ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [7]. وهكذا جميع الرسل إلى محمد ﷺ.

---

[1] سورة النازعات، آية: (٢٤)
[2] سورة القصص، آية: (٣٨)
[3] سورة النمل ، آية: (١٤)
[4] سورة الإسراء ، آية: (١٠٢)
[5] سورة الأعراف ، آية: (٥٩)
[6] سورة الأعراف ، آية: (٦٥)
[7] سورة الأعراف ، آية: (٧٣)

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأنه قال لقومه ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[1]).[2]

قال ابن القيم: (والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية).[3]

لذلك قرر القرآن هذه الحقيقة وهي إقرار الكفار بربوبية الله في آيات كثيرة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.[4]

وقال تعالى ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[5]، وقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[6].

هذه الاستفهامات وما كانت على شاكلتها هي استفهامات تقرير لا إنكار كما قال صاحب الأضواء يرحمه الله: (إن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار، لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة ، نحو قوله تعالى ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾[7] وقوله ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا ﴾[8])[9].

---

[1] سورة الأعراف، آية: (٥٩).

[2] انظر: مجموع الفتاوى (١٥٤/١)

[3] انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١٣٥/٢)

[4] سورة المؤمنون ، آية: (٨٦-٨٧)

[5] سورة المؤمنون، آية: (٨٨-٨٩)

[6] سورة الزخرف ، آية: (٨٧)

[7] سورة إبراهيم، آية: (١٠).

[8] سورة الأنعام، آية: (١٦٤).

[9] انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (٣٧٦/٣)، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ.

ويقول الفقي كذلك معلقاً على هذا الأسلوب الوارد في الآيـات: (لمـا كان السؤال عن أمر واضح أتم الوضوح، لازم أشد اللزوم، لا يمكن لأحـد أن يدفعه لما استقر عندهم من العلم الضروري به، ولأنهم يعترفون به في غير خفـاء ولا مواربة، كان الجواب على هذا السؤال من السائل مبادرة بالسـبق ليكـون أقوى في الاحتجاج، وأبلغ في قطعهم من انتظار الجواب منهم، ولأن المقصـود بالسؤال هو لتقريرهم واعترافهم بتوحيد الإلهية الذي هو ثمرة لازمـة ونتيجـة حتمية لما يعترفون به ويقرون؛ من توحيد الربوبية الـذي سـجل الله علـيهم الاعتراف به في غير آية، كقوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1]- وذكر آيات كـثيرة- ثم قال: فأنت ترى أن الله سبحانه يقرر في هذه الآيات أن المشركين موحـدون لله في ربوبيته لكنهم مشركون في إلهيته وعبادته فالله سبحانه يلـزمهم الحجـة القاطعة من اعترافهم أنفسهم ثم يوبخهم أشد توبيخ...)[2]

ويقول أيضاً: (وقد قدر الله تعالى في كثير مـن آي الـذكر الحكـيم أن المشركين كانوا يعرفون لله هذه الصفات "حفيظ، وكيل، ولي، كاف، كفيـل، حسيب" ويدينون بأنه رب العالمين وحده: خلقاً ورزقاً وإحياء وإماتة وتـدبيراً لأمرهم كلهم من السماء إلى الأرض، وتسخير السموات والأرض وما فيهمـا وما بينهما... وسنة الله في إقامة الحجة على شركهم وكفرهم به سبحانه: أنـه يقرر من صفات الربوبية ما هم مقرون به ثم يعقب على ذلـك بإثبـات حـق الإلهية له وحده، لأنه هو المستحق وحده بمقتضى صـفات الربوبيـة للإلهيـة، وإخلاص العباد له وحده، والقرآن كله مبني على هذا).[3]

---

[1] سورة يونس ، آية: (٣١-٣٢)

[2] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٧ ، عدد ٤ ، ص٣،٢

[3] انظر: المصدر السابق ، مجلد ٩ ، عدد ١ ، ص٢+٦

ولقد أكثر الفقي – رحمه الله – من الربط بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية في ثنايا كلامه، فهو دائماً يذّكر بالتفكر في الآفاق وفي الأنفس ثم بعد أن يثير في النفس عظمة الله وجليل قدرته وبديع خلقه؛ يربط ذلك بما يستلزمه هذا الإقرار من إثبات توحيد الألوهية أو توحيد العبادة كما يسميه بعضهم الذي هو في ذات الوقت متضمنٌ لتوحيد الربوبية، فكلاهما لا ينفكان عن بعضها. يقول – رحمه الله –: (فإن العبودية مغمورة بإحسان الربوبية من جميع جوانبها ونواحيها ابتداء واستمراراً ونهاية ليس لها عند الرب شيء ما، وللرب الغني الحميد عليها كل شيء...).[1]

---

[1] انظر: المصدر السابق ، مجلد ١١ ، عدد ٧ ، ص٢

المبحث الثاني

منهج الفقي في إثبات توحيد الربوبية

وجود الله سبحانه وتعالى وتفرده بالخلق والملك والتدبير أمر لا يشك فيه عاقل ولا يحتاج إلى دليل؛ لكون هذا الأمر مغروساً في الفطر، كما قال تعالى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [1].

وهل وجود الإنسان إلا دلالة على وجود الله سبحانه : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2]، والقرآن مليء بالأدلة الكثيرة المثبتة لهذه القضية سواء كان ذلك لأصحاب القلوب المريضة والمنتكسة التي تحتاج إلى بيان وعلاج أو كان ذلك للمؤمنين الصادقين زيادة إيمانهم بالنظر والتفكر في الكون أو في النفس ، كما قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [3].

والفطر ما دامت سليمة فهي لا تحتاج إلى أدلة أصلاً في إثبات وجود الله، كما مرَّ معنا سابقاً أن جميع الرسل كانت دعوتهم إلى توحيد الألوهية، لكنه عندما تنتكس الفطر وتفسد ويقل اليقين؛ فإن الإنسان يصل بعد ذلك إلى درجة الإلحاد في وجود الله أو وجود الخالق، ويتساقط الناس عندئذ في مهاوي الردى وسُبل العمى فلا يعرفون طريقاً ولا يهتدون سبيلاً إلا ما يلقيه الشيطان في نفوسهم المنحرفة، هناك يُحتاج إلى أدلة تُصْلِحُ هذا الفساد والانحراف حتى يعود الإنسان إلى الجادة والفطرة السليمة.

---

[1] سورة الروم ، آية: (٣٠)

[2] سورة الطور ، آية: (٣٥)

[3] سورة فصلت، آية: (٥٣)

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (إن الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرضُ لها).[1]

ويقول كذلك : (ولسنا نقول: إن الله يعرف بالمخلوقات، بل المخلوقات كلها تعرف بالله، ولكن معرفته تزيد بالنظر في مخلوقاته)[2].

وقبل أن أسوق الطرق والوسائل التي سلكها الفقي – رحمه الله – في إثبات وجود الله، أتطرق إلى مسألة أثيرت حول الشيخ في أنه يوافق المتكلمين في قضية أن أول واجب على المكلف هو النظر.

إذ يقول صاحب رسالة "أضواء المسارج لبيان جور التعليقات على المدارج":

(قال الفقي في التعليق: النظر والتأمل في آيات الله الكونية أوجب الواجبات فإنه قد ورد الأمر المشدد به في القرآن كثيراً جداً... الخ. والجواب :جعله النظر أوجب الواجبات هذه طريقة المتكلمين وأوجب الواجبات الإيمان... الخ).[3]

والحقيقة أن هذا الكلام يدل دلالة واضحة على أن قائله لم يطّلع على كتابات الفقي اطلاعاً شاملاً، ولم يسبر غورها وينصف في أحكامه عليها، والجواب على ما سبق :أن الفقي عادة حينما يتكلم في شيء يرى فيه حاجة مهمة يستحق التنبيه عليه فإنه يحيطه بهالة كبيرة وأوصاف كثيرة تثير في نفس القارئ اهتماماً أكبر حول ما يرمي إليه الشيخ.

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (٦/٧٣)

[2] انظر: مجموع الفتاوى (٢/٢)

[3] انظر: أضواء المسارج. عبد الكريم بن صالح الحميد ، ص٢٨ ، ط١، ١٤٢٠هـ.

فمثلاً: يقول: (لذلك كان أوجب ما يجب، وألزم ما يلزم لكل ناصح لنفسه أن يأخذ كل الأسباب ويسلك كل السبل المؤدية إلى تفقهه وفهمه لكلام الله ربه...)[1]

ويقول أيضاً: (ينبغي أن تعرف أن أهم ما يلزم، وأوجب ما يجب على الإنسان أن يحرص أشد الحرص على الوقوف عند أوامر الله الكونية وسننه).[2]

ويقول أيضاً: (لذلك أوجب واجب على كل من نصح لنفسه أن يعرف من هم الشياطين والسر في تسمية الله لهم شياطين...).[3]

إذاً الفقي قد تعوّد أن يقول مثل هذه اللفظة "أوجب واجب" ،وهو لا يقصد أن الإنسان لا يمكن أن يعرف ربه إلا من خلال النظر، لأنه يقرر كثيراً في كلامه أهمية الفطرة عند الإنسان، وأن الإنسان مفطور على الخير وحب الخير، والإيمان بوجود الله، ولكنه كان يسعى دائماً إلى تأكيد أن التفكر في الكون وما فيه، والنفس وما تنطوي عليه يزيد الإنسان إيماناً ويقيناً وثباتاً وهذا ما سوف أتطرق إليه إن شاء الله في ما يأتي من كلام.

أهم الوسائل والطرق التي سلكها الفقي للاستدلال على وجود الله:

أولاً: دلالة الفطرة:-

فطر الله سبحانه وتعالى الخلق على معرفته وتوحيده وعبادته كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.[4]

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٩ ، عدد "٩،١٠" ، ص١٢

[2] انظر: المصدر السابق، مجلد ٢١ ، عدد "٦،٧" ، ص١٢

[3] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٩ ، عدد "٩،١٠" ، ص١٨

[4] سورة الروم ، آية: (٣٠)

لذلك فالنفس قد جبلت على معرفة الله وركز ذلك في داخلها، فلا تسكن النفس و لا يَقر لها قرار إلا بهذا الإيمان الداخلي العميق.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (والإقرار بالله والاعتراف بوجود الصانع ثابت في الفطرة كما قرره الله في كتابه في مواضع... فلا يحتاج هذا إلى دليل بل هو أرسخ المعارف وأثبت العلوم وأصل الأصول).[1]

ولقد ذهب أهل العلم من سلفنا الصالح – رحمهم الله تعالى – إلى أن المراد بالفطرة هي الإسلام.

ويقول ابن عبد البر (... وهو المعروف عن عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، فقد أجمعوا في قول الله عز وجل ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾[2] على أنها دين الله الإسلام).[3]

أما دليلها من حديث رسول الله ﷺ :

فهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)[4] فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن المولود عندما يولد يكون على ملة الإسلام "الفطرة"، فالنبي ﷺ عندما عدد الانتماءات لم يقل "أو يمسلمانه" لأنه أصلاً لا يولد إلا على الإسلام.

ومن الأحاديث الأخرى التي تعضد هذا الجانب الحديث القدسي الذي يقول الله فيه: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عند دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم...)[5] فهذا الحديث كسابقه ؛ يقرر

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٧٢)

(2) سورة الروم، آية: (٣٠).

(3) انظر: التمهيد ابن عبد البر (١٨/٧٢)، ط١، ١٤١٢هـ، مكتبة السوادي.

(4) رواه البخاري – كتاب الجنائز، برقم ١٣٥٩/ ومسلم – كتاب القدر، برقم ٦٧٥٥

(5) رواه مسلم – كتاب الجنة ونعيمها، برقم ٧٢٠٧/ وأحمد برقم ١٧٤٨٤

سبحانه فيه أنه خلق الخلق حنفاء أي مستقيمين على الإسلام لا ميل فيهم ولا عوج – ولذلك سمى إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً – فكل مولود يولد مفطوراً على قبول الحق ، فإن تيسر له من يأخذ بيده إلى الدين الصحيح صار مهتدياً مؤمناً، وإن كانت الأخرى انجرف معها يهودية كانت أو نصرانية أو غير ذلك.

يقول الفقي: (... فقوله ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ إشارة منه تعالى إلى ما أبدع وركز في الناس من معرفته تعالى... وهي الجبلة والطبيعة التي خلق الله الإنسان وأبدعه وأحسن تصويره عليها، والتي يشير الله تعالى إليها في قوله ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ ﴾ [1] وفي قوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ﴾ [2]. وغير ذلك من الآيات الدالة على أن الله سبحانه أعطاه أكمل الخلق وأبدعه على صورة وهيئة حسنة معنوية ليقوم بما خلق له من عبادة ربه، وجمّله ظاهراً وباطناً، ليقوموا بما هيئوا له من الشرائع إنما هي لإعادة الناس إلى هذه الفطرة والجبلة بعد أن يجتالهم الشياطين عنها ويفسدها التقليد الأعمى والعصبية الحمقاء)[3]

ويقول كذلك: (إن الله – العليم الحكيم – ربنا ورب العالمين – قد سوى كل نفس، فألهمها فجورها وتقواها، في أصل الفطرة التي سواها عليها. ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ ﴾ [4] ، فالله ربنا سبحانه جعل للإنسان هدايتين، إحداهما: هداية الفطرة وهي التي أشار إليها في قوله ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [5] ونحوها في

---

[1] سورة الانفطار، آية: (٧،٨).
[2] سورة التين، آية: (٤)
[3] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٤ ، عدد ٤٤ ، ص١٦
[4] سورة طه ، آية: (٥٠)
[5] سورة النحل، آية: (٧٨)

القرآن كثير لا يحصى، وفي قوله في سورة النور "مثل نوره" الذي هو نور الفطرة مما نفخ الله في الإنسان من روحه يمده نور الهدى القرآني المنزل من عند الله فيكون نوراً على نور؛ فبهذه الفطرة يميز الإنسان ويعقل، ويدبر شئون نفسه ويسعى في جلب ما يعتقده الخير لها ، وفي وقايتها مما يعتقده ضراً وأذى لها، وهو بهذه الفطرة مهيأ للانتفاع بما جعل الله في نفسه، وفيما حوله من خلق السموات والأرض وما فيهما من آثار أسماء الرب سبحانه من آيات بينات وسنن لا تتحول ولا تتبدل، فإذا ما شكر هذه الفطرة وهدايتها وزكاها بدوام التفكر في الآيات الكونية والصبر والوقوف معها حتى تنكشف له حقائقها تمام الانكشاف، أحسن الانتفاع بها وبهدايتها إلى تلك الآيات والسنن الكونية فانفتح أمامه باب الهداية الثانية وهي هداية الوحي والرسالة)[1].

ويقول كذلك: (اعلم أن الله سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأقامه بهدي الفطرة على مفترق الطريقين، طريق الميمنة وطريق المشأمة، وخلق فيه من المشيئة والاختيار والإرادة والحب والكره وغيرها من الجبّلات والطبائع ما يسعى به إلى أي الطريقين... وقد فطر الله الإنسان على حبه الدائم للخير يسعى إليه... وأعطاه القوى والملكات والأسباب التي يحفظ بها المعروف والإحسان...).[2]

وكثيراً ما كان الفقي – رحمه الله –يذكر بالعداوة الكبرى بين الشيطان، والإنسان، ومن ذلك أن الشيطان يسعى دائماً إلى هذه الفطرة محاولاً تدميرها أو صرفها عن طريقها الصحيح يقول: (... فمن ثم كان أهم ما يبدأ الشيطان به وأقوى معول يحطم به قُوى الإنسان في كل زمان ليصرفه عن هدي الله وهدي رسوله: أن يجتاله عن هداية الفطرة ويسلخه عن آيات ربه البينة الواضحة في نفسه كما هي في كل إنسان... فيعمل على جذبه إلى

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١٩ ، عدد ٥،٦ ، ص٦

[2] انظر: المصدر نفسه ، ص ١٠

أرض البهيمة وأهوائها وشهواتها وظلماتها حتى يصده عن العلم والشرائع والهدى..)[1].

ولقد كان الفقي دائم التوجع لما يراه في واقعه من انتكاسه الفطر واعوجاج المنهج، فيرفع شكواه إلى ربه من حال أهل زمانه وكيف انتكست فطرهم وماذا فعلت بهم الشياطين فيقول: (لقد خلقت عبادك على الفطرة السليمة والعقول المستقيمة ولكن الشياطين اجتالتهم عن هذه الفطرة وقلبت أوضاع عقولهم ونكست قلوبهم فصدوهم عن الصراط السوي فكانوا في أسفل سافلين)[2].

فالإيمان بوجود الله أمر فطري مغروس في الفطر ولا ينكر ذلك إلا مكابر معاند، استسلم لشيطانه وأعمى بصره عن كل ما وضعه الله له من أسباب هداية وطرق الفلاح؛ من فطرة وقرآن وعقل وغير ذلك من النعم التي لو استعملها وأحسن الصلة بها لفاز في الدارين وسعد في الحالين، يقول الفقي: (ويجتمع نور الفطرة ونور التفكر في خلق الله، ونور الشكر لأنعم الله، ونور علم القرآن، ونور هدي الرسول ﷺ فيتم النور وتتم الاستقامة والاستواء فيمشي سوياً على صراط مستقيم)[3].

ثانياً: دليل التفكر في الخلق "الكون والنفس":

النظر في هذا الكون والتفكر فيه من الأمور التي حث عليها ربنا سبحانه وتعالى في كتابه وندب إليها كذلك رسولنا ﷺ، لأنها تزيد في الإيمان وتقوي اليقين وهي طريقة معتبرة عند أهل السنة والجماعة .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٩ ، عدد ١٠، ٩ ، ص١٣

[2] انظر: المصدر نفسه ، مجلد ٢ ، عدد ٣، ٢ ، ص١٣

[3] انظر: المصدر نفسه ، مجلد ٢١ ، عدد ١٠، ٩ ، ص١٦

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2]. وعندما نزل قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [3] قال عنها ﷺ "ويل لمن قرأها و لم يتدبرها"[4].

ولقد (أرشد الله عباده وأمرهم بالتفكر في هذا الكون الضخم العظيم الهائل وما أودعه الله من حكم وأسرار التفكر في مخلوقات الله العلوية والسفلية وما فيهما من عوالم لا يعلمها إلا الله جل وعلا، والتفكر في ذلك هو مما تحصل به البصيرة النافعة ويزيد به الإيمان، ويقوى به اليقين وتستقيم به الفطرة وحينئذ تنزاح عن القلب الظنون والشكوك والأوهام والشبهات الكاذبة والفهوم الخاطئة... هذا الكون هو من البراهين الدالة على وجود الله وعظمته لأنه لا يوجد مصنوع إلا وله صانع ولا مخلوق إلا وله خالق... هذا الكون وما فيه من ساكن ومتحرك وناطق وساكت قد أمر الله بالنظر إليه والتفكر فيه، وثمرات التفكر في مخلوقات الله هو الاعتراف والتصديق والإيمان بوجود الله وعظمته ومجده وكبريائه، ومن فوائد النظر وثمراته توحيد الله وإفراده بالعبودية؛ ثم العمل بشريعة الإسلام كلها ظاهراً وباطناً سراً وعلناً عقيدةً وأحكاماً وعبادة وأخلاقاً وفي كل شيء).[5]

---

[1] سورة البقرة، آية: (١٦٤)

[2] سورة الغاشية ، آية: (١٧-٢٠)

[3] سورة آل عمران ، آية: (١٩٠)

[4] الحديث صححه الشيخ الألباني في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان برقم ٥٢٣ – كتاب الصلاة، دار الصميعي، ط١، ١٤٢٢هـ وذكر ذلك في السلسلة الصحيحة برقم ٦٨.

[5] عقيدة المسلمين ، صالح بن إبراهيم البليهي ، ١٦٠/١

يقول الفقي – رحمه الله –: (إن الدعوة إلى التأمل والتفكر في الآيات الكونية وإلى الفهم والفقه في الآيات القرآنية دعوة عامة لجميع بني آدم من يوم بعث الله محمداً ﷺ إلى يوم الوقت المعلوم، وإن الله جعل في مكنة كل واحد من بني آدم وفي استطاعته أن يتدبر ويفقه الآيات القرآنية ويعرف مراد الرب سبحانه منها في العقيدة والعبادة والأدب والشرائع والقصص والأحكام؛ إذا هو ربى عقله ونماه وشكر نعمة الله عليه في هذا العقل والفهم بتدبر الآيات والسنة الكونية والتفكر في النعم والآلاء فيقدرها قدرها ويحسن الاستفادة والانتفاع بها)[1].

ويقول كذلك: (ففي قوله تعالى ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [2] أمران عظيمان جدير بالإنسان أن يتفهمهما جيد الفهم، أحدهما: أنه خلق ذلك عبرة لنا ومعونة بالنظر فيه والتأمل على تحقيق التوحيد والإخلاص في الذل والخضوع لبارئه ومبدعه، وإن ذلك – والذي نفسي بيده – لأجّل ما يهتم له العاقل ويقدره حق قدره ويصرف إليه عظيم جهده وعميق تفكيره وتأمله. والأمر الثاني: أنه سخّر لعباده كل ما في الأرض وأعده لنفعتهم وقضاء لباناتهم، وسد عوزهم وحاجاتهم حتى لا تكون لهم حجة في الانشغال عن ربهم وعبادته بما يصرفهم الشيطان به ويخدعهم من طعام أو شراب أو غير ذلك).[3]

والفقي – رحمه الله – قلّما يتكلم في التفسير إلا ويعرج إلى قضية التفكر والتأمل في الكون وما يجب لذلك وما لا يجب يقول – رحمه الله –: (وكم وجّه الله نظر الإنسان ودعاه إلى التأمل والتفكر ليعرف الله بآياته معرفة عن علم ويقين لا عن تقليد للآباء والأجداد، فإن المعرفة التقليدية جرته إلى الشرك بالله ... وقد دعا الله الناس إلى التفكر في آياته لعلهم يعقلون، فإن

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٢ ، عدد ٨ ، ص٣

[2] سورة البقرة، آية: (٢٩)

[3] انظر: المصدر نفسه، مجلد ٣ ، عدد ٢٨ ، ص١٠

العقل لا يستيقظ ولا يحيى إلا بتغذيته بغذائه النافع، ولا غذاء له إلا التفكر في آيات الله الكونية والتدبر لآياته القرآنية).[1]

ثم يقول – رحمه الله –: (إن الله الذي أبان لكم عن عظيم قدرته وواسع علمه وسابغ نعمائه ورحمته بما تلوتم من آيات القرآن الكريم وبما أشهدكم في أنفسكم وفي السموات والأرض من آيات بينات، ما يخلق هذا عبثاً ولا يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة لعبا؛ وما يريكم من آياته تسلية ولهواً، بل إن كل ذلك لتعرفوه حق معرفته وأنه عليم حكيم).[2]

ومن الأدلة التي اعتمد عليها الشيخ في إثبات وجود الله وهي داخلة فيما سبق ما يلي:

أ) دليل الإتقان (في الآفاق و في النفس):

من الأدلة المعتبرة في إثبات وجود الله سبحانه وتعالى دليل الإتقان في الكون، فإن الذي ينظر في هذا الوجود وفي هذا الخلق يجد تناسقاً عجيباً وخلقاً بديعاً فلا اختلال ولا تضاد ولا اختلاف ولا تناقض في هذا الخلق البديع. ولذلك لّما سئل الأعرابي عن دليل وجود الله قال "إن البعرة تدل على البعير وإن الأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحر ذو أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير".

فهذا التناسق وهذا الإتقان في الكون لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة أو أنه نشأ من العدم فالصناعة المتقنة لابد لها من متقن عالم حكيم قادر.

يقول الفقي – رحمه الله –: (وقد أصبحت كروية الأرض من البديهيات حيث إن هذه الكرة الأرضية العظيمة تسبح في الفضاء، وإنها تدور حول نفسها بسرعة عظيمة ينشأ عن هذه الدورة الليل والنهار، وتجري في دورتها هذه في

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ٦ ، عدد ٥،٦ ، ص٩

[2] انظر: المصدر نفسه، مجلد ٦ ، عدد ١٧،١٨ ، ص٧

مدار تبعد فيه تارة عن الشمس وتارة تقرب منها فينشأ عن بعدها وقربها في هذا المدار الفصول الأربع... وكروية الأرض ودورانها أعظم دليل على قدرة الله سبحانه الذي يمسكها بما يشاء في هذا الفضاء وييسر للإنسان الإقامة عليها ويمهدها له ويجعلها فراشاً وبساطاً يعيش عليها مطمئناً هادئاً لا يحس بحركتها ولا يزعجه دورانها السريع. وهذه الآية وأمثالها مما يذكر الله سبحانه فيها بسننه الكونية في خلق الأرض والسماء وما جعل فيهما من آيات قدرته وحكمته ورحمته... فإرساء الأرض بالجبال لضبط حركتها في دورانها السريع بهذا النظام المحكم الذي ذللها للإنسان ويسر له الحياة على هذه الكرة المعلقة في الفضاء العظيم... ذلك كله من أولى الدلائل على عظمة الرب القادر الحكيم الرحيم الذي سخر هذه الكرة وحفظها من الميدان في حركتها السريعة بتلك الجبال الرواسي).[1]

ويقول كذلك: (فانظر أيها الإنسان وتأمل شديد التأمل فيما لله القوي القاهر الحكيم اللطيف الخبير الرؤوف الرحيم عليك من فضل، كيف صورك في بطن أمك ثم لطف بك جنيناً يطعمك ويسقيك ويرزقك حيث لا يقدر أحد، ويحفظك ويرعاك ويهيئ لك أسباب الحياة في هذه الظلمات حيث لا يستطيع غيره ثم أخرجك من ذلك المكان الضيق ويسر خروجك بعجيب قدرته ثم عطف عليك قلبي أبويك فسهرت عليك الأم ليلاً طويلاً وأجرى لك اللبن في ثديها يحلله مما تتناوله من الأغذية الثقيلة ويجريه في قنواته ويصفيه ويمزجه بما يكون أصلح غذاء لمعدتك وأنفع طعام لإنماء جسمك وما زال يترقى بك شيئاً فشيئاً حتى قويت معدتك فأتت لك عندئذ الأسنان التي تطحن الطعام... فهل ينبغي ويليق بالإنسان العاقل الساعي إلى مصلحة نفسه ونفعها ونجاتها وجلب

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ٦، عدد ٥،٦، ص٦

الخير والسعادة لها أن يكفر بالرب الخالق القهار الذي هذا خلقه وهذا فضله وهذا ملكه)[1]

يقول شيخ الإسلام: (الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها وهي عقلية، فإن كون نفس الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن مولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول بل هذه يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر لكن الرسول أمر أن يستدل به ، ودل به، وبينه، واحتج به فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به وهو عقلي لأنه بالعقل تعرف صحته)[2].

إذا فدليل الإتقان من أوثق الأدلة وأرجحها على إثبات وجود الخالق سبحانه وهو دليل واضح سهل لا تعقيد فيه ولا غموض ويدخل تحته جوانب متعددة وعناصر مختلفة.

ولله في كل تحريكة	وتسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية	تدل على أنه واحد[3]

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4]

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٣ ، عدد ٢٨ ، ص٦،٧

[2] انظر: النبوات لابن تيمية ، ص٤٨، دار الفكر، ط١.

[3] انظر: تفسير ابن كثير (٥٨/١)

[4] سورة النمل ، آية: (٨٨)

ب) دليل السببية والحدوث:

إن الذي ينظر إلى هذا الكون الفسيح يجد أنه لا ينفك عن التغير والحدوث، فالكون لا تنفك عنه صفة التغيير مطلقاً؛ فهذا الليل والنهار فمنذ خلق الله الكون وهما يتتابعان، وهذا الظل يتغير في كل ساعة من نهار، وهذه البذرة التي يلقيها المزارع في حقله فما هي إلا أيام قليلة وتتغير حتى تصبح نبتة ثم ثمرة، وهذا السحاب الذي يتكون من بخار المياه ثم يصعد إلى طبقات الجو العليا فيتجمع ويسوقه الله إلى حيث يشاء ثم ينزل مطراً وهكذا دواليك، وغيرها من حوادث التغير التي تحدث في الكون، فهل يا ترى هل وقعت هذه التغيرات من ذاتها وهل يمكن للشيء أن يحدث نفسه؟ فالجواب أنه يستحيل عقلاً أو طبعاً ذلك، فكل حادث لابد له من محدث.

هذا الدليل الفطري يستدل به الناس عادة، لأن السببية "معرفة أن لكل شيء سببا" من الأمور العقلية الضرورية التي لابد للإنسان منها حتى يستطيع من خلالها اكتساب المعرفة.

والله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان جعل هذه العلوم – وهي أن لكل شيء سببا – من أولويات المعلومات لديه، ولأجل ذلك يستدل الله كثيراً في كتابه الكريم بهذا الدليل على منكري وجوده سبحانه وتعالى.

والآيات التي تذكر هذا الدليل وتشير إليه كثيرة ،كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ

وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ .[1]

ولقد استخدم هذا الدليل كثير من العلماء في مناظراتهم وخاصة مع الدهرية الذين ينكرون وجود الخالق المدبر لهذا الكون العظيم.

يقول الفقي – رحمه الله – : (يقول الله تبارك وتعالى للذين مكروا السيئات بأنفسهم وبغيرهم،أعميت أبصارهم عن رؤية ما خلق الله من جميع الأشياء ذات الأجسام والأحجام الماثلة القائمة أمام أبصارهم بتحول ظلالها، وانتقالها من جانب إلى جانب تدعوهم إلى النظر إليها والتأمل فيها، وإلى التفكر فيما أعطى ربها كل شيء منها من خصائص تناسب خلقها وما خلقت له.

وقد جعل ربنا سبحانه – لها وفيها – من التحول والتبدل الذي يظهر أثره أعظم ظهور بتفيؤ الظلال وتحولها بحركة ودوران الأرض حول نفسها مقابل الشمس – من المغرب في أول النهار إلى المشرق في آخره – وابتداء الظل وتقلصه بحسب انخفاض الشمس وارتفاعها في كبد السماء أو بحسب ارتفاع أحد جانبي الأرض وانخفاض الآخر بحركة الأرض ودورانها، وأن كل ذلك – من الأرض وما عليها والشمس وما حولها – متحرك يجري كل في فلكه، ويَسْبَحْ بحركة غاية في الدقة والانتظام والثبات ومحال أن يكون ذلك من نفسه، وأن تمسك الشمس نفسها وتدور في فلكها منذ خلقها الله إلى اليوم، وأن تكون الأرض هي التي تمسك نفسها في هذا الفضاء الهائل ... ومحال أن يمسك الإنسان والحيوان وكل ما على الأرض نفسه ويدبر شأنه في جميع أطواره في خلقه ومعايشه، فلابد أن يكون الله هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا... وما من شيء في هذا الوجود – من صامت وناطق،

---

[1] سورة النور ، آية: (٤٣-٤٥)

وساكن ومتحرك، حتى الإنسان نفسه بما ركب فيه الرب وأعطاه من جبّلات وطبائع طبع عليها وقهره بها – إلا وهو ينادي بلسان حاله: إن الله عليم حكيم، سميع بصير، رقيب شهيد، قوي عزيز، قاهر فوق عباده، لطيف خبير، حي قيوم ... ولكن أكثر الناس يعمى ويصمُّ عن كل ذلك، فلا يفقهون تسبيحهم ولو آمنوا بالله وسننه وآياته في أنفسهم وفي الأفاق وأيقظوا عقولهم وعادوا إلى فطرتهم السليمة وتفكروا في أنفسهم وفي الآفاق لفقهوا تسبيحها بحمد ربها وآمنوا بأنه سبحانه رب الجميع، والجميع خلقه وعباده، ولاستقاموا على مقتضى ذلك).[1]

أخيراً:

إن الإنسان متى ما كان منصفاً رجّاعاً إلى الحق؛ قاصداً إياه ولا شيء غيره، فإنه سوف تتضح له حقائق الربوبية الحقة والإيمان الحق بكل تجرد وإنصاف في دلائل هذا الكون الفسيح.

يقول الفقي – رحمه الله – : (فإذا نظروا في كتاب الوجود الذي ما فرط الله فيه من شيء، وملأه ببدائع آثار قدرته وبليغ إتقانه لخلق كل شيء، وحكمته فيه وتأملوا في خلق السموات وما زينها به من كواكب، ووضع من نجوم ثواقب جعلها علامات لمن يسير في البر والبحر... وينظر من آيات ربه في البر والبحر وعجائب صنع الله فيما بث من كل دابة... فمن يعقل هذا الخلق حين يقرأه في كتاب الكون يرى في كل سطر من سطوره آيات تناديه؛ إن من أبدع هذا الخلق وأتقن صنعه وتفضل فسخره هو الذي ينبغي شكره بإخلاص العبادة له وحده.)[2]

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١٧، عدد (١٢،١١)، ص٦.

[2] انظر: المصدر السابق، مجلد ٧، عدد ٩، ص٣

الفصل الثاني

توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثاني: منهج الفقي في توحيد الأسماء والصفات

المبحث الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في كتاب الله الكريم وفي سنة رسوله المصطفى ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والتعريف يتضمن إثباتاً ونفياً، فالإثبات هو أن نثبت لله سبحانه كل الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة إثباتاً يليق بجلاله وعظمته وكبريائه.

والنفي: أن ننفي ما نفاه الله عن نفسه؛ وما نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات وأسماء لا تليق به.

والعمدة في توحيد الأسماء والصفات هو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [2].

(وهذا القسم من التوحيد هو الذي ضلّت فيه طائفة من الأمة وانقسموا فيه إلى فرق متعددة، فمنهم من سلك مسلك التعطيل فعطل ونفى الصفات زاعماً أنه مُنزِّه لله وقد ضل، لأن المنزه حقيقة هو الذي ينفي عنه صفات النقص والعيب وينزه كلامه من أن يكون تعمية وتضليلاً، ومنهم من سلك مسلك التمثيل زاعماً بأنه محقق لما وصف الله به نفسه، وقد ضلوا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره).[3]

وهذا النوع من التوحيد له أهمية عظيمة في الدين إذ لابد من توفره ليتم الإيمان عند العبد وتستقيم حياته وتطمئن نفسه ويعرف خالقه وموجده، لأن العبد حينما يعرف أن الله هو الخلاق، الرزاق، المحيي المميت، الضار النافع،

---

(1) سورة الشورى ، آية: (١١)

(2) سورة طه ، آية: (١١٠)

(3) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١٢/١)

الأول والآخر، يستقر في نفسه أنه من كانت هذه أوصافه فهو الذي يستحق أن تصرف له العبادة ولا يشرك به، وهو أولى من يُعبد وأجل من يُرهب، ولـــذلك قال أهل العلم إن توحيد الأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الألوهية.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: (فعلم العبد بتفرد الرب تعــالى بالضــر والنفع والعطاء والمنع، والخلق والرزق والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً. وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمــه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنــه يعلــم الســر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحــه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح... فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات).[1]

ويقول الفقي – رحمه الله – مقرراً هذا المعنى: (إن الله تعالى قرر توحيــد الأسماء والصفات وما يلزمه أشد من توحيد العبادة والإلهية في كثير من الآيات، معلناً بذلك أن من المستحيل أن يعبد الله العبادة الخالصة الصادقة إلا مَنْ عرفــه بأسمائه وصفاته وسننه وآياته، وأنه الرب القاهر الرحيم الحكيم الــذي يســجد ويذل ويسلم وينقاد له كل ما في السموات وما في الأرض، وأنه الذي يملك كل ذلك وحده وهو الذي يعطي كل ذلك وحده ويدبر كل ذلك وحده).[2]

ويقول كذلك: (والرضى إنما يكون عن علم صــحيح بــالله وأسمائــه وصفاته وسننه وآياته فهذا العلم هو الذي يثمر إيماناً صادقاً وإذعاناً وانقياداً تاماً وإسلاماً خالصاً لله رب العالمين).[3]

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة (٢/٥١٠)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) انظر: الهدى النبوي، مجلد ٦، عدد ١٥، ص٣

(3) انظر: المصدر نفسه، مجلد ٢١، عدد (٢-٧)، ص٥

ثم يقول: (فاعلم أن أقوى حصن لك: هو علمك بالله وأسمائه وصفاته وتجلياته عليك بهذه الأسماء والصفات، واليقين الصادق بأنه ربك وأنت عبده الضارع إليه، الواثق به، المعتمد عليه، الملقي نفسك على بابه).[1]

وهكذا كلما تمكن هذا النوع في القلب زاد تعظيماً لله وزاد عبادةً وذلاً وانقيادا له.

على أنه ينبغي أن تعلم الأسس التي يقوم عليها الإيمان بالأسماء والصفات والتي متى ما نقص منها شيء فقد انحرف هذا النوع عن المنهج السلفي الصحيح. وهذه الأسس هي:

١) الإثبات للأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة.
٢) تنزيه الله سبحانه وتعالى عن المماثلة والمشابهة لخلقه.
٣) قطع الأطماع عن معرفة حقيقة ذاته العلية وكنه أسمائه وصفاته.

ولقد أشار الفقي – رحمه الله – إلى هذه الأسس كثيراً ، فعندما تحدث عن نفخ الروح قال: (لكنه نفخ لا يعلم حقيقته إلا الله الذي وصف نفسه به، وأخبر عنه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ [2]، وهو ككل صفات ربنا التي وصف بها ذاته العلية، هي صفات حقيقية على المعنى القرآني العربي المبين وهي على ما يليق به سبحانه لا نعرف ولن نعرف ولن يعرف أحد من الإنس أو الجن ولا غير الإنس والجن كنهها ولا كيفية اتصاف ربنا بها، ولكننا نؤمن بها على ما أثبتها الله ورسوله، لا نمثلها ولا نأولها بصرف الألفاظ عن معانيها العربية، ولا نحاول إدخالها تحت معقولنا الذي لا سبيل له إلا من طريق الحواس، وسبحان ربنا أن تدركه حاسة من حواسنا... فإن لحواسنا وعقولنا حداً، من البغي والظلم أن نحاول تعديه، بل من الشر والفساد علينا في شؤوننا كلها أن نحاول مجاوزته وتعديه والله يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [3]) [4].

---

[1] انظر: المصدر السابق، مجلد ١٩ ، عدد ١٠،٩ ، ص١١
[2] سورة النساء، آية: (١٢٢).
[3] سورة الشورى، آية: (١١).
[4] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١٣ ، عدد ١ ، ص٤

المبحث الثاني

منهج الفقي في توحيد الأسماء والصفات

أولاً: مذهب السلف في توحيد الأسماء والصفات.

مذهب السلف هو الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه ربنا سبحانه عن نفسه ونفاه رسوله ﷺ عن ربه من الصفات التي لا تليق به سبحانه. فصفات الله صفات حقيقية لا مجاز فيها وهي على ما يليق بالله جلَّ في علاه.

وهو مذهب وسط بين طرفين متناقضين ألا وهما المعطلة والمشبهة، فالأولى: غلت في التنزيه حتى أوصلها ذلك إلى نفي الأسماء والصفات كلها أو بعضها ويأتي في مقدمتهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم . والفئة الثانية: هم المشبهة، وهم كذلك بالغوا في الإثبات حتى شبهوا الخالق بالمخلوق كالكرامية وغلاة الرافضة.

يقول أبوبكر ابن خزيمة – رحمه الله –: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه؛ نقر بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا من غير تشبيه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين. وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدماً كما قال المبطلون لأن ما لا صفة له عدم. تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسانه نبيه محمد ﷺ)[1].

---

[1] انظر: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة (٢٦/١)، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الرشد للنشر.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما يثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد: لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ﴾ [2]. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [3] ففي قوله "لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ" رد للتشبيه والتمثيل وفي قوله "وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ" رد للإلحاد والتعطيل).[4]

ثانياً: موافقة الفقي لمذهب السلف

لقد سلك الفقي – رحمه الله – مذهب السلف جملةً وتفصيلا، فهو لا يحيد عنه ولا يرضى له بديلاً كما ذكر هذا في كثير من كتاباته فهو يقول: (وعقيدتنا التي ندين الله بها: أن نؤمن بالله كما وصف نفسه وكما وصفه رسوله فيما ثبت عنه، لا نزيد على ذلك كلمة، ولا ننقص منه حرفاً. بدون

---

[1] سورة الأعراف ، آية: (١٨٠)

[2] سورة فصلت ، آية: (٤٠)

[3] سورة الشورى، آية: (١١).

[4] انظر: مجموع الفتاوى (٣/٤،٣)، وانظر: الأجوبة المرضية لتقريب التدمرية ، بلال حبيشي الجزائري، ص١٨، ط١، ١٤١٧هـ، دار هجر، انظر: الفتوى الحموية الكبرى ، تحقيق/ حمد بن عبد المحسن التويجري ، ص٢٧١-٢٧٢، ط١، ١٤١٩هـ، دار الصميعي.

تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل فإن الله وصفاته وأسماءه فوق مدارك العقول والفهوم البشرية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1] ونكره كثرة الجدل في ذلك بل نقرأ القرآن والحديث ونفهمهما ونؤمن بهما على ما يليق بالله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] ... فما وصف الله نفسه بهذه الصفات لنخوض فيها بالجدل بعقولنا القاصرة فيجرنا إلى التزامات خاطئة تبعد بنا عن حقيقة التوحيد اللائق بالله)[3].

ويقول كذلك: (إني أعوذ بالله أن أقول على الله ما لا أعلم أو أقول في الله ما لم يقل الله ولا رسوله الصادق ﷺ ، وأبرأ إلى الله من كل قول يشم منه رائحة التشبيه والتجسيم – سبحان ربي . سبحان ربي – سبحان ربي وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. وأقول وأجدد القول في صراحة، الله يعلم مكانها من نفسي ومن قلبي: أؤمن بما وصف الله به نفسه العلية، وما وصفه به رسوله الصادق الهادي محمد المهدي ﷺ على معناه العربي الذي يفهم بلسان القرآن العربي المبين، على ما يليق بالله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأبرأ إلى الله ممن يقول: "كيف" وأبرأ إلى الله ممن يؤول في هذه الصفات ويقول فيها بعقله ورأيه ويقيسها بالمشهود من صفات الخلق، وأبرأ إلى الله ممن يطيل الجدل واللجج فيها فإنها مزال عسيرة الإقالة، والكبوة فيها إلى الهاوية، ونسأل الله السلامة والعافية)[4].

---

[1] سورة الأنعام، آية: (١٠٣).

[2] سورة الشورى، آية: (١١).

[3] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٨ ، عدد ٩ ، عدد ٣٤

[4] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٣ ، عدد ٣٠ ، ص٢٧+٢٨

ثم يصف الفقي حال الصحابة الكرام – داعياً إلى التأسي بهم – كيف آمنوا بما ورد في الكتاب والسنة و لم يثبت عنهم أنهم سألوا عن صفة من هذه الصفات أو لفظ أو غير ذلك من الأمور الغيبية المذكورة في كتاب الله وسكت عنها الرسول عليه الصلاة والسلام. فما جاءهم قبلوه وما خفي عليهم آمنوا به كما جاء من غير أن يعملوا فيه عقولهم بلوازم ومقتضيات ما أنزل الله بها من سلطان فيقول: (وما أعظم رشد الصحابة وأهداهم للحكمة، وأنصحهم لأنفسهم وللأمة، حين تلا عليهم النبي ﷺ هذا القرآن العربي المبين فتلقته قلوبهم بشوق المريض إلى دوائه الذي يعلم أن لا دواء غيره ... و لم يسأل أحد منهم رسول الله ﷺ : كيف؟ ولا لماذا؟ لأنهم آمنوا أنه هدى من ربهم ورحمة وبشرى للمؤمنين، ففهموه وعقلوه وآمنوا به أصدق الإيمان، وعرفوا منه ربهم وإلههم بما وصف نفسه سبحانه)[1].

ويقول كذلك: (... فلم يعقل أن أحداً منهم سأل رسول الله ﷺ كيف؟ ولماذا؟ ويلزم الجهة، ويلزم التحيز، ويلزم المكان، ويلزم كذا وكذا، ... كانوا يوردون قلوبهم موارد القرآن والسنة العذبة، ويحرّمون عليها غيرهما، فلذلك كانوا يؤمنون بالكتاب كله، لا يضربون بعضه ببعض، ولا يفرقون بين آية وآية، فهداهم الله إلى الإيمان به وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى على ما يليق بجلاله وعظمته بلا تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل).[2]

ثم إن الفقي وضع قاعدة تبين الفرق بين المسلم السلفي والمسلم المبتدع في القضايا الغيبية فيقول: (إن الفرق بين السلفي المسلم وبين المبتدع المتمرد: هو أن السلفي المسلم: يؤمن بالغيب كما جاء به الخبر عن الله وعن رسول الله ﷺ لا دخل لعقله فيه أبداً إلا على أن يفهم النص كما ورد، ولا يدخل

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ١٣ ، عدد ١ ، ص٥

[2] انظر: المصدر نفسه ، مجلد ٥ ، عدد ٢٣،٢٤ ، ص٧

فيه برأي أو قياس، ولا زيادة ولا نقصان، قائلاً بقلبه ولسانه: آمنت به كما أخبر الله وكما أخبر رسوله، ولا يورد عليه الشبه والاعتراضات، ولا اللوازم التي يوحيها شياطين الجن إلى شياطين الإنس ويروجونها بالقول المزخرف. أما المبتدع المتمرد: فإنه يأبى الإسلام والتسليم ويذهب متخبطاً برأيه الفاسد وعقله الكاسد قائلاً على الله ما لم يقل، محاولاً أن يجعل الغيب شاهداً، وهيهات هيهات لما يحاولون...).[1]

ثالثاً: موقف الفقي من المخالفين في الأسماء والصفات:

خاض الفقي – رحمه الله – كثيراً من المنازلات والمصادمات مع أرباب التعطيل ، حيث كان ينافح عن عقيدة التوحيد عامة وعن توحيد الأسماء والصفات خاصة على جبهات متعددة، ظهرت آثار هذه المصادمات في ثنايا تفسيره حيث صرح بها حيناً وألمح عنها حيناً آخر.

فكثيراً ما تصدى– رحمه الله – للذين يؤولون الصفات ويتجرءون على العبث بمعاني القرآن ونصوصه، يقول الفقي – رحمه الله – (ومن عجب أن يزعم زاعم أنه موقن بإعجاز هذا القرآن ثم يذهب فيفصم عراه وينقض نظامه، ويضع كلمة من عنده مكان كلمة نظمها الله واختارها العليم الخبير. فتراه مثلاً يقول ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [2] فيفض ذلك الزاعم هذا النظم ويرفع كلمة "يد" ويضع مكانها "قدرة" كأن الله قد بحث عنها فلم يجدها حتى وجدها ذلك المسكين ، أو كأن الله لم يكن يعلم ما يليق بذاته العلية من صفات، وذلك المسكين أعلم بالله من الله) [3].

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٤ ، عدد ٤ ، ص٦

[2] سورة الفتح، آية: (١٠).

[3] انظر: الهدي النبوي، مجلد ٣ ، عدد ٢٥ ، ص١١

ويقول الفقي – رحمه الله –: (وطوائف أخرى حَرِجت صدورهم بتلك الأخبار الصادقة عن الغيب الأعظم من صفات الله العلية وأسمائه الحسنى، فذهبوا يردوها رداً ويطعنون في صدورها وأعجازها بالتحريف والتأويل والتبديل والتعطيل ويقولون: لا ينبغي أن يكون الله موصوفاً بتلك الصفات التي أخبر هو جل شأنه بها عن نفسه، وبلغها إلينا رسوله ﷺ، ولابد أن ننزهه عنها، إنها غير لائقة به.

وما أشنع تلك المقالة وأقبحها – أخزى الله كل من يخطرها على باله مستحسناً لها أو مدافعا عنها – فإنها تتضمن تكذيب الله في الأخبار عما ارتضاه لنفسه العلية من الصفات، وتتضمن أن أولئك الخسرة العمي الأبصار والبصائر أعرف بالله وبصفاته منه سبحانه، وأن القرآن كاذب في الإخبار عن الله وصفاته وأن الرسول ﷺ لم يخبر عن الله الأخبار الصحيحة الصادقة، فبعداً لهذه المقالة وقبحاً لها ولأهلها وللكتب التي تنشرها وتروجها باسم التوحيد والتنزيه).[1]

وقد رد – رحمه الله – أيضاً على القائلين بخلق القرآن وشنع عليهم كثيراً، حيث يقول الفقي – رحمه الله –: (فإن أنصار السنة ما قامت إلا لإرجاع الناس إلى هدى القرآن؛ كلام الله المنزل من عنده، وإلى هدى الرسول ﷺ ... نعم قامت أنصار السنة تجدد للناس دينهم من كتاب الله ومن سنة رسول الله، ولن يتحقق ذلك التجديد إلا بأن يؤمن الناس إيماناً صادقاً بأن هذا القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، لأن الله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله، ولا قاله أحد من أصحابه ولا سبيل له إلى مثل هذا الحكم، وتعلن بإلحاد وزندقة من يقول: إن القرآن مخلوق. وتبرأ منه)[2].

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١، عدد ١١، ص٧

[2] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١٦، عدد ١٠، ص٢٣

وقد ذكر – رحمه الله – بعض أسباب التعطيل وأرجائها إلى تقديم العقل على النقد وتقليد الأكابر والجهل بالكتاب والسنة، يقول الفقي – رحمه الله –: (هناك قوم لعب شيطان الغرور بهم وبعقولهم، وفتنهم أشد الفتنة، فتمردوا على كل شيء، واستكبروا وعَتَوا عُتُواً كبيراً، وزعموا أن كل شيء لا يدرك بالحواس فهو خيال مهما كان المخبر به، ومهما كانت الأخبار عنه واضحة في أنه حقائق ثابتة، وجرهم ذلك إلى إنكار الجنة والنار والدار الآخرة وإلى غير ذلك.

وإنما أتى ذلك هؤلاء من جهلهم المركب، وعدم اتصالهم بالإلهيات اتصالاً يعرّفهم قدر أنفسهم ويدلهم إلى مكانهم الحقير من هذا الوجود الذي لا يدرك عظمته إلا خالقه. والعجب أنهم يصدقون من يخبرهم عن بلاد وحوادث لم تقع تحت بصرهم ثم يكابرون فطرهم ويكذبون ما يخبر الله به ورسوله ﷺ عن الآخرة وما فيها عن الله وصفاته)[1].

ويقول الفقي – رحمه الله –: (ومن الناس من أعماه الهوى وحب الظهور، واستولت عليه شهوة الرياسة المجرد عن مؤهلاتها، فذهب يقلد من قسا قلبه وتحجرت نفسه ففسق عن سنة ربه وتمرد على الكون وخالقه، فزعم أنه ليس وراء حسه شيء يُعلم، وكل ما لم يدركه العقل فهو عدم في عدم، فكذب الغيب وما يحويه من علوم وعوالم وأكوان.

وقد يكون هذا إسلامي الصورة والنشأة، فلا يجد من نفسه قوة على إعلان كفره وزندقته وهي واضحة مكشوفة، فيذهب يكذب القرآن في عالم الجن وعالم الملائكة ومعجزات الأنبياء وأمثالها مما أخبر به القرآن؛ وأظلم قلب الزنديق وفهمه عن أن يفهم ذلك على ما أخبر به على الوجه الذي يعلمه الله ويريده جل شأنه)[2].

---

[1] انظر: المصدر نفسه، مجلد ١، عدد ١١، ص٦

[2] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١، عدد ١١، ص٨

أما أصحاب وحدة الوجود فلقد كان للفقي معهم مواقف كثيرة فضح فيها عقائدهم وسفه عقولهم المنحرفة، يقول الفقي – رحمه الله –: (ولقد سووا الله – تبارك وتعالى – بكل شيء إذ جعلوه في كل شيء وكل شيء هو، وهو كل شيء – وما هذا الوجود – بطيبه وخبيثه وحشراته ودوابه وأشجاره وأحجاره وترابه وهوائه – إلا أسماؤه وصفاته ومظهره ومجلاه ... سبحان ربنا وتعالى عما يقولون علواً كبيرا – فالجميع ينعق بأن ربهم موجود في كل مكان وفي كل الوجود، وأن معنى "لا إله إلا الله" لا موجود في كل الوجود إلا الله... وما نزل بهم وليهم الشيطان إلى هذا الحضيض الأسفل من الجاهلية والوثنية إلا بعد أن زين لهم أن يجعلوا لله ما يكرهون من الظلم والمحاباة والإساءة في الخلق؛ والكذب في الأخبار والحيف في الأحكام ... إنهم بذلك يصفون الله بأنه ليس حكيماً ولا خبيراً ولا عليماً ولا قديراً وإلا فما الذي يحول بينهم وبين شرائع الله الرشيدة الحكيمة المخرجة من كل الظلمات والهادية إلى الأمن من كل المخاوف والمجتثة لكل أسباب الشرور).[1]

أخيرًا:

فلقد تعرض الشيخ/ الفقي – رحمه الله – إلى حملة شعواء من أرباب التعطيل والمؤولة في زمانه بسبب تشنيعه عليهم وفضح آرائهم وهتك أستارهم المتشبعة بالتعطيل والتأويل. ولذلك فقد تصدوا له على صفحات جرائدهم ومؤسساتهم الإعلامية، وأقاموا عليه حربا شعواء و حملة ضروس.

يقول أحدهم بعد أن ذكر نصوصاً تدل على فكره المنحرف: (... وهو – مع هذا – نص صريح في الرد على مثل ذلك الوقح الذي خط بيده الأثيمة على مجلته السقيمة "وكتبه الفقير إلى عفو الله المستوي بذاته فوق عرشه"

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ١٧ ، عدد ٩ ، ص٥

راجع عدد كذا، وص كذا، من الهدى الشيطاني لسنته الحالية، فما أقبحها من كلمة قطع الله يد ورجل من قالها) [1].

ومن الذين حملوا عليه أيضاً محمد زاهد الكوثري في مجلة الإسلام نفسها حيث كان يرمي الفقي بالكفر والتجسيم كما كان يقول ذلك أيضاً في حق شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –.

ولقد سعى الكوثري عند عالم من علماء الأزهر وهو الشيخ/ محمد سرور الزنكلوني – الذي كان يميل كثيراً إلى التأويل – يستعديه على الفقي الذي كان يزوره ويحضر بعض مجالسه فأصدر الزنكلوني خطاباً نشر في مجلة الإسلام وجهه إلى صديقه الكوثري تناول فيه الفقي بأقذع السباب والشتائم ووصفه بالسذاجة، والاتجار بالدين، وأنه إمعة يتّبع أصحاب الربح المالي ،وبالنفاق والتذبذب الخلقي... الخ) [2].

ويقول آخر: (... إن حامد الفقي يرى أن علماء الأزهر خاصة والمسلمين عامة كفارٌ مكذبون بالكتاب والسنة إلى أن يثبتوا لخالق الأجسام الجسمية، ويهندسوه بعقولهم على نحو ما ذهب إليه الدارمي وحامد وشيعته إذ وصفوا الله بأنه جسم ذو أبعاد وأبعاض، وأنه يُحس بالحواس كلها، وأنه يتنقل ويتحرك ويذهب ويجئ وينزل ويرتفع ويثقل على العرش ويستوي بذاته عليه استواء جلوس واستقرار، حتى دفعت الحماقة والقحة والاستخفاف بالأزهر وعلمائه وبمصر الإسلامية كلها أن يكتب في ذيل بعض مقالاته في التجسيم عبارة ((كتبه محمد حامد الفقي المفتقر إلى عفو ربه المستوي بذاته على عرشه)) وهو بعد هذا يسمي في صحيفته المترهين النافين الجسمية والمثلية عن الله تعالى بنفاة وجود الله تعالى) [3] .

---

[1] انظر: مجلة الإسلام ، عدد ٣٣ ، سنة ١٣٥٨هـ ، ص٢١

[2] انظر: المصدرنفسه ، ص ٢٢-٢٥

[3] انظر: مجلة الإسلام ، سنة ١٣٥٨هـ ، عدد ٣٥ ، ص٨ / بقلم يوسف الدجوي

والكلام السابق فيه من التجني والكذب الشيء الكثير لأن هذا هو حال أهل البدع والانحرافات فلا يجدون أمامهم إلا مثل هذا الأسلوب العقيم في الرد على مخالفيهم.

أما الفقي فلقد رد عليهم بأسلوب مؤدب غاية في الأدب والإنصاف، صدّره بقوله: (وأن تعفوا أقرب للتقوى – ولا تنسوا الفضل بينكم)[1] معلناً تبرؤه من التجسيم والتشبيه لله سبحانه وتعالى داعيا إياهم للاحتكام للكتاب والسنة لا للهوى والعقل والتقليد.

يقول الفقي: (نسأل الله سبحانه أن يحشرنا مع أولئك الأئمة المهتدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، على هذه العقيدة القرآنية المحمدية السلفية التي أوغرت صدر الشيطان وحزبه، وتأبى عليهم عداوتهم لله ورسوله إلا أن يكذبوا الله ورسوله ثم يرمون من آمن بالله على ما قال الله وقال رسوله، يرمونه بقالة السوء، ويتهمونه بالتجسيم والتشبيه والله يعلم أننا من ذلك بريئون وأننا لا نقول إلا ما قال الله على ما يليق بجلال الله وكمال الله الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[2].

وهكذا يظهر جلياً لنا كيف وقف الفقي – رحمه الله – في وجه أهل التعطيل والتأويل ومدى ما تحمل من مضايقات واتهامات، ومع ذلك ثبت في وجه جميع التيارات المحاربة له وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ٣، عدد ٣٠، ص٢١

[2] انظر: المصدرنفسه، مجلد ٣، عدد ٢٨، ص١٨

رابعاً: جملة من الصفات التي أثبتها الفقي – رحمه الله – :

قسّم أهل العلم الصفات إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات فعلية، يقول الشيخ/ محمد خليل هراس: (دلت النصوص القرآنية على أن صفات الباري قسمان:

١. **صفات ذاتية:** لا تنفك عنها الذات بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته وذلك كصفات: الحياة والعلم والقدرة والقوة ... الخ.
٢. **صفات فعلية:** تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال؛ وإن كان هو لم يزل موصوفاً بها بمعنى أن نوعها قديم وأفرادها حادثة ... فعلى المؤمن الإيمان بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء على العرش والمجيء والإتيان والضحك والغضب والخلق والرزق ... الخ).[1]

(وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كصفة الكلام فإنه باعتبار أصل الصفة ذاتية لأنه سبحانه لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية لأن الكلام متعلق بالمشيئة).[2]

ولقد سلك الفقي – رحمه الله – في جميع الصفات منهج السلف كما ذكرت هذا سابقاً. وسوف أذكر بعضاً من الصفات التي ذكرها وتعرّض لها في كتاباته لا على سبيل الإحصاء والشمول بل بقصد المثل والإثبات ويقاس عليها ما عداها من الصفات ما دام المنهج واحدًا والفكر واحدًا وكما يقال يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

---

[1] انظر: شرح العقيدة الواسطية ، د/ محمد خليل هراس ، ص١٥٩ ، ط١، ١٤١١هـ، دار الهجرة.

[2] انظر: شرح لمعة الاعتقاد ، شرح ابن عثيمين ، ص٢٥ ، ط٣، ١٤١٢هـ، مكتبة طبرية.

أولاً: صفة العلو

هذه الصفة من الصفات الذاتية والتي لا تنفك عن الله سبحانه وهي ثابتة بالسمع والعقل والفطرة .

أولاً: بالسمع:

فقد وردت الآيات الكريمة والأحاديث الكثيرة على إثبات هذه الصفة. قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ .[3]

والآيات الدالة على علو الله كثيرة في كتاب الله نكتفي منها بما سبق.

وأما الأحاديث الواردة في صفة العلو فهي كثيرة بلغت حد التواتر، حيث ألّف الإمام الذهبي كتاب "العلو للعلي العظيم" وقد أورد فيه الأخبار والآثار التي جاءت في هذه الصفة حيث ذكر أها بلغت حد التواتر فلا مجال للتشكيك فيها.

وأذكر بعضاً من الأحاديث التي تثبت هذه الصفة:-

١. حديث الجارية التي سألها الرسول ﷺ : أين الله قالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة".[4]
٢. حديث أبي سعيد الخدري: قال ﷺ "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء".[5]
٣. حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإنها يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل".[6]

---

[1] سورة فاطر ، آية: (١٠)
[2] سورة الملك ، آية: (١٦)
[3] سورة غافر ، آية: (١٢)
[4] رواه مسلم -كتاب المساجد ومواضع الصلاة،برقم ١١٩٩/ والنسائي -كتاب السهو ،برقم ١٢١٨.
[5] رواه البخاري -كتاب المغازي ،برقم ٤٣٥١ /ومسلم -كتاب الزكاة ،برقم ٢٤٥٣،
[6] رواه البخاري-كتاب التوحيد،برقم ٧٤٣٠/ ومسلم -كتاب الزكاة،برقم ٢٣٤٢.

والأحاديث في هذا كثيرة:

قال ابن القيم: (أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله فوق سماواته بائن من خلقه).[1]

أما دلالة العقل فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وهو واجب بالعقل الصريح والفطرة الإنسانية الصحيحة. وهو أن يقال: كان الله ولا شيء معه ثم خلق العالم، فلا يخلو إما أن يكون خلقه في نفسه وانفصل عنه وهذا محال ... وإما أن يكون خلقه خارجاً عنه ثم دخل فيه وهذا محال أيضاً، وهاتان لا نزاع فيهما بين أحد المسلمين، وأما أن يكون خلقه خارجاً عن نفسه الكريمة و لم يحل فيها فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره ولا يليق بالله إلا هو)[2].

وكذلك فالعلو صفة كمال كما أن السفل صفة نقص والله سبحانه لا يوصف إلا بصفات الكمال المطلق وينزه ويجل عن صفات النقص فيثبت له هذه الصفة.

والفطرة كذلك تدل على علو الله عز وجل فإنه ما من أحد يدعو ربه إلا رفع يده إلى السماء وشخص ببصره إلى الأعلى يستوي في ذلك الجميع.

ولذلك قال الهمداني للجويني : (أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا، فلطم أبو المعالي على رأسه وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني)[3].

وقد أثبت الفقي – رحمه الله – هذه الصفة في كثير من كلامه فمن ذلك: أنه جاءته رسالة إبَّانَ إشرافه على مجلة الإصلاح يسأل صاحبها من

---

[1] انظر: مختصر الصواعق المرسلة . ابن الموصلي، ص٣٦١

[2] انظر: مجموع الفتاوى (١٥٢/٥)

[3] انظر: شرح الطحاوية (٣٩٠/٢)

صفة العلو والفوقية وباقي صفات الله تعالى فقال الشيخ: (... فإن هذه المسئلة قد طال فيها النـــزاع والخصام قديماً وحديثاً مع أنها في الحقيقة واضحة جلية لا يليق أن تقع فيها هذه الاختلافات، ولكن ما جر إلى الخلاف والنـــزاع فيها إلا السلوك إلى العلم من طريق غير صحيح ولا قويم، والنظر إليه بنظر أعمته فلسفة اليونان وتمويهات المقلدين التي حجبت نور الحق ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [1] وإنه والحق يقال – قد كانت عقيدة التحريف والتعطيل في صفات الله مستولية على قلبي يوم كنت أعتقد أن التوحيد هو ما في مثل كتاب السنوسية والجوهرة و العقائد النسفية والمواقف والمطالع وما إليها... ولقد كان لهذه الكتب أثر في النفس شديد يجعل من الصعب جداً اعتقاد حقائق ما وصف الله به نفسه، بل يتصور الإنسان أنه يكاد يصعد إلى السماء ولا يكاد يتصور اعتقاد صفة العلو لله والفوقية والوجه ونحوها مما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ وعلماء السلف الذين هم أعلم الأمة وأعقلها وأهداها إلى الله سبيلا...).

ثم قال الشيخ: (وإننا ننقل كلام السـلف الصـالح الـذي هـم أولى بالجواب والاتباع منا...) ثم ذكر كلامهم في الصفات عامة وفي العلو خاصـة ونشر ذلك في أكثر من عدد.[2]

وقال الفقي في موضع آخر: (النـزول والإنزال والتنـزيل إنما يكون من العلو إلى السفل، وقد أخبر الله عن القرآن بذلك فيما لا يحصى من الآيات ويعد هذا دليلاً واضحاً: أنه من عند الله، وأن الله هو العلي العظيم كما وصف نفسه بذلك في آي الذكر الحكيم، علواً يليق بذاته التي لا يعلم كنهها إلا هو، فلا يعلم كنه اتصافها بالصفات التي أخبرنا الله عنها – لندين ونهتدي بها – إلا هـو ولا

---

[1] سورة الحج، آية: (٤٦).

[2] انظر: مجلة الاصلاح مجلد ٢ عدد٢ ص ٦٣

يسأل: كيف؟ ولا لم؟ ولا يقول: يلزم كذا أو كذا، إلا من اتبع كل شيطان مريد يضله ويهديه إلى عذاب السعير)[1].

ثانياً: صفة الاستواء

صفة الاستواء من الصفات التي أثبتها الله سبحانه في كتابه الكريم في سبعة مواضع وذكرها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة إما تصريحاً أو تلميحاً، إضافة إلى إجماع سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين فأما الآيات فهي كما يلي:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.[1]

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾.[2]

٣. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾.[3]

٤. قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾.[4]

٥. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾.[5]

٦. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾.[6]

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١٨، عدد ١، ص٣

[1] سورة الأعراف، آية: (٥٤)

[2] سورة يونس، آية: (٣)

[3] سورة الرعد، آية: (٢)

[4] سورة طه، آية: (٥)

[5] سورة الفرقان، آية: (٥٩)

[6] سورة السجدة، آية: (٤)

٧. قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ .[١]

وأما الأحاديث الواردة في هذه الصفة فأذكر منها ما يلي:

١. ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده في كتاب وهو عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي".[٢]

٢. ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإن سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة".[٣]

٣. ما رواه عمران بن الحصين رضي الله عنه من حديث وفد بني تميم ووفد أهل اليمن وفيه "... جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ فقال: كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون".[٤]

قال ابن خزيمة رحمه الله: (فنحن نؤمن بخبر الله جلا وعلا: أن خالقنا مستوٍ على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا).[٥]

---

[١] سورة الحديد ، آية: (٤)

[٢] رواه البخاري – كتاب التوحيد، برقم ٧٤٢٢/ ومسلم – كتاب التوبة، ٦٩٦٩.

[٣] رواه البخاري – كتاب التوحيد، برقم ٧٤٢٣.

[٤] رواه البخاري – كتاب بدء الخلق، برقم ٣١٩١.

[٥] انظر: التوحيد لابن خزيمة: ٢٣٣/١

ومن أشهر ما يروى في ذلك قول مالك – رحمه الله – عندما سأله رجل عن كيفية الاستواء؟ فقال: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا، وأمر به أن يُخرج)[1].

وقد أجمع السلف – رحمهم الله – على أن الله مستوٍ على عرشه استواءً يليق به سبحانه.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: (فهذا كتاب الله من أوله وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء).[2]

وهذه الصفة قد ذكرها الفقي – رحمه الله – وأثبتها كسائر الصفات الأخرى، وأورد كلام أهل العلم فيها وخاصة كلام ابن القيم – رحمه الله – ثم عقب ذلك بقوله: (وهو سبحانه قد استوى على عرشه العظيم على ما يليق بعظمته سبحانه وجلاله، وما ينبغي لذاته العلية التي لا يعلم ولن يعلم كنهها إلا هو سبحانه)[3].

وقد مرَّ معنا سابقاً أنه واجه بلاءً شديداً جراء تصريحه بإثبات هذه الصفة على صفحات مجلته عندما كتب "وكتبه الفقير إلى عفو الله المستوي بذاته فوق عرشه خادم السنة المحمدية محمد حامد الفقي".

ثالثاً: صفة المعية

صفة المعية من الصفات التي جاءت في الكتاب والسنة و قبلها السلف وأثبتوها كما يليق بالله عز وجل. فهو سبحانه مع علوه واستوائه على عرشه

---

(1) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨ ط٥، ١٤١٨هـ دار طيبة ، الأسماء والصفات للبيهقي ٢/١٥٠ ، ط١، ١٤١٩هـ، دار العاصمة، عقيدة السلف للصابوني ١٧،ط٢، ١٤١٩،دار العاصمة.

(2) انظر: الحموية ، ص١٤٦

(3) انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٥ ، عدد٢٣،٢٤ ، ص٥

فهو مع خلقه عامة بمقتضى علمه وقدرته وسلطانه ومع عباده المؤمنين خاصة بنصره وتأييده ومعونته وتسديده.

أدلة المعية من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾.[١]

٢. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.[٢]

٣. قال تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.[٣]

أدلة المعية من الحديث:

١. عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ "أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصماً ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم إنه سميع قريب".[٤]

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني".[٥]

---

[١] سورة المجادلة ، آية: (٧)

[٢] سورة النحل ، آية: (١٢٨)

[٣] سورة طه ، آية: (٤٦)

[٤] رواه البخاري-كتاب الجهاد والسير ،برقم ٢٩٩٢/ ومسلم -كتاب الذكر والدعاء، برقم ٦٨٦٢.

[٥] رواه البخاري -كتاب التوحيد ،برقم ٧٤٠٥/ ومسلم -كتاب الذكر والدعاء ، برقم ٦٨٣٠.

ولقد قسم السلف المعية إلى قسمين حسب ما جاء في النصوص:

١. **المعية العامة:** وهي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر كما قال تعالى "وهو معكم أين ما كنتم".[١]

٢. **المعية الخاصة:** وهي خاصة بعباده المؤمنين من نصر وتأييد ومعونة وحفظ. كما قال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .[٢]

والسلف يثبتون معية الله لخلقه حقيقة[٣]، ولا تنافي بينها وبين صفة العلو والاستواء على العرش لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – (ليس بين العلو والمعية تعارض أصلاً ؛ إذ من الممكن أن يكون الشيء عالياً وهو معك ، ومنه ما بقوله العرب: القمر معنا ونحن نسير والشمس معنا ونحن نسير، والقطب معنا ونحن نسير، مع أن القمر والشمس والقطب كلها في السماء فإذا أمكن اجتماع العلو والمعية في المخلوق، فاجتماعهما في الخالق من باب أولى ... ولو تعذر اجتماعهما في حق المخلوق لم يكن متعذراً في حق الخالق لأن الله أعظم وأجل، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين لظهور التباين بين الخالق والمخلوق).[٤]

ولقد قسم الفقي – رحمه الله – المعية إلى عامة وخاصة كما فعل السلف حيث قال: (معية الله سبحانه وتعالى : عامة وخاصة ، فالمعية العامة ذكرها الله في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ ﴾ [٥] وهذه معيته بعلمه المحيط بكل شيء، وبكل عبد وما توسوس به نفسه وما يضطرب فيه من جميع شئون الحياة التي يدبرها جميعها له سبحانه وتعالى.

---

[١] سورة الحديد ، آية: (٤)

[٢] سورة الأنفال ، آية: (٤٦)

[٣] انظر: كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/١٠٢-١٠٣، ١٤٢).

[٤] انظر: شرح العقيدة الواسطية ، ابن عثيمين . ص٣٤٤

[٥] سورة الحديد، آية: (٤)

والمعية الخاصة: هي معيته سبحانه بالولاية والتوفيق، والتسديد والنصر والفلاح والسعادة في الأولى والأخرى: للمؤمنين والمتقين والمحسنين الشاكرين الصابرين.

ومعية ربنا سبحانه وتعالى – العامة لكل عباده، والخاصة للمتقين والصابرين والمحسنين والشاكرين – من صفاته التي لا يعلم كنهها إلا هو، ككل صفاته العلية. وهو سبحانه مع ذلك مستوٍ على عرشه، خلق الأرض والسموات العُلى. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾[1] وقد ضل وخاب من افترى من حرّف القول عن موضعه وقال في الله وعلى الله بلا علم وضرب بعض كلام الله ببعض).[2]

---

[1] سورة طه، آية: (٥-٨)

[2] انظر: الهدى النبوي، مجلد ٢٢، عدد ٦-٧، ص٧+٨

الفصل الثالث

توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول
تعريف توحيد الألوهية

توحيد الألوهية هو ما يعبر عنه بتوحيد الطلب والقصد وهو كذلك توحيد العبادة، وهو إفراد الله بأفعال العباد الظاهرة والباطنة من صلاة وزكاة وحج وذبح ونذر وخوف ورجاء وتوكل ودعاء وغير من الأعمال التي تعبدنا الله بها.

وهذا العبادات التي كلفنا بها حق خالص لله وحده لا يجوز صرفها لغيره ومن فعل ذلك فهو مشرك كافر قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.[1]

وتوحيد الألوهية هو المقصد الأسمى الذي من أجله ابتعث الله الأنبياء والرسل، فما قامت سوق الجنة والنار ولا أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وما تبع ذلك من عقائد وأوامر إلا لتحقيق توحيد العبادة وإرساء عقيدة "لا إله إلا الله" حقيقة وواقعاً لا نفاقا وادعاء.

والأدلة على وجوب هذا النوع كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

الأدلة من القرآن:

١. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.[2]

---

[1] سورة الأنعام ، آية: (١٦٢-١٦٣)

[2] سورة النحل ، آية: (٣٦)

٢. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1]

٣. قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ . [2]

الأدلة من السنة:

١. حديث معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا. وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً". [3]

٢. ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له "إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل. فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم". [4]

وتجدر الإشارة إلى أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات. لأن الذي يعبد الله لابد أن يكون معتقداً بأنه الذي خلقه ورزقه وهو الذي ينفعه ويضره وهو يملك حياته وموته ولذلك استنكر الله على أرباب الأوثان عبادهم لها بقوله ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ . [5]

---

[1] سورة البقرة ، آية: (٢١)

[2] سورة الزمر ، آية: (٦٦)

[3] رواه البخاري –كتاب التوحيد ،برقم ٧٣٧٣/ومسلم –كتاب الإيمان ،برقم ١٤٣،

[4] رواه البخاري –كتاب التوحيد ،برقم ٧٣٧٢/ ومسلم –كتاب الإيمان ،برقم ١٢١.

[5] سورة المائدة ، آية: (٧٦)

كذلك من عبد الله وأخلص له في ذلك فقد لزمه أن يثبت له جميع الأسماء والصفات التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولقد عرف الفقي العبادة بقوله: (العبادة: غاية الحب في غاية الذل لمن يعتقد العابد أن له من الصفات والأفعال ما يستحق به هذه العبادة، ومقر العبادة القلب. لأنه هو الذي تصدر عنه القوى المحركة للجوارح والأعضاء. وسميت أعمال الجوارح وحركاتها الظاهرة عبادة لأنها دوال على حركات القلب المنفعل بحقيقة العبادة وفي الحديث "ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب"[1])[2].

ويقول كذلك: (...والإسلام يقوم على ركنين، أولهما: البراءة من كل معبود، وإفراد الله بالعبادة. وعنوانه "لا إله إلا الله" ، فـ (لا إله) نفي وبراءة من تأليه وتعظيم وتقديس وعبادة من لا يستحق ذلك من الشركاء، وتنظيف لأرض القلب وتزكية لها من كل ما ألقى الشيطان ويلقي من كلماته الخبيثة وزرعه الوثني الخبيث باسم العادات والتقاليد والوراثة، و "إلا الله" إثبات وتوثيق للعهد بأن تخلص العبادة ذلاً أصدق ذل، وحباً أخلص حب لله ربك ورب العالمين، الذي يربيك ويربي جميع العالمين بنعمة وآلائه. و "إلا الله" غرس بمنتهى اليقظة والحرص والقوة لشجرة الإيمان الطيبة، وعهد أن يتعهدها بالسقي من التفكر في آيات الله الكونية والتدبر والتفقه لآياته القرآنية حتى يتمكن أصلها في القلب ... فتنمو الشجرة الطيبة وتذهب فروعها وأغصانها سامقة مثمرة في كل شأن من الشئون، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها لصاحبها ولكل من حوله، علماً ونفعاً، وعملاً صالحاً وأدباً كريماً وبراً بنعمه وبكل ما يحيط به، وإحساناً في كل ما أنعم الله عليه. هذا هو معنى لا إله إلا الله وهو حقيقة دعوة كل الرسل.

---

(١) رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٥١ / مسلم – كتاب المساقاة، برقم ٤٠٩٤.

(٢) انظر: نور من القرآن ، ص٣٥

والركن الثاني: محمد رسول الله . وحقيقة معناها: لا أعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله ﷺ فإن العبادة هي سبيل الوصول إلى مغفرة الله ورضوانه ومحال أن يعرف ذلك إلا من قِبَلِ الله ... لذلك كانت عبادة الله بما يحب ربنا ويرضى لا بما يستحسن الإنسان ويشتهي).[1]

والفقي – رحمه الله – في كلامه السابق قد وافق السلف في المفهوم الصحيح لتوحيد العبادة وسار على نهجهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فإن حقيقة التوحيد: أن نعبد الله وحده، فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقي إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيين أرباباً. فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك وغيرهم)[2].

ويقول الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: (فإن هذه الكلمة "لا إله إلا الله " نفي وإثبات؛ نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد ﷺ ، وحتى من الملائكة وجبريل عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام فضلاً عن غيرهم من الصالحين وسائر المخلوقات؛ وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له).[3]

ولأهمية هذا الجانب في حياة المسلمين كان الشيخ الفقي لا تمر به مناسبة إلا ويعرج على هذه القضية المهمة يقول – رحمه الله – : (فقد أخذ الله العهد الموثق على كل بني آدم: أن يعبدوه وحده بجميع أنواع العبادة، وأن يفردوه بالتعظيم والإجلال والرغبة والرهبة والرجاء والتوكل والاستغاثة واللجأ

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٤ ، عدد٨ ، ص٢-٤

[2] انظر: منهاج السنة ٣/٤٩٠

[3] انظر: مؤلفات الشيخ/ القسم الأول ، العقيدة: تفسير كلمة التوحيد ، ص٣٦٣، طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

والفزع والدعاء والنداء وأن لا يشركوا به أحداً في شيء من هذه العبادة، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، فإنهم في الحقيقة ما يعبدون ملكاً ولا نبياً وإنما يعبدون الشيطان الذي يدعوهم إلى هذا الشرك ويتسمى بتلك الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان).[1]

كما أن الشيخ كان كثيراً ما ينبه إلى أن القرآن كله يدعو إلى توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله سبحانه يقول: (قل أن نجد أي سورة إلا وأبدى ربنا الحكيم الرحيم وأعاد فيها وأوضح، وأكد توحيد الإلهية الذي أرسل به رسله وأنزل كتبه، بل الذي ما خلق الإنسان وشرفه وكرمه إلا من أجله، وحذره أشد التحذير، وأنذر آكد الإنذار من الشرك به في العبادة والإلهية).[2]

ويقول كذلك (والقرآن كله قائم على الدعوة إلى توحيد الإلهية وإخلاص العبادة بجميع أنواعها ... وعلى التحذير من الشرك في أي لون من ألوانه).[3]

ويقول "وتوحيد العبادة هو لب القرآن وأساس جميع الكتب المنزلة".[4]

---

[1] انظر: الهدى النبوي ، مجلد٧ ، عدد٩ ، ص٤

[2] انظر: المصدر نفسه، مجلد١٨ ، عدد٥ ، ص١٢

[3] انظر: المصدر نفسه، مجلد١٦ ، عدد ٥،٦ ، ص١٤

[4] انظر: المصدر نفسه ، مجلد٩ ، عدد٣ ، ص٧٧

المبحث الثاني
شروط صحة العبادة

لما كانت العبادة من أشرف المنازل التي يتحصل عليها العبد في الدنيا ، وهي كذلك من أعظم النعم على المسلم من ربّه الحق -سبحانه وتعالى- حيث شرفه ومنحه هذا الفضل العظيم الذي حُرم منه كثير من البشر ممن استزلهم شياطين الجن والإنس كان لزاماً على العبد المسلم أن يعرف الطريقة الحقة والنهج الأمثل في سلوك طريق طاعته وعبادته.

ولذلك أجمع أهل العلم من السلف والخلف على أن العمل لا يكون صحيحاً إلا بتوفر شرطين أساسين لا ينفكان عن بعضهما البتة وهما:

١. أن يكون العمل خالصاً لله لا يخالطه رياءً ولا سمعة ولا غير ذلك.

٢. أن يتوفر في العمل المتابعة للنبي ﷺ ومجانبة البدع.

ولقد وردت أدلة كثيرة في كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ تؤكد وتبين أهمية الإخلاص لله في الأعمال والمتابعة لرسوله في جميع الأحوال ، منها قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ .[1]

أما في السنة: فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك: قال: "قل آمنت بالله ثم استقم".[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ

---

[1] سورة الكهف ، آية: (١١٠)

[2] رواه مسلم -كتاب الإيمان ،برقم ١٥٩/ والترمذي -كتاب الزهد،برقم ٢٤١٠.

يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾[1]، وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله)[2].

كما أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذا المعنى في كثير من كتبه حيث قال عند تقسيمه للأعمال: (...واحد مقبول وثلاثة مردودة فالمقبول ما كان لله خالصاً وللسنة موافقاً والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما)[3].

يقول الفقي –رحمه الله-: (والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد، ولها أصلان: أحدهما: أن لا يعبد إلا الله. والثاني: أن يُعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من الأهواء والبدع قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ ﴾ [5] ، فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات: ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به من إيجاب واستحباب وقوله: أسلم وجهه لله" فهو إخلاص الدين لله وحده)[6].

ويقول كذلك: (أقام ربنا الدين كله على العلم الصحيح والتوحيد الصادق، الذي هو إخلاص العبادة لله الرب، الواحد، وتوحيد الطريق والعمل: أن لا يعبد الله إلا بما يعلم أنه شرعه، وأنه سبحانه لن يقبل عبادة –

---

(1) سورة الكهف، آية: (١١٠).

(2) انظر: العبودية (ص: ١٣٧)، لابن تيمية، تحقيق/ علي حسن عبد الحميد، دار الأصالة، ط٣، ١٤١٩هـ

(3) انظر: إعلام الموقعين (١٦٢/٢)، لابن القيم، تحقيق/ عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية

(4) سورة الكهف، آية: (١١٠).

(5) سورة النساء ، آية: (١٢٥).

(6) انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢ ، عدد ٢٤ ، (ص: ١٠).

مهما كثرت - ومهما بالغ العابد فيها في حسن القصد والنية إلا على ما شرع على ألسنة رسله وأدبهم وعملهم)[1].

وأخيراً يقول -رحمه الله- (ولا عمل صالح إلا ما ابتغى به وجه الله وحده وكان مُتَحرّى فيه بغاية اليقظة الاقتداء برسول الله وحده، لا بأي شخص كائناً من كان، فإن الله لم يصطف للقدوة و لم يختر للإمامة إلا رسوله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [2])[3].

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ١٨ عدد ١ (ص: ٦).

[2] سورة الأحزاب، آية: (٢١).

[3] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ١٩ ، عدد ٣ ، (ص: ٧).

المبحث الثالث

من أنواع العبـــادة

ينبغي أن يعلم كل مسلم عاقل موحد أن الله سبحانه وتعالى مـــا خلقنـــا وأوجدنا إلا لعبادتـــه وتعظيمـــه قـــال تعـــالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فكل ما أمرنا الله به من أوامر وتكاليف ظاهرةً كانت أم باطنـــة وجب الإتيان بها خالصة لله تعالى ، لا يدخل فيها قصدٌ لنبي مرســـل أو ملـــك مقرب أو ولي مزعوم أو غير ذلك.

والعبادة لها أنواع كثيرة فمنها ما هو قولي ومنها ما هو فعلي ومنها مـــا هو قلبي ومنها ما يكون جامعاً لكل ما سبق.

فالعبادات القولية: كالأذكار وما في حكمها. **والعبـــادات العمليـــة:** يدخل فيها الجهاد وإماطة الأذى عن الطريق والطواف حول البيت وغير ذلـــك. **والعبادات القلبية:** كالدعاء والخوف والرجاء والخشية والحياء وغيرها كـــثير، وأما العبادات الجامعة للجميع فمنها الصلاة والحج وغير ذلك.

وأشمل من عرف العبادة هو شيخ الإسلام ابـــن تيميـــة –رحمـــه الله – حيث قال (العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبـــه الله ويرضـــاه مـــن الأقـــوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

فالصلاة والزكاة، والصيام والحج وصدق الحـــديث وأداءُ الأمانـــة وبـــر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكـــر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمســـكين وابـــن الســـبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثـــال ذلـــك مـــن العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابةِ إليه وإخـــلاص الـــدين

---

[1] سورة الذاريات، آية: (٥٦).

والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك: هي من العبادة لله)[1].

قال الفقي –رحمه الله-: (وإخلاص العبادة بجميع أنواعها من قلبية وجسمية ومالية وقولية لله وحده، وإسلام القلب لله وإحسان العمل لله والتجرد لله من كل غير، فلا يتوجه القلب إلا لله وحده، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يذكر اللسان ذكر الخشية والرغبة إلا له، ولا يضرع إلا إليه ولا يدعو سواه، ولا تخرج اليد شيئاً من المال إلا تقرباً إليه وحده، ولا تتحرك الجوارح إلا ابتغاء مرضاته وحده، ولا تتقرب إليه إلا بما يحب مما ارتضاه على لسان رسوله ﷺ)[2].

ثم إن الفقي –رحمه الله– قسم العبودية إلى قسمين، فبعد أن أورد كلام شيخ الإسلام في العبودية قال: (ومن هذا يتبين لك أن هناك عبوديتين عبودية كونية، وعبودية شرعية إلهية. فالعبودية الكونية، هي في جميع الخلق، لأن الله هو الذي يربيهم وحده بجميع نعمه ويدبرهم وحده بحكمته ورحمته ومشيئته وهي لازمة لهم لا يمكنهم الانفكاك عنها بحال من الأحوال قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾[3]. وهذه العبودية الكونية اللازمة للإنسان كله والمتساوية في الإنسان كله من عرفها حق المعرفة وتأملها حق التأمل وقدرها حق التقدير وشكرها بعبودية الإلهية وإخلاص الحب والذل، و الطاعة والرجاء والخوف والتوكل والدعاء وما يلزم كل ذلك من المتابعة للرسول وللكتاب

---

[1] انظر: العبودية (ص: ١٩).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ٢٤ (ص: ٤).

[3] سورة الأعراف، آية: (١٧١).

الكريم فإنها تتحقق تلك العبادة التي تدور عليها سعادة الدنيا والآخرة وعزهما وفلاحهما)[1].

ولقد ذكر الفقي –رحمه الله– أنواعاً كثيرة من العبادات أذكر بعضاً منها:

أولاً: الدعاء

الدعاء من أعظم العبادات وأجلّ القربات ، ويبلغ بالإنسان أعلى الدرجات والمنازل ، حث عليه الرب سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [2].

وقال كذلك: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [3].

أيضاً: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [4].

وقال ﷺ: "الدعاء هو العبادة" [5].

وقال كذلك: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء [6].

وقال أيضاً: "من لم يسأل الله يغضب عليه [7].

قال الفقي –رحمه الله–:(ولما كان أحب العبادة إلى الله هو الدعاء كما جاء في الحديث: "الدعاء هو العبادة" وكان الشيطان قد أغوى الناس بجعل هذه العبادة لغير الله الذي لا يستحقها غيره، وزين لهم بالتوسلات الباطلة التي أدت بهم إلى أعظم ما يغضب الله من الشرك، فقد حمى الله عباده

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٥ عدد ٤ (ص: ١١،١٠).

[2] سورة غافر، آية: (٦٠).

[3] سورة الأعراف، آية: (٥٥).

[4] سورة الأعراف، آية: (٥٦).

[5] رواه الترمذي – كتاب الدعوات، برقم ٣٣٧٢ – صححه الألباني / وأبو داود – كتاب الوتر، برقم ١٤٧٩ – صححه الألباني.

[6] رواه الترمذي – كتاب الدعوات، برقم ٣٣٧٠ – حسنه الألباني / وابن ماجة – كتاب الدعاء، برقم ٣٨٢٩ – حسنه الألباني.

[7] رواه الترمذي – كتاب الدعوات، برقم ٣٣٧٣ – حسنه الألباني / وابن ماجة – كتاب الدعاء، برقم ٣٨٢٧ – حسنه الألباني.

من كيد الشيطان وإزاغته بما علمهم من الوسائل النافعة من عباداته والتقرب إليه بما يحب من ذكره والثناء عليه بما هو أهله... وقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيف يسألونه، ورسم لهم أجمل خطة وأحبها إليه كما في سورة الفاتحة وهي كما يلي:

١- أن يقدموا بين يدي سؤالهم حمد ربهم والثناء عليه بما هو أهله.

٢- تمجيده والتفويض إليه.

٣- الاعتراف التام بالعبودية والزلة له.

٤- الخضوع والخشوع له وحده.

٥- إظهار الفقر والحاجة المطلقة إلى غناه المطلق.

٦- البراءة كل البراءة من الحول والقوة والتنصل منهما إلى حول الله وقوته.

٧- التوسل لله بأسمائه وصفاته الدالة على عظمته وجلاله وكبريائه و فضله ورحمته وكرمه وعطائه [1].

ثم يبين الفقي -رحمه الله- أهمية الدعاء في كلام كثير وأن صرفه لغير الله شرك محبط للأعمال قال: (فإن الدعاء هو مخ العبادة، ولا يستحق جميع أنواع العبادة إلا الله الحق المبين فمن دعا الله وحده فقد دعا دعوة الحق؛ فدعوته مستجابة ومتقبلة عند الله الحق، ويثيبه عليها في الدنيا استجابة لمطلوبه، إن كان في ذلك خير للداعي أو أجراً ورحمة في الآخرة إن علم سبحانه أن الخير في ادخار الثواب لعبده يوم الجزاء.

وإن دعاء الموتى من الصالحين وغيرهم هو الباطل؛ أبطل الباطل لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فضلاً عن أن يملكوا لغيرهم ممن يدعوهم ويفزعون إليهم مهما ألحوا وألحفوا في الدعاء

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١ عدد ٥ (ص: ٧١٦).

والمسألة ومهما عظم رجاؤهم فيهم كما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[1]. وقد حكم الله بأن دعاء غيره من الأولياء والصالحين دعاء الرغبة والرهبة أنه شرك في كثير من آي القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[2] أي بدعائكم إياهم، وهم لا يملكون لهم من قطمير من النفع أو الضر.

ثم يقول الفقي –رحمه الله– وهو يؤكد أن دعاء غير الله هو من أبطل الباطل : (وهكذا تعرف أن دعاء غير الله: أياً كان نبياً أو ولياً أو ملكاً أو إنساً أو جناً أبطل الباطل وأخسر الخسارة في الدنيا والآخرة)[3].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[4].

(هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارةً وهذا تارةً، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود)[5].

فظهر من كلامه –رحمه الله– أن الدعاء نوعان:

١- دعاء المسألة وهو ما فسره بقوله: طلب ما ينفع الداعي...

٢- دعاء العبادة: وهو التقرب إلى الله بأنواع العبادة المختلفة من صلاة وزكاة وصيام وحج وذبح ونذر، لأن العبد عندما يفعل ذلك فهو

---

[1] سورة فاطر ، آية: (١٤).

[2] سورة فاطر ، آية: (١٤).

[3] الهدي النبوي مجلد ٦ عدد (١٩،٢٠) (ص: ٢-٩).

[4] سورة الأعراف، آية: (٥٥،٥٦).

[5] انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٥).

امتثالاً لأمر الله ثم خوفاً على فوات مطلوبه وحاجته سواءً كانت دنيوية أو أخروية.

يقول الفقي –رحمه الله–(والقرآن كله قائم على الدعوة إلى توحيد الإلهية وإخلاص العبادة لله بجميع أنواعها ومن أخصها – بل مخها – الدعاء)[1].

٢) الخوف والرجاء:

معناهما أن يخاف العبد من عذاب الله ويرجو رحمته وفضله ، والخوف والرجاء من العبادات التي أُمر المسلم بتحقيقها في نفسه واستشعارها في عمله حتى تستقيم حياته ويحسن حاله وتطمئن نفسه، من أجل ذل ذكرها الله في كثير من الآيات منها.

١. قال تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [2].

٢. ويقول تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [3].

٣. ويقول تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [4].

وأما الأحاديث فأذكر منها ما يلي:

١. عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف"[5]

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٦ عدد (٥،٦) (ص: ١٤).
[2] سورة الإسراء، آية: (٢٧).
[3] سورة فصلت،آية: (٤٣).
[4] سورة الأنعام، آية:(١٤٧).
[5] رواه الترمذي – كتاب الجنائز، برقم ٩٨٣ / حسنه الألباني / وابن ماجه – كتاب الزهد، برقم ٤٢٦١ – حسنه الألباني – وذكره الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٥١).

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد"[١]

٣. عن عائشة رضي الله عنها – قالت سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة"[٢] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم أولئك الذي يسارعون في الخيرات"[٣].

إن المؤمن ينبغي أن يكون دائماً مشتملاً على هذين الوصفين الخوف والرجاء بحيث يصحبهما معه طوال حياته وفي جميع شئونه وأحواله، فلا يغّلب جانب على آخر؛ إذ لو غلب الخوف لأدى به ذلك إلى القنوط واليأس من روح الله ورحمته، ولو غلّب جانب الرجاء لأوقعه ذلك في الأمن من مكر الله وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

يقول –رحمه الله–: (ولا تتحقق سعادة العباد وفلاحه وفوزه إلا بإخلاص العبادة لربه سبحانه بركنيها: غاية الحب وغاية الذل.

وغاية الذل إنما تتحقق بالخوف والخشية المشار إليهما بقوله: "وإن ربك لشديد العقاب"[٤]، من أثر الإيمان بأنه شديد العقاب وسريع الحساب، وأنه لايغفل عما يعمل الظالمون، ولا يضيع مثقال ذرة من عمل أي عامل، وإن كان يغلب رحمته وعفوه وكرمه على عقابه، فيجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وبالسيئة مثلها وقد يعفو ويغفر ، فهو سبحانه يتعرف إلينا

---

[١] رواه مسلم – كتاب التوبة، برقم ٦٩٧٩ / والترمذي – كتاب الدعوات، برقم ٣٥٤٢.

[٢] سورة المؤمنون، آية: (٦٠)

[٣] رواه الترمذي –كتاب تفسير القرآن ،برقم ٣١٧٥،صححه الألباني/وابن ماجه–كتاب الزهد،برقم ٤١٩٨ –حسنه الألباني.

[٤] سورة الرعد، آية: (٦).

برحمته وعفوه لنرجوه فنسعى إلى رضوانه ثم يتعرف إلينا بأنه شديد العقاب، وأن عذابه أليم، ليحول بيننا وبين التهاون بحقوقه ... فقد جعل سبحانه هاتين الصفتين كالميزان الدقيق يجعل المؤمن نفسه بين كفتيه بغاية الدقة، بحيث لا يغلب إحداهما على الآخر فيتعرض للتلف والهلاك، فهو دائماً يمشي بين الخوف والرجاء ليتخذ منهما جناحين يطير بهما إلى جنة الله ورضوانه ومن حافظ على التوازن بينهما كان من الذين أُوتوا الحكمة والخيرُ الكثير وفاز بسعادة الدنيا والآخرة)[1].

ولقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – أهمية الاعتدال بين هذه الأمور الثلاثة فقال: (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران. ومتى قطع الرأس مات الطائر ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر ولكن السلف استحبوا أن يقوي في الصحة جناح الخوف وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء)[2].

---

[1] مجلة الهدي النبوي مجلد ٦ عدد (١٠،٩) (ص: ٨،٧).

[2] انظر: مدارج السالكين (٥٥٤/١).

المبحث الرابع
نواقض التوحيد

إن للتوحيد نواقض يجب على المسلم أن يعرفها ليحذرها ويجتنبها لأنه لا يمكن أن تتحقق على الإنسان صفة أنه موحد حتى ينقي عقيدة من جميع الشوائب الشركية الظاهرة والباطنة.

ولقد نبهنا الله إلى أن كثيراً من الناس يظن نفسه مؤمناً موحداً وهو في حقيقة الأمر مشرك يجهل حقيقة شركه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1]، فضلاً على أن أكثر الناس هم بعيدون عن الإيمان حقيقة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

وسوف أتناول ثلاثاً من القضايا المهمة المتعلقة بهدم أساس التوحيد والدين ووقف منها الإسلام موقفاً صارماً وهي:

أولاً: الشرك.

ثانياً: النفاق.

ثالثاً: البدع.

أولاً : الشرك

الشرك لغة: يطلق على المخالطة والمصاحبة قال صاحب اللسان (الشِّرْكة والشَّرِكة سواء وهي مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والشريك: المشارك، والشرك كالشريك والجمع أشراك وشركاء)[3].

---

[1] سورة يوسف، آية: (١٠٦).

[2] سورة يوسف، آية: (١٠٣).

[3] انظر: لسان العرب (٤٤٨/١٠)، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٦هـ.

الشرك اصطلاحاً: (هو كل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه مما ورد في الكتاب والسنة تسميته شركاً)[1].

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل من الشرك أيما تحذير وزجر وتوعد من يقع فيه بالنار وسوء العقاب.

- **قال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[2].
- **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3].
- **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

والآيات في هذا الجانب كثيرة جداً.

وأما في السنة، فقد حذر النبي ﷺ من الوقوع في الشرك تحذيراً شديداً وكثيراً، فهو ﷺ يحذر من الشرك تارةً ترهيباً من سوء العاقبة وأخرى ترغيباً في حسن الجزاء والخاتمة ومن أمثلة ذلك.

- عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات وهو يشرك بالله شيئاً دخل النار[5].
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة"[6].

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن سعدي (٤٩٩/٢)، طبعة الرئاسة، ١٤١٠هـ.
[2] سورة النساء، آية: (٤٨).
[3] سورة المائدة، آية: (٧٢).
[4] سورة لقمان، آية: (١٣).
[5] رواه مسلم – كتاب الإيمان، برقم ٢٦٩/ وأحمد برقم (١٥٢٠٠).
[6] رواه البخاري – كتاب الجنائز، برقم ١٢٣٨ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم (٢٦٨).

- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أتاني آتٍ من ربي فأخبرني – أو قال بشرني- أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. فقلت وإن زنى وإن سرق فقال: وإن زنى وإن سرق".[1]

والشرك ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) **الشرك الأكبر:** وهو صرف ا لعبادة لغير الله أو جعل ند له أو شريك في أي خصيصة من خصائص توحيد الألوهية أو الربوبية. (كالخوف والرجاء والدعاء والذبح والإحياء والإماتة والرزق...) وهو محبط للأعمال يستوجب صاحبه الخلود في النار.

٢) **الشرك الأصغر:** وهو ما كان دون الشرك الأكبر إلا أنه وسيلة إلى بلوغه إن لم يتدارك العبد نفسه، وهو يعد من أكبر الكبائر على الإطلاق وصاحبه تحت المشيئة إن شاء الله عذبه أو غفر له (كالحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت أولبس الحلقة لدفع العين وما شابه ذلك) يقول الفقي –رحمه الله-: (ومن ثم كان الحلف بغير الله كفراً وشركاً ولكن أكثر الناس لا يفكرون فيما يفعلون ولا فيما يقولون فيقعون في الشرك وهم لا يشعرون)[2].

٣) **الشرك الخفي "الرياء":** وهو الشرك في النيات والإرادات والقصد، بحيث يعمل الإنسان عملاً من الأعمال التعبدية فيدخل عليها الرياء إما ابتداءً أو في أثناء العمل ؛كمن صلى من أجل الثناء والذكر، أو صلى ثم زاد في تزيين صلاته لما أحس بأحدٍ خلفه، أو ما شابه ذلك، قال رسول الله ﷺ: "من سمّع سمّع الله به، ومن راءى راءى الله به)[3].

---

[1] رواه البخاري – كتاب الجنائز، برقم ١٢٣٧ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم (٢٧٢).

[2] الهدي النبوي مجلد ١٩ عدد (٧،٨) (ص: ٣،٤).

[3] رواه مسلم – كتاب الزهد والرقائق، برقم (٧٤٧٦).

قال الفقي –رحمه الله-: (ولقد أوصانا الله أشد الوصية أن تكون النية خالصةً له في كل عمل وحركة ، وحذرنا أشد تحذير أن نبتغي بعملنا محمدةً في الدنيا ولا ثناء من الناس أو حظاً مما في أيديهم من الدنيا وعرضها الذي ينفد ولا يبقى فإن ذلك هو الشرك الخفي الذي حذرنا الله منه)[1].

والشيخ الفقي –رحمه الله– قد عاش في مجتمع كان ممتلئاً بالشركيات وما يتعلق بها من علائق مثل الأضرحة ودعاء الأموات والطواف بالقبور والنذر لها والقصد إليها والموالد وغيرها من الشركيات العظيمة، لذا كانت كتاباته ممتلئةً بالتحذير من الشرك ووسائله وأسبابه، والدعوة إلى إصفاء المعتقد وإرساء عقيدة التوحيد الخالصة من الشوائب.

يقول –رحمه الله-: (والشرك: أن يتعبد القلب لغير الله: خوفاً ورجاءً ورغبة ورهبة، وذلاً وخشية، وإجلالاً وتعظيماً وحباً، فتندفع الجوارح مستسلمة ومنفذة لسلطان هذا التعبد القلبي: دعاء واستعانة أو فزعا ولجأ وطلبا ومسئلة أو ضراعة واستكانة أو نذرا وحلفا وذكرا وسعيا وبذلا للنفس والمال في مرضاة الشريك أو الشركاء)[2].

ثم يعرف الفقي المشرك فيقول (والمشرك: من أشرك مع الله رب العالمين أحدا أو شيئا في إخلاص حبه وتقديسه وتعظيمه، خوفا ورجاء ورغبا ورهبا، فدعا غيره وسماه توسلا، وحلف بغيره وسماه حبا وتعظيما ، أو نذر لغيره أو ركن بقلبه إلى غيره من الموتى أياً كانوا وسمي ذلك تبركا؛ معتمدا عليه ومتوكلا في قضاء حاجاته وتفريج كرباته أو ما شابه ذلك مما هو معروف عند الجمهور والعامة قديما وحديثا مما هو نتيجة حتمية لدين الوراثة الجاهلي

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٤ عدد ٥٩ (ص: ٣).

[2] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٦ عدد ٤ (ص: ٤).

التقليدي، بل هو عندهم الدين المشهور الذي من أنكره وحاربه يعدونه ضالا وكافرا ويسمون عبادة أوليائهم من الموتى وغيرهم الدين الحق)[1].

ثم يذكر الفقي رحم الله أسباب حصول الشرك ومنشأه الحقيقي فيقول: (ومنشأ الشرك : من الجهل بالله وأسمائه وصفاته وآياته ومن الجهل بالشريك نفسه، فالشرك بالله ثمرة لازمة للجهل بالله ولا بد، ولذلك سمى الله المشركين الأولين: أهل الجاهلية، فإن الإنسان لو عرف ربه بأسمائه وصفاته ونعمه وسننه وآياته، معرفة صحيحة تكون ثمرة التفكر في خلق نفسه وخلق السماوات والأرض والتدبر لآيات وحيه، فإن هذه المعرفة تملك عليه قلبه وتدفعه إلى الإيمان الصادق بأن الله هو الذي تنبغي له الإلهية وحده والعبادة، ولو عرف الإنسان من اتخذه شريكاً لربه معرفة صحيحة لعرف أنه عبد مثله في كل معاني العبودية)[2].

ثم إن الفقي يبين حقيقة المشرك ووجه كونه نجساً على المجتمعات فيقول: (ولما كان الشرك هو الثمرة الحتمية لشجرة الجهل والعمى... نزل بصاحبه إلى أحط الدركات وأركسه في أقذر الحمآت ، فكان المشرك نجساً، وكان أضر على المجتمع من أخبث الحشرات، وكان أحقر من الأنعام وأضل منها سبيلاً، وكان هو الشقي كل الشقاء في الدنيا والآخرة)[3].

ولقد كان رحمه الله كثيراً ما يعلن تحقيره للشرك وأهله ويصرح بذلك، وأنهم من أحقر الناس عند الله يستحقون كل ذم ونقص وعيب، يقول: (وما حقّر الله شيئاً كتحقيره للشرك والمشركين، وما حذر من شيء كتحذيره من

---

[1] انظر: الهدي النبوي ، مجلد ٢١ عدد (١٢،١١) (ص: ٥).

[2] انظر: المصدرنفسه، مجلد ١٦ عدد ٤ (ص: ٤).

[3] انظر: المصدر نفسه ، مجلد ١٥ عدد ٣ (ص: ٩).

الشرك والمشركين، وما لعن شيئاً كلعنته الشرك والمشركين، وما خوف من شيء تخويفه من الشرك وما يجر إليه من الجهالة والتقليد الأعمى)[1].

ولقد امتلأت كتابات الفقي -رحمه الله- بفضح الأعمال الشركية والقربات الوثنية لأربابها فيقول: (... إنهم يظنون أن الله لا يستجيب لهم إلا بواسطة أوليائهم الذين اتخذوهم من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى، ويقدمون لهم من الحرث والأنعام والنقد والشموع وغيرها ما لا يليق إلا بالله رب العزة، ويطوفون حول قبورهم والأنصاب التي نصبوها عليها كما يطوف المؤمن حول بيت الله، ويتعلقون بأستار قبورهم رجاء المغفرة والقبول، ويحجون إلى قبورهم من البلاد الشاسعة كما يحج إلى بيت الله ويتخذون لهم الأعياد- يسمونها موالد- يجتمعون فيها ويحرصون عليها كما يجتمع المؤمنون في مناسك ومشاعر بيت الله وكل ذلك مضاهاة من أولئك المشركين لأولئك الموتى بالله واتخاذهم أنداداً مع الله ولا حول ولا قوة إلا بالله)[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (إن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له، وأشدها مقتاً لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه وتعالى ولملائكته ورسله وللمؤمنين)[3].

وأختم هذا المبحث بكلام جيد للشيخ يبرئ نفسه من تهمة المبالغة في وصف الشرك وأهله موجها كلامه لبعض أهل زمانه الذين كانوا ينكرون

---

[1] انظر: نور من القرآن. جمع محمد رشدي خليل (ص: ٧٥،٧٤).

[2] الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ٢٤ (ص: ٨).

[3] إغاثة اللهفان- ابن القيم (١/ ٦٠).

عليه شدته فيقول: (... وإن زعمتني مبالغاً في ذلك أو متجنياً، فسأل نفسك عما كنت عليه أيام الجاهلية، أو اقرأ كتب الصوفية مجرداً من الهوى والغرض، أو اذهب إلى أي وثن من الأوثان التي ملأت الأرض والبلاد التي تدعي الإسلام واسأل من حولها من العاكفين والركع السجود لها من سادن وتاجرٍ وقاطن؟. والله وحده هو المسئول أن ينقذ عباده من هذه الوثنية التي ظلموا بها الإسلام وشوهوه أقبح تشويه ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

ثانياً: النفاق

النفاق لغة: النَّفق: سرب في الأرض له مَخْلَص إلى مكان.

والنافقاء: إحدى جُحَرة اليربوع، يكتمها ويظهر غيرها، وهو موضع يرققه فإذا أتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانفتق أي خرج، والنُفقَة أيضاً مثال الهمُزَة: تقول نَفَّقَ اليربوع تنفيقاً،أي أخذ في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين)[2].

النفاق اصطلاحاً: إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذه الكلمة بهذا الوصف لم توجد إلا في الإسلام حيث لم تكن معروفة قبل ذلك.

قال البغوي: (سمي المنافق منافقاً لأنه يستر كفره ويغيبه، فشُبه بالذي يدخل النفق وهو السرب فيستتر به)[3].

ولقد اصطلح أهل العلم على أن كل من أظهر الإيمان وأبطن خلافه فهو منافق خارج من الملة، خالدٌ مخلد في النار وإن كان لا يُستحل دمه استناداً لظاهره.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[4].

---

(1) الهدي النبوي مجلد ١٥ عدد ٣ (ص: ١٣،١٢).

(2) انظر: الصحاح (٤/١٥٦٠).

(3) انظر: شرح السنة (١/٧١).

(4) سورة النساء، آية: (١٤٥).

ولقد قسم أهل العلم النفاق إلى قسمين: اعتقادي وعملي:

فالاعتقادي: هو ما سبق تعريفه: إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب، وأما **العملي**: وهو ما يختص بالأعمال، وهو ما جاء في حديث رسول الله ﷺ : "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"[1]، وما جاء كذلك في الروايات الأخرى.

قال ابن حجر: (فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق أكبر، وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه)[2].

قال ابن القيم: (وهؤلاء المنافقون في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾)[3]. فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف وهم فوقهم في دركات النار، لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعادة الله ورسوله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين)[4].

ولقد كان أكثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يخافون على أنفسهم النفاق حتى ولو كانوا من المبشرين بالجنة، كما صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع كاتم سرِّ النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حيث استحلفه بالله هل عده الرسول من المنافقين[5]. وهذا عمر فكيف بغيره، ولذلك روي عن ابن أبي مليكة –رحمه الله – أنه قال: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه؛ وما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرائيل وميكائيل)[6].

وروي عن الحسن أنه قال: (ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق)[7].

---

[1] رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٣٣ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٢١١.
[2] انظر: فتح الباري (١/١١١)، لابن حجر، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ
[3] سورة النساء، آية: (١٤٦٥).
[4] انظر: طريق الهجرتين (ص: ٣٨١)، ط١، ١٤٠٩هـ ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع.
[5] رواه البخاري – كتاب مواقيت الصلاة، برقم ٥٢٥ / ومسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة، برقم ٧٢٦٨.
[6] رواه البخاري – كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.
[7] رواه البخاري – كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

وهكذا كان تحذير أهل العلم والفضل، حيث كانوا يبدؤون بأنفسهم فيتهموها قبل أن يبحثوا في عيوب الناس أو أن ينزهوا أنفسهم.

أما الفقي -رحمه الله- فله مع المنافقين مواقف ومنازلات كثيرة، حيث إنه يرى أن كل نكبة حلّت بالأمة الإسلامية قاطبة لم تكن إلا بسبب النفاق والمنافقين. وسأذكر بعضاً من كلامه في وقفات ثلاث:

الوقفة الأولى: (أبرز صفات المنافقين).

يقول الفقي: (النفاق: جرثومة الفساد، وأصل البلاء والشقاء، فهو شر ما يقتل الأخلاق الفاضلة، وينزع عن النفس ثوب الكرامة والعزة، ويجردها من كل فضيلة وميزة حميدة ولكن صاحبه لا يشعر بذلك لأنه فقد الحياة التي يحس بها الكرامة ويعرف بها ذلك الشر والفساد في النفاق.

المنافق: لا يعرف نفسه إلا سلعة مهينة، ويبيعها من كل راغب بأبخس الأثمان وأصغرها، حياته شقاء وعيشه شقاء، قتل نفسه شر قتلة...

النفاق والمنافقون أضر على الأمة من كل الأمراض، وأشد فتكاً فيها وأعظم قتلاً لها من الطاعون، وإن كنت في شك من ذلك فانظر -إن كنت ذا نظر- إلى الأمة المصرية وغيرها ممن على شاكلتها من الأمم الإسلامية وما هي عليه من الصغار والذلة والشقاء ونكد العيش والبؤس المستحكم، كل ذلك لأنه فشا فيها مرض النفاق وكثر فيها المنافقون الذين يتخذون الدين صناعة والفقه حرفة، والزهد مصيدة وشبكة.

لبسوا للناس جلود الضأن تظاهراً بالتواضع، ألسنتهم حلوة وقلوبهم مثل قلوب الذئاب يمالئون ويداهنون، فأصيبت الأمة الإسلامية بالانتكاس والارتكاس في شئونها كلها، وأصبح الكثير - إلا ما شاء الله - مرائين مداهنين منافقين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ويظهرون غير ما يبطنون ويسرون خلاف ما يعلنون، وأحاط بالقلوب سور من الجبن والذلة؛

حتى أصبحوا يتملقون عدوهم الذي ينهل من دمائهم، ويزعمون أنهم مصلحون و أنهم يعملون على إنقاذ الأمم الإسلامية من براثن أعدائهم وتخليصها من مخالب العدو بهذه السياسة التي يسمونها حكيمة، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)[1].

الوقفة الثانية: (إرشاد وتنبيه إلى عدم الانخداع بالمنافقين)

يقول – رحمه الله –: (المنافقون يلبسون لباس الإخاء ظاهراً ويتزينون بثوب المحبة والإيمان علناً، وقلوبهم أشد من قلوب الذئاب عداوة وغلا، جلد لين ناعم الملمس وتحته خبث الحية الرقطاء وروح الشيطان الرجيم، وإنه ليسهل عليك اتقاء العدو الظاهر العداوة بما تأخذ من أسباب الحيطة في سد مسالكه، أما العدو الذي يخالطك باسم الصديق وتأمن له باسم الحبيب، وتسكن إليه باسم الأخوة، وتلقاه وأنت مطمئن إليه وتطلعه على دخيلة أمرك؛ إن هذا العدو لأشد نكاية وأخبث شراً وأعظم فساداً من ذاك بما لا يقدر قدره إلا الذين حنكتهم الحوادث وعركتهم التجارب وعلمتهم الخطوب والأهوال وقليل ما هم)[2].

ويقول أيضا: (إن دعوى الإيمان يتبجح بها كثير، ولكن لن تكون دعوى أولئك نافعة إلا إذا قاسوا بإيمانهم ووزنوه في الاعتقاد والتوحيد والأعمال والعبادات والأذكار والأخلاق بأخلاق الكملة من الناس الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ وهم معيار النجاة في كل شيء، فمن ابتدع أو أحدث جديداً في الدين: في العقائد، أو الأعمال أو العبادات أو الأذكار أو غير ذلك ثم زعم أنه مؤمن وأن عقائده من الإيمان وأعماله صالحة فهو كاذب وهو من المنافقين)[3].

---

(1) الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٨ (ص: ٣-٥).
(2) الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٦ (ص: ٣).
(3) الهدي النبوي ، مجلد ٢ ، عدد ١٨ ، (ص: ٨).

الوقفة الثالثة: (أثر المنافقين في العالم قديماً وحديثاً).

يقول – رحمه الله – : (إن هذا **العدو الشرير** ، والمخادع الخبيث والماكر المفتن "المنافقون " هم الذين عناهم الله تعالى وفضحهم وأخزاهم بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [1].

– **هذا العدو الشرير** : هو الذي حاول مراراً في حياة الرسول ﷺ أن يطفئ نور الله ، وأبى الله إلا أن يتم نوره على كره ورغم من ذلك العدو اللعين .

– **هذا العدو الشرير** : هو الذي حاول إشعال الفتنة في سقيفة بني ساعدة لولا لطف الله الذي أطفأ شرها بالقوي المحنك عمر بن الخطاب .

– **هذا العدو الشرير** : هو الذي ألّب من حول المدينة من الأعراب الذين لم تطمئن قلوبهم بالإسلام، فكفر من كفر ومنع الزكاة من منع، فرد الله كيد الشيطان في نحره، وأقام لها الصديق الصادق أبابكر رضي الله عنه.

– **هذا العدو الشرير:** الماكر الخبيث هو الذي فكر وقدر، ثم بيت وأوقع الداهية الكبرى والفجيعة العظمى بقتله عمر بن الخطاب " شهيد المنافقين " وانكسار ذلك الباب الذي دخلت منه الفتن على الإسلام من كل صوب، ولن يغلق حتى تقوم الساعة.

– **هذا العدو الشرير** الماكر الخبيث : هو الذي جمع الوقود والحطب للفتنة التي أكلت عثمان بن عفان الشهيد المظلوم ، ورمت المسلمين بعده بالدواهي، فانتهكت حرمة المدينة، وحرمة صحبة رسول الله ﷺ، وحرمة السابقين إلى الإيمان والهجرة والجهاد، وحرمة الخلافة والدولة، وحرمة العرض والكرامة ، بل انتهكت حرمة المسلمين جميعاً فقتلوه وهو يقرأ القرآن.

---

[1] سورة البقرة، آية: (٨)

- **هذا العدو الشرير** الخبيث هو الذي استهان بالأمر بعد قتل عثمان فكان من أيسر الأمور بعد ذلك أن يوقد نار الحرب بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضى الله عنهما، والمقصد وقوع بأس المسلمين بينهم فتذهب ريحهم وتتلاشى قواهم .

- **هذا العدو الشرير:** هو الذي أشعل الحرب بين العلويين والعباسيين .

هذا العدو هو الذي استولى على الدولة الإسلامية باسم البرامكة المجوس.. حتى تبين للخليفة هارون الرشيد بعض أمرهم فنكل بهم أشد التنكيل .

- **وهذا العدو الشرير:** هو الذي فتح على المسلمين أبواب الشبه والشكوك في عقائد القرآن والسنة بما ترجم لهم في عصور بني العباس من كتب اليونان والفرس والفلاسفة.

- **هذا العدو الشرير:** هو الذي جاء إلى مصر من بلاد البربر في المغرب الأقصى متسمياً باسم الفاطميين، ففعلوا بمصر وبلاد المشرق الأفاعيل وبنوا الأوثان ونصبوا من الطواغيت باسم الحسين وغيره، فصرفوا المسلمين عن دين الله وكتاب الله إلى تلك الطواغيت.

- **هذا العدو الشرير:** هو الذي عمل على تفريق الأمة إلى شيع وأحزاب وطوائف مختلفة ومذاهب شتى، وألبس الحق بالباطل فأراهم الهدي ضلالاً والضلال هدى، والشرك توحيداً والتوحيد زيغاً، والذكر كفراً والفسوق والعصيان ذكراً.

وعلى الإجمال نكّس القلوب وعكسها وأعماها... ولا يزال هذا العدو إلى الآن هو الذي يمكن للمستعمر الأوربي في كل بلد إسلامي باسم التصوف والتزهد وبأسماء أخرى، ولا تجد أحداً من المسلمين يبيع نفسه للمستعمر الأوربي ويعمل لنكاية وطنه وأمته إلا أولئك الذين يدعون التصوف والتزهد..

ولا يمكن لمن كان كذلك أن يعرف معنى العزة، ولا أن يتذوق طعم الكرامة؛ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقون لا يفقهون)[1].

وهكذا يرى الفقي -رحمه الله- أن جذور النفاق وأهل النفاق هي وراء كل فتنة حلت بالمسلمين وما خفي كان أعظم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثاً: البدع

البدعة لغة: بدع الشيء يَبْدعُه بَدْعاً وابتدعه: أنشأ وبدأه، وبدع الرَّكِيّة: استنبطها وأحدثها. ورَكيٌّ بديع حديثة الحفر ، والبَدِيعُ والبِدَعُ: الشيء الذي لا يكون أولاً.

والبِدْعةُ: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال[2].

البدعة اصطلاحاً: (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)[3].

ولقد تنوعت تعريفاها عند أهل العلم وإن كانت كلها تنصب في مفهوم واحد ومآل واحد.

قال ابن رجب: (المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة)[4].

ولقد جاءت أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دالة على الاتباع لا الابتداع والامتثال لا الاحتيال.

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٦ (ص: ٣-٨)

[2] انظر: اللسان (٣٤٢/١).

[3] الاعتصام – للشاطبي (٥٠/١)، ط١، ١٤١٢هـ، دار ابن عفان.

[4] جامع العلوم والحكم – ابن رجب (ص: ٢٥٢)، ط٧، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.

الأدلة من القرآن:

١) قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [١].

٢) وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢].

٣) وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٣].

الأدلة من السنة:

١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [٤].

٢) وجاء في حديث العرباض قوله ﷺ : "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" [٥]

٣) وقوله ﷺ في خطبه: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" [٦].

أما السلف فلهم كلام كثير في البدع والتحذير منها ومن أصحابها، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة" [٧].

---

[١] سورة الحشر، آية: (٧).
[٢] سورة النور، آية: (٦٣).
[٣] سورة الأنعام، آية: (١٥٣).
[٤] رواه البخاري – كتاب الصلح، برقم ٢٦٩٧ / ومسلم – كتاب الأقضية، برقم (٤٤٩٢).
[٥] رواه الترمذي – كتاب العلم، ٢٦٧٦ – صححه الألباني / صححه الألباني، برقم ٤٦٠٧ وأبو داود – كتاب السنة.
[٦] رواه مسلم –كتاب الجمعة، برقم ٢٠٠٥/ والنسائي–كتاب العيدين، برقم ١٥٧٨.
[٧] انظر: اللالكائي (٩٢/١) وابن بطة (٣٣٩/١)، ط١ ، ١٤٠٩هـ، دار الراية.

وقال الإمام مالك –رحمه الله– من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [1] فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً"[2].

وقال الإمام أحمد –رحمه الله– (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة)[3].

أما الفقي –رحمه الله– فلقد واجه الكثير من البدع والمبتدعة في حياته ووقف أمامهم بكل قوة من أجل دعوته، دعوة التوحيد، وتحمل ما تحمل من أجلها.

وقد مر معنا سابقاً كثيراً من المواقف التي وقف الشيخ فيها منافحاً ومناصراً للسنة المطهرة ضد الطواغيت بجميع أشكالها وأنواعها يقول رحمه الله: (والطاغوت: وصف يدخل فيه الأشخاص والكتب والأنصاب والقبور والعادات والتقاليد والأهواء والآراء وبالجملة؛ كل صارف للعبد عن ربه. واجتنابه: هو الحرص التام بكل يقظة وبغض وكراهية على البعد عنه وعن كل ما يمت إليه بأي صلة)[4].

---

[1] سورة المائدة، آية: (٣).

[2] انظر: الاعتصام للشاطبي (٤٩/١).

[3] انظر: اللالكائي (١٥٦/١)، تحقيق/ د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، ط٤، ١٤١٨هـ ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢٤١/١)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

[4] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٦ عدد ٩ (ص: ٤).

وسوف أذكر بعضاً من البدع التي تناولها الشيخ في كلامه – سردا – ثم أعقب بعدها بذكر كلام جيد له .

١) بدع القبور والأضرحة.

٢) بدعة المولد النبوي وموالد الأولياء المزعومين.

٣) الاحتفال بعاشوراء والسابع والعشرين من رجب والنصف من شعبان والأعياد المستحدثة.

٤) الغلو في النبي ﷺ وآلِ بيته.

٥) بدعة المحمل وما يصاحبها.

٦) بدع العبادات المستحدثة .

يقول الفقي –رحمه الله – : (لقد كان رسول الله ﷺ يعرف من طبائع الأمم وتحولها عن دين الحق ؛ ما رأى في اليهود والنصارى، وكان يخشى على أمته أن تتردى في مثل ما تردى أولئك المتردون ، فحذر أمته أشد التحذير من تلك الفتنة وخوّف أشد التخويف من دسائس أهل الكتاب وأعطانا سلاحاً قوياً ندفع به عن أنفسنا كيد أعداء الأنبياء من شياطين الجن والإنس ذلك هو القرآن الكريم والسنة المطهرة التي تركها فينا رسول الله ﷺ، من تمسك بهما فلن يضل ولن يشقى قال ﷺ "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي"[1]. وقال: "وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"[2] وقال "لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه"[3].

---

[1] صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٢٩٣٧، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ.

[2] رواه أبو داود – كتاب السنة، برقم ٤٦٠٦ ، صححه الألباني / وابن ماجه – المقدمة برقم ٤٢ ، صححه الألباني.

[3] رواه البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، برقم ٧٣٢٠ / ومسلم – كتاب العلم ، برقم ٦٧٨١.

كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن النبي ﷺ كان حذراً أشد الحذر على أمته من الافتتان بما سيوحيه شياطين الجن والإنس من زخرف القول وغروره رداً لهم عن دينهم وإرجاعاً لهم إلى الكفر بعد إذ أنقذهم الله منه)[1].

بعض الآثار المترتبة على البدع في المجتمعات:

لا شك أن للبدع آثارا تظهر في المجتمعات التي تقّر تلك البدع ولا تنكرها، وهذه الآثار على سبيل الإيجاز هي:

١) اتباع المتشابه: لأن المبتدع تفسد طبيعته ويترك الصواب إلى طريق الضلال، ويُعرف ذلك من سيرهم ومنطقهم.

٢) إماتة السنة: لأنه ما ظهرت بدعة إلا وماتت سنة من السنن، فالبدعة لا تظهر إلا بعد تخلي الناس عن السنة الصحيحة.

٣) الجدل: ظهور الجدل بغير الحق والخصومات في الدين.

٤) اتباع الهوى: اتباع الهوى وعدم التقيد بما شرع الله ، ولا شك أن هذا هو عين الضلال.

٥) مفارقة الجماعة: مفارقة الجماعة وشق عصا الطاعة على جماعة المسلمين سمة معروفة عنهم لاعتمادهم على أهوائهم وشهواتهم.

٦) ضلال الناس: إن المبتدعة لا يقتصر ضلالهم على أنفسهم وإنما يشيعونه بين الناس ويدعون إليه قولاً وعملاً وسلوكا.

٧) الاستمرار في البدع وعدم الرجوع عنها. إن صاحب البدعة إذا أصابه مرضها، لا يرجع عن بدعته بل يستمر فيها حتى يصعب عليه الرجوع والتوبة إلا من رحمه الله وأعانه)[2].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١ عدد ١٢ (ص: ٣٢،٣٣).

[2] انظر: البدع الحولية. عبد الله بن عبد العزيز التويجري (٧٥-٨٠)، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفضيلة.

الباب الثالث

منهج الفقي في الإيمان وبعض مسائله

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
الإيمان

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الرابع: دخول الأعمال في مسمى الإيمان

المبحث الأول
تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً

الإيمان لغة: مادة أَمِنَ معناها في اللغة وثِق واطمأنّ، والأمانة: الوثوق[1]

والإيمان: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق[2]

وقال الاصفهاني: آمن إنما يقال على وجهين: أحدهما متعدياً بنفسه، يقال آمنت أي جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن، والثاني غير متعدّ، ومعناه صار ذا أمن. وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [3]. قيل معناه: بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن[4].

الإيمان: اصطلاحاً.

عرّفه أهل السنة والجماعة: بأنه قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان.[5]

فالإيمان عند السلف يقوم على ثلاثة أركان رئيسة:

أولاً: اعتقاد القلب

ثانياً: قول اللسان

ثالثاً: عمل الجوارح

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (ومن هذا الباب أقوال أئمة السنة في تفسير الإيمان فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: قول وعمل ونية

---

[1] انظر: القاموس المحيط (١٨٢/١) ، والمعجم الوسيط ٢٨/١، لجنة من مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة، استانبول – تركيا.

[2] انظر: لسان العرب (٢٢٤/١)، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٦هـ

[3] سورة يوسف ، آية (١٧)

[4] انظر: المفردات: الأصفهاني ص (٢٦)

[5] انظر: الإيمان لأبي عبيد ص (٥٣)، حققه الألباني، نشر دار الأرقم، الكويت ، انظر: الإيمان لشيخ الإسلام ص(١٢١)، انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٤٥٩/٢)

واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق)[1].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : (هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان)[2].

وقال ابن عبد البر – رحمه الله – : (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً)[3].

قال الفقي – رحمه الله – : (الإيمان استعمل في التصديق.. وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمنٍ وطمأنينة.وهو شرعاً: مجموع ثلاثة أمور: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بموجبه... فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً. هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً) [4].

وقال أيضاً: (والإيمان: إذعان النفس واطمئنانها على سبيل التصديق ،تقول ما أومن بشيء مما تقول أي لا أصدق.

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (١٧٠/٧)

[2] انظر: الفوائد ص١٩٦، لابن القيم، تخريج الحواشي، أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٦هـ.

[3] انظر: التمهيد (٢٣٨/٩)

[4] انظر: مجلة الإصلاح ، مجلد ١ ، عدد ٦ ، ص١-٢

أمـــا الإيمـــان في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾[1] وفي أمثالها فهو ذلك الإذعان والاطمئنان النفسي الذي يثمره العلـم الصادق الذي يكون نتيجة التدبر والمعرفة الصحيحة بآيات الله المنـزلة وصفاته الـتي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ والعلم والمعرفـة الصـحيحة بـالنبي ﷺ وسيرته وهديه وآدابه وأخلاقه وأحواله التي تكشف عما اختصه الله تعالى بـه مـن المزايا والخصائص فيمتلئ القلب من ذلك العلم إجلالاً وإكباراً وعبودية صـحيحة ، وذلاً وإسلاماً لله تعالى وتعظيماً وحباً وطاعة للنبي ﷺ .

وهذا الإيمان الذي تذعن به النفس وتطمئن له عن علم ومعرفة صحيحة هـو الإيمان الصادق وهو الإيمان النافع الذي تظهر آثاره على صـاحبه في جميـع شـئونه وأحواله وعلى جميع جوارحه وحواسه).[2]

---

[1] سورة الحديد ، آية: (١٩)

[2] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١ ، عدد ١١ ، ص١-٢

المبحث الثاني

العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام.

هذه المسألة وقع فيها خلاف مشهور عند السلف، وهو ولله الحمد خلاف فرعي وليس أصلياً.

وللسلف في هذه القضية ثلاثة أقوال:

(أ) التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام وأنهما متغايران لكل واحد منهما معنى يختص به ومدلولاً لا يخرج عنه.

ولقد ذهب إلى هذا القول عبد الله بن عباس والحسن البصري ومحمد بن سيرين والإمام مالك وأحمد واللالكائي وغيرهم كثير.

ومن أدلتهم في ذلك:

١. قوله تعالى ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [١]

٢. قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [٢]

ومن السنة حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجاب ﷺ بما يفيد التفريق بينهما.

(ب) عدم التفريق بينهما وأن الإسلام والإيمان اسمان لمعنى واحد وأنهما مترادفان.

وقد ذهب إلى هذا القول الإمام أبو عبد الله البخاري وأبو عبد الله محمد بن نصر المروزي والحافظ ابن منده وابن عبد البر وابن حزم وغيرهم.

ومن أدلتهم في ذلك:

١- قوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ . [٣]

٢- قوله تعالى ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . [٤]

---

[١] سورة الحجرات ، آية: (١٤).

[٢] سورة الأحزاب ، آية: (٣٥).

[٣] سورة آل عمران ، آية: (٨٥).

[٤] سورة النمل ، آية: (٨١).

٣- قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .[1]

ومن السنة ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "إن وفد عبد القيس لما قدموا على رسول الله ﷺ أمرهم بالإيمان بالله. قال: هل تدرون ما الإيمان بالله، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من المغنم"[2]

(أ) الذين قالوا إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا (إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده فإذا قُورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي).[3]

وذهب إلى هذا القول جماعة من أهل العلم منهم الخطابي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن رجب وغيرهم.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه ﷺ لما سئل عن الإسلام والإيمان؟ ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأصول الخمسة فليس لنا إذا جمعنا بين الإسلام والإيمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمن الإسلام وإذا أفرد الإسلام فقد يكون مع الإسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب)[4].

وقال كذلك: (فإذا قيل: إن الإسلام والإيمان التام متلازمان، لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر، كالروح والبدن، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح، فإنه قائم

---

[1] سورة الذاريات ، آية: (٣٥+٣٦)

[2] رواه البخاري – كتاب العلم، برقم ٨٧ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ١١٦.

[3] انظر: جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، ص٢٦

[4] انظر: مجموع الفتاوى ، ٢٥٩/٧

بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح، بمعنى أنهما متلازمان لأن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر).[1]

أما الفقي فقد ذهب – رحمه الله – إلى أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة وأما الإيمان فهو العقيدة التي تصدر عنها الأعمال إذ يقول: (أما الفرق بين المسلم والمؤمن أو بين الإسلام والإيمان فقد بينه الحديث الصحيح الذي يرويه مسلم عن عمر – رضي الله عنه – قال "بينما نحن جلوس.. الحديث إلى أن قال: فالإسلام هو الانقياد الظاهري لهذه الأركان الخمسة من قول وعمل والله أعلم بما في القلوب، وذلك مصداق قوله ﷺ "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[2] أي أن الإنسان يسمى مسلماً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم متى اعترف بهذه الأركان وعمل بها.

والإيمان هو التصديق الغيبي بالله وبما أتى به من دين، وبرسوله وبما أمر به من سنة، ظاهراً وباطناً بدون شك ولا ارتياب وقد كفلت شرح هذا وتوضيحه أعظم توضيح آية الأعراب من سورة الحجرات ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ .. الآية ﴾ [3]

فالإيمان هو العقيدة التي تصدر عنها مختلف الفضائل التي سُردت في القرآن موزعة على سوره وآياته أو هو الجهاز الذي يحرك الجوارح كلها في طاعة الله وابتغاء مرضاته.

أما الإسلام فثوب يرتديه البر والفاجر والصادق والمنافق والأعمال هي التي تغربله وتنخله.

وفي مواضع كثيرة من القرآن يكاد يكون هو عين الإيمان فإن قوله تعالى ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ ﴾ [4]. يدل

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى ، ٣٦٧/٧

(2) رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٢٥ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٣٦.

(3) سورة الحجرات ، آية: (١٤)

(4) سورة لقمان ، آية: (٢٢)

على أن هذا النوع من الإسلام يشمل الإيمان الكامل، وكذلك قوله تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]، فإن نوع المسلمين الذين لا يسويهم الله بالمجرمين هم أولئك المؤمنون ولا شك ؛ الذين يحول الإيمان بينهم وبين أن يعملوا أعمال المجرمين، وكذلك وصية إبراهيم ويعقوب التي حكاها الله في قوله ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]، لابد أنهما عليهما السلام قصدا هذا النوع من الإسلام المقرون بالعمل الصالح الذي هو ثمرة الإيمان ولب لبابه)[3].

---

[1] سورة القلم ، آية: (٣٥)

[2] سورة البقرة ، آية: (١٣٢)

[3] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٦ ، عدد ٣،٤ ، ص٣٤-٣٦

المبحث الثالث
زيادة الإيمان ونقصانه

من الأصول المعتبرة والثابتة عن أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

فكلما زادت الأعمال من عبادات وقربات وتفكر وتدبر وغير ذلك فإن الإيمان يزيد، وإذا أذنب الإنسان وقصر وعصى ربه فإن ذلك الإيمان ينقص ويقل وهكذا.

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه ذهب إليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن سار على نهجهم من القرون المفضلة ثم من أتى بعد ذلك ممن اقتفى أثرهم ولزم نهجهم رضوان الله عليهم أجمعين.

أدلتهم في ذلك:

١) قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

٢) قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[2]

والآيات في هذا كثيرة.

أدلتهم من السنة:

١) ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[3].

---

[1] سورة آل عمران ، آية: (١٧٣)

[2] سورة الأنفال ، آية: (٢)

[3] رواه مسلم – كتاب الإيمان، برقم ١٥٣ / وابن ماجه – كتاب المقدمة، برقم ٥٧.

٢) ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[١].

٣) ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ : (... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) [٢].

وهناك أدلة كثيرة للسلف غير ما سبق.

أقوال السلف:

قد ثبت لفظ الزيادة والنقصان في الإيمان عن جمع كثير من الصحابة ومن بعدهم، فعن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم قالوا: (الإيمان يزيد وينقص)[٣].

وقال ابن عبد البر – رحمه الله – : (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان)[٤].

ولقد ذهب الشيخ/ الفقي – رحمه الله – إلى نفس ما قاله السلف من أن الإيمان يزيد وينقص وكان دائماً ما يشير إلى ذلك في كلامه، من ذلك قوله : (وللإيمان – الذي تثمره المعرفة اليقظة المتجددة بالله والمعاني القيمة التي تجني وتعصر من آثار أسماء الله وصفاته وسننه وآياته وكتابه – يعيش وينمو ويتوالد ويتجدد، ويتكاثر في جنة العلم والمعرفة والفقه فيما أوحى الله من الهدى ويتغذى باليقظة والحرص على دوام التفكر في سنن الله وتلاوة القرآن حق تلاوته وأن يكون سيره وتنقله في منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٥] مع التحري الشديد لتحقيق

---

[١] رواه مسلم – كتاب الإيمان، برقم ١٧٧ / والنسائي – كتاب الإيمان وشرائعه، برقم ٥٠٠٨.

[٢] رواه البخاري – كتاب الحيض، برقم ٣٠٤ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٢٤١.

[٣] أخرجه الآجري في الشريعة (٥٨٢/٢) وعبد الله ابن أحمد بن حنبل في السنة (٣١٤/١) ، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٩٤٤/٥)

[٤] انظر: التمهيد (٢٣٨/٩)

[٥] سورة الفاتحة ، آية: (٥)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [1]، والوقوف مع ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [2]، فالكفر يطرأ ويتجدد ويزيد وينقص. والإيمان كذلك يطرأ، ويتجدد ويزيد وينقص. لأن أسباب كل واحد منهما قائمة تدعو إلى ذلك، بما قضت به حكمة الله ورحمته من الامتحان والبلاء في هذه الدار ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[3])[4].

ويقول كذلك: (وهذا المعنى في القرآن والسنة كثير واضح لمن يتدبره: أن المؤمن دائماً في زيادة ونمو من تقواه وإيمانه وحبه لله وإخلاصه، وأنه لا يزال يرقى درجات الكمال العلمي والإيماني حتى يلقى الله فيرفعه إلى أعلى درجات الكرامة في جنات النعيم، وعلى عكس ذلك تماماً الكافر بالله وآياته ونعمه..)[5].

---

[1] سورة الفاتحة، آية: (٦)

[2] سورة طه، آية: (١١٤)

[3] سورة الأنبياء، آية: (٣٥).

[4] الهدى النبوي ، مجلد ٢ ، عدد ٤-٧ ، ص٧

[5] المصدر نفسه ، مجلد ١٠، عدد ٦ ، ص١٧٨

المبحث الرابـــع

دخول الأعمال في مسمى الإيمان

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد كما هو ظـــاهر في كتبهم وقد مر معنا ذلك سابقاً.

قال الآجري – رحمه الله –: (اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الـــذي عليــه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصــديق بالقلــب وإقــرار باللسان وعمل بالجوارح. ثم أعلموا أنه لا تجزي المعرفة بالقلــب والتصــديق إلا أن يكون معه الإيمان بالله نطقاً، ولا تجزي معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دل على ذلــك الكتــاب والسنة وقول علماء المسلمين).[1]

وقال البغوي – رحمه الله –: (اتفقت الصحابة والتابعون ومن بعــدهم مــن علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وقالوا إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيــد بالطاعة وينقص بالمعصية)[2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (ولهذا كان القــول: إن الإيمــان قول وعمل عند أهل السنة من شعائر السنة، وحكى غــير واحــد الإجمــاع علــى ذلك)[3].

وقد استدل السلف –رحمهم الله تعالى– بالقران والسنة،وأذكر منها ما يلي:

الأدلة من القرآن الكريم:

١) قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾.[4]

٢) قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.[5]

---

[1] الشريعة ، للآجري، ٦١١/٢

[2] شرح السنة، للبغوي، ٣٨/١

[3] الإيمان، لابن تيمية/ ٢٩٢

[4] سورة البقرة ، آية: ١٤٣

[5] سورة الرعد، آية: ٢٩

٣) قولـه تعـالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... الآية ﴾ [١]

الأدلة من السنة المطهرة:

١) ما رواه أبو هريرة قال ﷺ : (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)[٢].

٢) ما رواه ابن عمر قال: قال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[٣].

٣) حديث أبي هريرة قال ﷺ : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[٤].

وقد ذهب الفقي – رحمه الله – إلى موافقة السلف في كون الأعمال داخلة في الإيمان وأنها لا تنفك عنه مطلقاً؛ حيث كان يربط بينهما في كثير من كلامه.

يقول: (والله سبحانه وتعالى لا يذكر الإيمان إلا مقروناً بالعمل الصالح وهذا يدل على من تدبر القرآن بقلب سليم أن الإيمان لن يكون في قلب حتى يكون له على الجوارح نور ظاهر وأثر صالح وهو تلك الأعمال الصالحة التي أحبها الله ورضيها لعباده المتقين.. ولن يعرف لذة العمل الصالح ويجد سكينته من لم يذق حلاوة الإيمان الصادق من جني ثمرات كتاب الله وهدى رسول الله ﷺ)[٥]

ويقول كذلك: (كل من ضيع عبادة الله فلم يقم بها على ما أمر الله، واتبع هواه، فليس ذلك من الإيمان الصادق في شيء وإن حلف أغلظ الأيمان أنه من

---

[١] سورة الأنفال، آية ٢-٤

[٢] رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٩ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ١٥٢.

[٣] رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٢٥ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٣٣.

[٤] رواه الترمذي – كتاب الرضاع، برقم ١٦٢، قال عنه الألباني حسن صحيح / وأبو داود – كتاب السنة، برقم ٤٦٨٢ – وقال عنه الألباني حسن صحيح.

[٥] انظر: الهدى النبوي، مجلد ٣ ، عدد ٢٦ ص٢+٣

المؤمنين الصادقين، فما الإيمان بالأماني الكاذبة وإنما هو العلم الصحيح والاعتقاد الطيب والعمل الصالح ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [1])[2].

ويقول: (ليس الإيمان بالتمني والدعوى ولكن الإيمان ما وقر في القلب عن علم صادق بأسماء الله وصفاته وكتبه ورسله وصدقه العمل)[3].

ويذهب – رحمه الله – إلى أن من الأعمال ما تركه كفر، حيث يذهب إلى تكفير تارك الصلاة ، يقول: (وقد حكم الله ورسوله على مضيع الصلاة بأنه مشرك وكافر، لاحظ له في الإسلام قال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [4] وقال ﷺ (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله)[5])[6]

ويقول كذلك (لا ينفع الصيام مع ترك الصلاة مطلقاً، ولا ينفع شيء من الأعمال مع ترك الصلاة ولا يمكن أن يكون صياماً إسلامياً، ولا زكاة إسلامية، ولا حجاً إسلامياً على ما يحب الله ويرضى إلا إذا كان كل ذلك مقروناً بإقامة الصلاة والمحافظة عليها في وقتها)[7].

يقول شارح الطحاوية – رحمه الله –: (فإذا كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى)[8].

---

(1) سورة النساء ، آية: ١٢٤

(2) انظر: الهدى النبوي ، مجلد ٧ ، عدد ٧ ص٣

(3) انظر: المصدر نفسه ، مجلد ١٩ ، عدد ٧،٨ ص١٢

(4) سورة الروم ، آية: ٣١

(5) رواه البخاري – كتاب مواقيت الصلاة، برقم ٥٥٣ / والنسائي – كتاب الصلاة، برقم ٤٧٤.

(6) انظر: الهدي النبوي، مجلد٢، عدد١٧، ص٥

(7) انظر: المصدر نفسه ، مجلد ٢ ، عدد ١٨ ، ص٤٤

(8) انظر: شرح الطحاوية ، (٤٧٦/٢) ابن أبي العز.

الفصل الثاني

الإيمان بالنبوات والكتب المنزلة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

المبحث الثاني: حكم المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

المبحث الثالث: الإيمان بنبوة محمد ﷺ

المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن الكريم وما قبله من الكتب

المبحث الأول

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

أولاً: تعريف النبي والرسول في اللغة:

النبي لغة: مشتق من النبأ، وهو الخبر كما في قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾[1].

وقيل: إن النبي مأخوذ من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض أو لارتفاع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير مهموز. وقيل النبي الطريق.. الأنبياء طرق الهدى)[2].

الرسول لغة: (مشتق من الإرسال، ومعناه البعث والتوجيه والإطلاق والامتداد، يقال: أرسلت فلاناً في رسالة: أي بعثته، فهو مرسل ورسول ويجمع على أرسل ورسل ورسلاء، وإنما سموا الرسل بذلك لأنهم مبعوثون من الله وموجهون منه سبحانه لتبليغ أوامره ووحيه لخلقه)[3].

ثانياً: تعريف النبي والرسول اصطلاحاً

لقد تعددت الآراء في تعريف النبي والرسول إلى أقوال كثيرة، لكن أشهرها: أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. والنبي من أوحي إليه بشرع و لم يؤمر بتبليغه"[4].

فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

---

[1] سورة النبأ ، آية: ١-٢

[2] انظر: الصحاح للجوهري ٧٤/١، وتهذيب اللغة ٤٨٦/١٥، والمفردات للأصفهاني ص٤٨١-٤٨٢ ، لسان العرب ١٦٢/١

[3] انظر: المفردات للأصفهاني (١٩٥) ، لسان العرب (٢٨٣/١١) والقاموس المحيط ١٣٠٠

[4] انظر: لوامع الأنوار البهية ٤٩/١ ، للسفاريني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.

وهذا التعريف لا يستقيم، إذ قد جاءت نصوص تبين أن الأنبياء هم كذلك مأمورون ومكلفون بالإبلاغ وأن ذلك ليس حكراً على الرسل.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد"[2] فالآية تبين أن التكليف بالإرسال يشمل مسمى (الرسول والنبي)، والحديث يظهر أن الأنبياء لهم أتباع اتبعوهم، آمنوا بهم وصدقوهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وإما إذا كان إنما يعمل بشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول... فقوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[3] دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولاً عن الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم...)[4].

وقال صاحب أضواء البيان – رحمه الله – (وآية الحج تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه – غير صحيح، لأن قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[5] ، يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير...)[6]

---

[1] سورة الحج ، آية: ٥٢

[2] رواه البخاري – كتاب الطب، برقم ٥٧٠٧ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٥٢٧.

[3] سورة الحج، آية: ٥٢

[4] انظر: النبوات، ص٢٥٥-٢٥٦

[5] سورة الحج، آية: ٥٢

[6] انظر: أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي ، ٧٣٥/٥

فالذي يظهر من الجمع بين النصوص وهو أيضاً ما ذهب إليه شيخ الإسلام أن النبي هو الذي أوحي إليه بخبر وأمر بتبليغه لأناس هم مؤمنون به ويعرفون صدقه ومكانته، فهم كالعلماء بين الناس أما الرسول فهو الذي أرسل إلى قوم مخالفين مكذبين لا يقرون له بالرسالة ولا بالدين الخالص فيدعوهم إلى التوحيد وإلى الصراط المستقيم ويحدث ما يحدث بينهم وبين أقواههم والله تعالى أعلم[1].

أما الفقي فهو يذهب إلى القول المشهور وهو أن النبي أوحي إليه و لم يؤمر بالتبليغ؛ فإن أمر بالتبليغ فهو رسول.

يقول – رحمه الله –: (النبي في اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لما له شأن، والنبي بالتشديد أكثر استعمالاً، أبدلت الهمزة فيه ياء، أو هو من النبوة وهي الرفعة والشرف.

ويطلق عند أهل الكتاب على الملهم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة، وهو عندنا من أوحى الله إليه وحياً، فإن أُمر بتبليغه كان رسولاً فكل رسول نبي وما كل نبي رسول)[2].

---

[1] انظر : النبوات ، شيخ الإسلام ، (ص:٢٢٥-٢٥٧).

[2] انظر : الهدى النبوي ، مجلد ٦ ، عدد ٣،٤ ، ص٣٢.

المبحث الثاني
حكم المفاضلة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

التفاضل بين الأنبياء ثابت بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وهذا ما درج عليه السلف رحمهم الله تعالى حيث أثبتوا هذه المسألة وحكوا فيها الإجماع.

أولاً: أدلتهم من القرآن الكريم:

- قوله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ [1].
- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [2].
- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [3].

ثانياً: أدلتهم من السنة:

- روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعِلَت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون"[4].
- روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر"[5].

---

[1] سورة البقرة، آية: (٢٥٣).

[2] سورة الإسراء، آية: (٥٥).

[3] سورة النمل، آية: (١٥).

[4] رواه مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم ١١٦٧ / وأحمد برقم ٩٣٣٧.

[5] رواه الترمذي – كتاب المناقب، برقم ٣٦١٥، صححه الألباني/ وابن ماجه – كتاب الزهد، برقم ٤٣٠٨ – صححه الألباني.

ولقد أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض[1]. إلا أنه هنا قد يحدث إشكال لورود بعض الأحاديث التي تنهى عن التفضيل بين الأنبياء مثل:

- ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تخيروا بين الأنبياء"[2].
- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله"[3].

والحقيقة أن العلماء قد أجابوا على هذا الإشكال بإجابات كثيرة لعل من أبرزها ما يلي:

١) أن المراد بالنهي هو منع التفضيل من عند أنفسنا لأن مقام التفضيل إنما هو إلى الله.

٢) أن التفضيل المنهي عنه ما كان بسبب الآراء والعصبية.

٣) أن التفضيل المنهي عنه الذي يؤدي إلى الخصومة والشحناء والتشاجر.

٤) أن التفضيل المنهي عنه الذي قد يؤدي إلى توهم النقص في المفضول أو الغض منه والإزراء به[4].

قال الشوكاني –رحمه الله-: (والمراد بتفضيل بعضهم على بعض أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر، فكان الأكثر مزايا فاضلاً والآخر مفضولاً... أي أن التفضيل على علم منه سبحانه بمن هو أعلى مرتبة، وبمن دونه، وبمن يستحق مزيد الخصوصية بتكثير فضائله... وقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً وجعل عيسى كلمته وروحه، وجعل سليمان ملكاً عظيماً، وغفر لمحمد ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر وجعله سيد ولد آدم)[5].

---

[1] انظر: تفسير الرازي ، دار إحياء التراث العربي، ط٣، (١٩٥/٦)، انظر: ابن كثير (٤٧/٣)، انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، (٢٢٦/١)، للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت.

[2] رواه البخاري – كتاب الديات، برقم ٦٩١٦ / ومسلم – كتاب الفضائل، برقم ٦١٥٦.

[3] رواه البخاري – كتاب أحاديث الأنبياء، برقم ٣٤١٤ / ومسلم – كتاب الفضائل، برقم ٦١٥١.

[4] انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة. محمد بن عبد الرحمن الشظيفي (ص: ١٦٠-١٦٤)، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٩هـ.

[5] انظر: فتح القدير للشوكاني (٢٦٨/١) وكذلك (٢٣٥/٣).

وقد ذهب الفقي -رحمه الله- إلى ما ذهب إليه السلف حيث ذكر عدداً من الخصال التي تميز بها الرسول ﷺ عن سائر الأنبياء والتي جاءت في أحاديث كثيرة ثم قال بعد أن سردها: (... فينتظم من الأحاديث سبع عشرة خصلة امتاز بها رسول الله ﷺ على إخوانه الأنبياء... والرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء الذي أوتي ما لم يؤت أحدٌ من الأنبياء قبله)[1].

فأثبت الفقي التفاضل بين الأنبياء؛ بذكره الفضائل التي تميز بها النبي ﷺ عن باقي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(1) انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ١، (ص: ١٣-١٧).

المبحث الثالث

الإيمان بنبوة محمد ﷺ

الإيمان بنبوة محمد ﷺ هو أحد ركني شهادة التوحيد فلا يمكن أن يكون الإنسان مسلماً حقاً إلا بتحقيق ركني الشهادة.

الأول: لا إله إلا الله.

الثاني: أن محمد رسول الله.

فهما متلازمان لا ينفكان أبداً. ومما يجب اعتقاده أنه ﷺ قد بعث عامة للجن والإنس مبشراً وهادياً ونذيراً.

والإيمان بالرسول ﷺ يقوم على ثلاثة أمور:

أولاً : تصديقه.

ثانياً: طاعته.

ثالثاً: اتباع شريعته[1].

أما تصديقه ﷺ فيتعلق به أمران عظيمان:

أحدهما: إثبات نبوءته وصدقه فيما بلّغه عن الله، وهذا مختص به ﷺ. ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

١) الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.

٢) الإيمان بكونه خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

٣) الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

٤) الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة.

٥) الإيمان بعصمته ﷺ.

٦) الإيمان بما له من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه ﷺ.

---

[1] انظر: اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم (ص: ٩٢)، لابن تيمية، دار الحديث.

الثاني: تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه، وهذا يجب عليه ﷺ وعلى كل أحد.

أما طاعته واتباع شريعته:

فهي تعني الانقياد له ﷺ وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [1])[2].

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ:

أولاً: القرآن الكريم:

١) قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[3].

٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

ثانياً: السنة المطهرة:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"[5].
- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[6].

---

(١) سورة الحشر، آية: (٧).

(٢) انظر: حقوق النبي ﷺ على أمته. محمد خليفة التميمي (١/٣٤-٣٦)، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ.

(٣) سورة الأعراف، آية: (١٥٨).

(٤) سورة الحجرات، آية: (١٥).

(٥) رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٢٥ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ١٢٩.

(٦) رواه البخاري – كتاب الإيمان، برقم ٢٥ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ١٢٦.

يقول الفقي -رحمه الله-: (وعلى المسلم أن يصل ما بينه وبين رسول الله إمام المرسلين وسيد المهتدين وإمام المتقين محمد ﷺ بمعرفة سيرته وآدابه وأخلاقه ورسالته وما بعثه الله به من الهدي والنور والحكمة، معرفة تملأ قلبه إيماناً ونوراً وهدى وإجلالاً وتعظيماً وتوقيراً لرسول الله ﷺ توقيراً يجعل هذا الرسول أحب إليه من نفسه وولده ومن كل شيء، بحيث يكون أسر شيء عنده وأحب شيء لديه هو حبه وطاعته واتباع رسالته وإن كان في ذلك بغض وكراهية ومقاطعة الناس كلهم، بل وإن كان في ذلك حتفه وذهاب روحه، فإنه يرى أن موته في نصر رسول الله ﷺ وإعزاز دينه وإعلاء كلمته هو الحياة الطيبة)[1].

ويقول كذلك: (ولقد قضت حكة الله ورحمته بالإنسان أن يرسل إليه هؤلاء الرسل في كل زمان ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ويهدوهم إلى صراط الله العزيز الحميد، ولتقوم حجة الله على الناس، وكان كل رسول يبعث إلى قومه خاصة، وقد يكون في الوقت الواحد رسولان وعدة رسل، بل في الأمة الواحدة رسولان وأكثر على قدر طاقة الرسل وحاجة الأمة، ولقد بعث الله محمداً ﷺ للناس كافة بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه القرآن جامعاً لكل أنواع الهدى والرحمة ومتناولاً للكل شئون الحياة)[2].

ويقول الفقي -رحمه الله-: (وتنحصر دعوة رسل الله - من أولهم نوح إلى آخرهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام في أساسين:

الأول: معرفة الطواغيت في العقيدة والشريعة، واجتنابها ومقتها ومحاربتها بكل وسع وطاقة.

الثاني: معرفة الله بأسمائه وصفاته وسننه وآياته وإخلاص الحب والتعظيم والعبادة له وحده ومعرفة ما أوحى إلى رسوله من الدين الذي ارتضى لعباده أن يدينوا له به والاستقامة على ذلك علماً وعقيدة وعملاً وحكماً)[3].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٧ عدد ١٠ (ص: ٣،٤).
[2] انظر: المصدر نفسه مجلد ٩ عدد ٩ (ص: ٢٩١).
[3] انظر: المصدر نفسه مجلد ١٦ عدد ٩ (ص: ١٢،١١).

دلائل صدقه ﷺ:

أولاً: المعجزة الخالدة "القرآن الكريم".

فقد جاء القرآن الكريم بكل ما فيه من إعجاز وبلاغة وبيان شاهدًا على صدق رسالة محمد ﷺ،وكفى بذلك حجة وإثباتًا.

يقول الفقي –رحمه الله-: (... كل من عنده الأسباب العلمية الفطرية ثم عرف لغة هذا الكتاب معرفة يفهم بها أسلوبه المعجز، ينكشف له خصائص هذا الكتاب وما جاء به من الهدى والرحمة؛ وما في نفسه من آيات كونية وعلمية فإنه لا بد أن يؤمن إيماناً قوياً بأنه من عند الله لا من عند البشر وقد شهد هذه الشهادة كثير من فلاسفة أوروبا وغيرهم، وآمن منهم كثير لأنهم درسوه دراسة صحيحة على ضوء المستحدثات من العلوم والصناعة، فعلموا أن محمدا الأمي الناشئ في جبال مكة وصحراء الجزيرة العربية لا يمكن أن يتحدث من نفسه عن هذه العلوم الفلكية والجيولوجية.

وهذه آية واضحة على أن معجزة القرآن هي أقوى وأدل معجزة على صدق رسول الله ﷺ من كل معجزات الأنبياء السابقين، لأن القرآن لا يزال بنفسه ينادي بأنه حق من عند الله؛ إنه الهدى والرحمة)[1].

ثانياً: بشارة التوراة به ﷺ:

فلقد جاءت الكتب السابقة منوهة ومبشرة ببعثة النبي الخاتم ،وأنه نبي آخر الزمان.

يقول الفقي –رحمه الله-: (لما جاء اليهود كتاب الله (القرآن)، الذي يعلمون يقيناً أنه من عند الله بما قام من الآيات على صدق من جاء به، وأنه النبي الذي نعته وصفته عندهم في التوراة، قد بشر به موسى وأخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإيمان به ونصره وتعزيره، وهم لهذا كله ولغيره من الآيات يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ٧ (ص: ٢٢٦-٢٢٧).

ففي التوراة في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكبره جداً".

وفي الإصحاح الثامن عشر سفر التثنية قول موسى لنبي إسرائيل: "يقيم لكم الرب إلهكم نبياً من وسط إخوتكم مثلي له تسمعون حسب ما طلبت من الرب إلهكم في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة لئلا أموت قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيتكلم بكل ما أوحيه"، فقوله "من اخوتهم" أي من بني إسماعيل لا من ولد إسحاق.

وقوله "أجعل كلامي في فمه" يشير إلى أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب)[1].

ثالثاً: الإسراء والمعراج.

حادثة الإسراء والمعراج من أكبر وأشد الدلائل على صدق النبي ﷺ وعلى هذا أطبقت كتب السلف رحمهم الله تعالى.

يقول الفقي –رحمه الله– بعد أن ذكر حديث الإسراء المروي في الصحيحين (...وهناك روايات كثيرة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة تفيد التواتر المثبت قطعاً لمعجزة الإسراء والمعراج.

واعلم بأن هذا إنما هو من علم الغيب الذي نؤمن به كما ورد وثبت؛ ولا نجادل فيه ولا نقيس عليه ، فلا شك أن رسول الله ﷺ كان له في تلك الليلة حالة خاصة بها تم له ما أراد ربه من هذه المعجزة.

إن هاتين المعجزتين الإسراء والمعراج – كانتا بجسمه ﷺ يقظة لا مناماً، بقدر الله القوي الكبير المتعال الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٥ عدد ٦،٧ (ص: ٢٠٣).

وقد جاء الخبر الصادق به عن عيان من رسول الله ﷺ ،ولا نقول شيئاً إلا ما قال الصديق وإخوانه من المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعـــوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ولا نماري فيما أراه ربنا من آياتـــه الكـــبرى لنبينا ﷺ في هذه الليلة الكريمة كما مارى كفار قريش وكما يماري خلفهـــم اليـــوم من الملحدين الجاهليين الكافرين)[1].

---

[1] الهدي النبوي مجلد ٢٢ عدد ٨-١٠ (ص: ١٦،١٧).

المبحث الرابع

الإيمان بالقرآن الكريم وما قبله من الكتب

الإيمان بالقرآن الكريم وما قبله من الكتب المنزلة من عند ا لمولى جلّ وعلا ركن من أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان أحد-كائناً من كان- حتى يؤمن بها جميعاً.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2].

ومن السنة قوله ﷺ لجبريل عندما سأله عن الإيمان فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"[3].

والكتب المذكورة في القرآن هي التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم .

والمؤمن تجاه الكتب السماوية يؤمن بها على طريقتين:

الطريقة الأولى: الإيمان الإجمالي، فهو يؤمن بها جميعاً أنها من عند الله سبحانه وتعالى، أولها صحف إبراهيم وآخرها القرآن الكريم.

الطريقة الثانية: الإيمان التفصيلي، وهو أن جميع الكتب السابقة قد حرفت، أما القرآن فقد تكفل الله بحفظه وأوجب على المؤمن أن يعمل به ويطبقه ويتبعه دون ما سواه.

---

[1] سورة البقرة، آية: (٢٨٥).

[2] سورة النساء، آية: (١٣٦).

[3] رواه مسلم – كتاب الإيمان، / والنسائي – كتاب الإيمان وشرائعه، برقم ٤٩٩٠.

يقول الفقي -رحمه الله-: (والإيمان بما أنزل على محمد ﷺ، أن يوقن المسلم يقيناً تطمئن إليه النفس تمام الاطمئنان بأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يطلب العلم إلا منه، ولا يرضى بالحق إلا منه ولا يقبل التحاكم في كل شئون الدنيا والآخرة إلا إليه.

والإيمان بما أنزل الله من الكتب السابقة: معناه الإيمان بأن الله العليم الحكيم جل شأنه لم يترك الإنسان في أي دور من أدواره سدىً وأن الله سبحانه يبعث المرسلين بما يصلح حياتهم من الشرائع والآداب والأحكام، فكلما تطورت الإنسانية بعث الله إليها رسولاً بدين يلائمها، يناسب حالتها فيمحو من الشريعة السابقة وينسخ ويثبت في الكتاب الجديد من الكتاب السابق ما يشاء مما يكون نفعه مستمراً والحاجة إليه باقية كالتوحيد والإيمان بالله والكفر بما يعبد من دونه مثلاً، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[2]، يعني لكل نبوة ورسالة أجل ولكل أجل كتاب، ومازال الإنسان يترقى حتى وصل إلى أكمل درجات الرقي الإنساني ولم يبق من الدنيا، إلا صبابة كصبابة الإناء، بعث الله خاتم الأنبياء محمدًا ﷺ وختم بكتابه الكتب وبشريعته الشرائع وجمع فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان إلى آخر الدهر)[3].

ويقول كذلك مبيناً فضل الله على هذه الأمة بحفظ كتابها وما أصاب الأمم السابقة من تحريف لكتبهم وعلى رأسهم اليهود: (...ولقد نال التوراة ما نالها من

---

[1] سورة البقرة، آية: (٢١٣).

[2] سورة الرعد آية (٣٨،٣٩).

[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٤، (ص: ١-٦).

التحريف والتبديل فلا تقارن بمن حفظ الله لهم الكتاب المبين كما أنزله وأقسم لهم أنه يسره لكل متذكر ومتدبر وحضهم على فهمه...)[1].

قال شارح الطحاوية: (وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى)[2]

---

[1] انظر: الهدي النبوي، مجلد ٢٣، عدد ٢، (ص: ١١).

[2] انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٢٥).

الفصل الثالث

الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لذلك.

المبحث الثالث: القضاء والقدر ولزوم اتخاذ الأسباب.

المبحث الرابع: سقوط القول بالاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً

تعريف القضاء لغة:

قال الجوهري (القضاء: الحكم، وأصله قضاي لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، والجمع أقضية.

وقضى: أي حكم ومنه قوله تعالى "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"[1]. وقد يكون بمعنى الفراغ تقول: قضيت حاجتي، وضربه فقضى عليه أي قتله كأنه فرغ منه.

وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء تقول: قضيت ديني ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2].

وقد يكون بمعنى الصنع والتقدير، يقال قضاه أي صنعه وقدره ومنه قوله تعالى ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[3])[4].

تعريف القدر لغة:

قال الجوهري "قدر الشيء مبلغه، وقَدَر الله وقَدْرُهُ بمعنىً واحد، وهو في الأصل مصدر. وقال الله تعالى ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[5]، أي عظموا الله حق تعظيمه.

والقَدَرُ والقَدْرُ أيضاً ما يقدره الله عز وجل من القضاء)[6].

---

[1] سورة الإسراء، آية: ٢٣

[2] سورة الإسراء، آية: ٤

[3] سورة فصلت، آية: ١٢

[4] انظر: الصحاح (٢٤٦٣/٦)

[5] سورة الحج، آية: ٧٤

[6] انظر: الصحاح (٣٢٣/٤)

تعريف القضاء والقدر اصطلاحاً:

(هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.

ومراتب القدر أربع وهي إجمالاً:

الأولى: العلم: أي أن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم.

الثانية: الكتابة: أن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

الثالثة: المشيئة: أي أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابعة: الخلق والتكوين: أي أن الله خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد)[1].

ولكن هل هناك فرق بين القضاء والقدر؟ أما أنهما لفظان مترادفان؟

لقد ذهب أهل العلم في ذلك إلى فريقين:

الأول: قالوا: إنه لا فرق بين القضاء والقدر، وإنه متى ما أطلق التعريف على أحدهما فإنه يشمل الآخر. فلا فرق بينهما في اللغة و لا دليل على التفريق بينهما في الشرع.

الثاني: قالوا بالفرق بينهما، لكنهم اختلفوا في التمييز بينهما على أقوال عدة، أذكر منها ما يلي:

القول الأول: القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر: الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل.

القول الثاني: إن القدر هو التقدير والقضاء هو التفصيل والتقطيع وهذا القول هو عكس القول السابق.

---

[1] انظر: القضاء والقدر، د/ عبد الرحمن المحمود ، ص٣٩ ، دار الوطن ، ط١٤١٨،٢.

القول الثالث: ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل.

والخلاصة أنه لا فائدة من هذا الخلاف، لأنه قد وقع الاتفاق على أن أحدهما يطلق على الآخر، وعند ذكرهما معاً فلا مناصة من تعريف أحدهما بما يدل عليه الآخر[1].

يقول الإمام الخطابي – رحمه الله –: (وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه)[2].

---

[1] انظر: انظر القضاء والقدر ، د/ المحمود "٤٠-٤٤".

[2] انظر: معالم السنن ، للخطابي (٣٢٣/٤) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ط٢

المبحث الثاني

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لذلك

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان والذي لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بها جميعاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (أصل هذه المسألة هو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك...)[1].

والحياة لا تستقيم مطلقاً إلا بالإيمان بالقضاء والقدر إيماناً لا يخالطه شك أو ريب، وتسليماً يجعل من صاحبه راضياً ومسلّماً بكل ما يحدث له في هذه الدنيا، موقناً بأن الله سبحانه وتعالى قد كتب مقادير كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.[2] كما جاء في الحديث وسوف يمر معنا .

فالإيمان بالقدر سعادة في الدنيا وسعادة في الأخرى، لأن العبد إذا كان موقناً بأن ما يصيبه من خير وعطاء أو شر وبلاء هو من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطاءه لم يكن ليصيبه، أصبح قلبه متعلقاً بربه وخالقه وصار وثيق الصلة بل دائم الصلة به سبحانه.

وقد دلّ على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر الكتاب والسنة.

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى ، ٨/٤٤٩-٤٥٠

[2] انظر: صحيح مسلم – كتاب القدر، رقم ٦٧٤٨.

الأدلة من القرآن الكريم:

١) قوله تعالى ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.[١]

٢) قوله تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.[٢]

٣) قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣]

الأدلة من السنة المطهرة:

١) حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال" قال رسول الله ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[٤].

٢) حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قالت أم حبيبة: اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي، أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ : (إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة، وأرزاق مقسومة، لا يُعَجّل شيئاً منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئاً قبل حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيراً لك"[٥].

٣) حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[٦].

---

[١] سورة التوبة ، آية: (٥١)

[٢] سورة الحديد،آية: (٢٢)

[٣] سورة القمر، آية: (٤٩)

[٤] رواه مسلم – كتاب القدر، برقم ٦٧٧٤ / وابن ماجه – كتاب المقدمة، برقم ٧٩.

[٥] رواه مسلم – كتاب القدر، برقم ٦٧٧٢.

[٦] رواه مسلم – كتاب القدر، برقم ٦٧٤٨ / والترمذي – كتاب القدر، برقم ٢١٥٦.

قال الفقي – رحمه الله –: (والكتاب: يعني به سبحانه: الكتاب المكنون، وهو الذكر، وهو اللوح المحفوظ المكتوب فيه الكتب والرسالات المنزلة كلها على الأنبياء والمرسلين جميعاً عليهم الصلاة والسلام بما فيها من علوم وعقائد وشرائع وأوامر ونواهي ونُذُر وعبر.

وهو الكتاب الذي كتب الله فيه كل شيء هو كائن إلى يوم القيامة. وهو كتاب القدر الذي جاء فيه الحديث الذي رواه البخاري –في أول كتاب بدء الخلق– عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ "كان الله و لم يكن شيء معه، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض – الحديث"[1] وروى أحمد والترمذي – وصححه – من حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – مرفوعاً "أول ما خلق الله القلم. ثم قال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة"[2]. وقد ذكر الله هذا في مواضع كثيرة من آيات القرآن منها قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[3])[4].

ويقول كذلك: (كل ما في الوجود شيء، وأنا شيء، وأنت شيء، وربنا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو خالق كل شيء. وأن كل شيء دبرّه ربي وربك، ويعلم وحده سره، ولا علم لنا إلا بما يعلمنا الله سبحانه، "له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بحكمته ورحمته إنه بكل شيء عليم)[5].

---

[1] رواه البخاري ،كتاب بدء الخلق — برقم ٣١٩١ ،

[2] حديث صحيح رواه أحمد (٣٧٨/٣٧) والترمذي – كتاب تفسير القرآن، برقم ٣٣١٩ ، صححه الألباني.

[3] سورة الأنعام، آية: (٥٩).

[4] انظر: مجلة الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد٣، ص٤٥ .

[5] انظر: الهدى النبوي ، مجلد ١٨ ، عدد ٦ ، ص٤٥

المبحث الثالث

القضاء والقدر ولزوم اتخاذ الأسباب

إن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني العجز والركون إلى الدعة والسكون، ولا يمنع من اتخاذ الأسباب والسعي في طلبها، وكذلك لا يجعل الإنسان يركن إليها مجرداً نفسه من قضية الاعتماد على الخالق سبحانه.

فالله سبحانه وتعالى أمر الخلق بالسعي في الأرض واتخاذ الأسباب وإعمال الفكر والجهد لطلب الرزق والنفع، قال تعالى "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور"[1].

ولقد سلك الناس في مسألة (الأسباب) عدداً من المسالك، وهي دائرة بين الإفراط والتفريط والوسط وأقوالهم كالتالي:

١) من اعتمد على الأسباب بالكلية من غير النظر إلى مسببها:

وهذا هو الذي عناه العلماء بأنه " شرك في التوحيد " لأن الأسباب على رأيهم هي المسببة بذاتها، وهذه هي نظرة الماديين والعقلانيين قديماً وحديثاً ولذلك وقعوا في الشرك، لأنهم أثبتوا موجداً مع الله تعالى وخالفوا الشرع والحس.

٢) من أعرض عن الأسباب بالكلية واعتمد على المسبب:

وهذا هو مفهوم غالب الصوفية للتوكل ومن وافقهم في هذا الفهم المنحرف. فهم لا يرون تحقيق التوكل إلا بالإعراض التام عن الأسباب، لأن الالتفات إلى الأسباب مناف لحقيقة التوكل على زعمهم. فالتوكل ينافي العمل والكسب واتخاذ سائر الأسباب. وهذا القول هو الذي حكم عليه العلماء بأنه قدح في الشرع لأن الله أمرنا بالأسباب الشرعية ورتب عليها الثواب والعقاب.

---

[1] سورة الملك، آية: ١٥

٣) من نفى تأثير الأسباب بالكلية:

وهذا القول هو الذي وصفه العلماء بأنه "نقص في العقل" وهو قول القدرية الجبرية أتباع جهم بن صفوان في الجبر وتابعهم على ذلك بعض الأشاعرة.

وعندهم أن الله لم يخلق شيئاً بسبب، ولا جعل في الأسباب قوى وطبائع تؤثر. فليس في النار قوة الإحراق، ولا في السم قوة الإهلاك. بل الله سبحانه يحدث هذه الآثار عند ملاقاة هذه الأجسام بها.

قال شيخ الإسلام عن هذا المذهب: (وهذا الأصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين. بل ومخالف لصريح العقل والحس والمشاهدة)[١].

٤) من ذهب إلى قيام الجوارح بالأسباب واعتماد القلب على مسبب الأسباب:

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو الحق الذي دلت عليه النصوص الشرعية والدلائل العقلية. فأثبت للأسباب تأثيراً في مسبباتها، لكن لا بذاتها، بل بما أودعه الله فيها من القوى الموجبة وهي تحت مشيئته وقدرته، إن شاء أوقع أثرها وإن شاء صرفه[٢].

والذي ينظر إلى سيرة النبي ﷺ يجد أحسن المثل وأصدق العمل في الموازنة بين الإيمان بالقضاء والقدر واتخاذ الأسباب.

فهو عليه الصلاة والسلام كان يعرض نفسه على القبائل يدعوهم للإسلام، وسافر إلى الطائف لعله أن يجد من ينصره ، ثم هاجر إلى المدينة منتقلاً بدعوته إلى وسط آخر وبيئة أخرى للدعوة بعد أن بذل الأسباب بإرساله مبعوثه مصعب بن عمير – رضي الله عنه – لتهيئة مكان للدعوة، ثم إنه ﷺ أرسل الكتب إلى الملوك يحثهم ويدعوهم إلى الإسلام، وقام بجهاد قريش واليهود وغيرهم كل ذلك مع حسن توكله على الله وشدة تعلقه بربه ومولاه.

---

(١) رسالة في تحقيق التوكل ، ص٨٧ ، ضمن جامع الرسائل.

(٢) انظر: كتاب "التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب" ، د/ عبد الله عمر الدميجي (ص٦٠ـــ ١٩٢)، دار الوطن ، ط١ ، ١٤١٧هـ.

وهكذا كان أصحابه من بعده رضوان الله عليهم أجمعين، فهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما سمع بالطاعون قد وقع في أرض الشام وهو قد توجه إليها استشار المهاجرين والأنصار فاجتمعوا على الرجوع بعداً عن الوباء فقال أبو عبيدة – رضي الله عنه – أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله... فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" فحمد الله عمر ثم انصرف"[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (فالالتفات إلى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة فإذا كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح، ويلبس جنة الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد، ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم)[2].

يقول الفقي – رحمه الله –: (.. وكذلك الزاعمون أنفسهم اليوم أمة محمد ﷺ يتمنون أن لو كانوا مسلمين إسلام أبي بكر وعمر وإخوانهما – رضوان الله عليهم أجمعين – الإسلام الذي أعزهم الله به واستخلفهم في الأرض فيتمنى أولئك المبدلون لنعم الله كفراً أن لو كانوا مسلمين للمنعم مقدرين لنعمه مهتدين للجادة والسبيل السوي... وما سبب ذلك إلا أنهم يودون ودادة الغافل اللاهي، ويتمنون أماني المخدوع المغرور كما يتمنى الجائع الشبع، ويدعو الله وهو مخلد إلى أرض الخمول والكسل أن يرسل له طعاماً يدخله في فمه وهو نائم لا يحرك يداً ولا رجلاً

---

[1] رواه البخاري برقم ٥٧٢٩ مطولاً (٢١/٧) ومسلم ١٧٤٠/٤

[2] انظر: مجموع الفتاوى ٥٢٨/٨، ٥٢٩.

في العمل بما سن الله من سنن، ولا يأخذ بما أقام الله من أسباب، وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وأن الأرض لا تخرج شيئاً من ذلك بدون سبب... وكذلك طالب العافية وطالب العلم والدين وطالب النصر وطالب كل شيء بدون أن يسلك له سبيله الذي أقام الله سننه ورتب أسبابه فإن كل هؤلاء كافرون مكذبون لآيات الله، محاولون تبديل سنن الله وتغيير خلق الله فيتحطمون ويهلكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلا)[1].

وهذه إشارة منه – رحمه الله – إلى ضرورة اتخاذ الأسباب والسعي في الأرض وبذل الجهد قدر الطاقة حتى يفوز الفوز الأعظم كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[2].

---

[1] انظر: الهدى النبوي، مجلد ١٢، عدد ١، ص٧-٨

[2] سورة الشمس، آية: (٧-١٠).

المبحث الرابع

سقوط القول بالاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي

هذه المسألة من المسائل التي وقع فيها خلاف كبير وجدل واسع، وهوى متبع ، وأستطيع أن أقول إن أكثر الناس بعداً عن الله وعن اتباع أمره واجتناب ما نهى عنه واتباعا للهوى هم ممن يقولون ويستشهدون بالقدر على معاصيهم وذنوبهم، ويحتجون بأن الله ما هداهم وما وفقهم إلى الخير وأنهم في انتظار هداية الله الكبرى كي تأخذهم بأيديهم وتدفعهم إلى الصراط المستقيم كذلك ظنوا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (لقد ضل كثير من الناس في هذه المسألة، وأخذ كثير منهم ينغمس في فعل المعاصي والفواحش ثم يحتج على ذلك بالقدر وأنه لا حيلة له فيما قدر عليه، وهذا في غاية البطلان ولا يقوله إلا صاحب هوى، لأنه لا يجوز لمن عصى الله ورسوله أن يدفع عن نفسه اللوم بأن الله هو الذي قدر عليه الوقوع في المعصية وشاءها منه، فإن هذا الاحتجاج معارضة لشرع الله وأمره، ومخاصمة له سبحانه وتعالى في أمره وشرعه، ووعده ووعيده، وثوابه وعقابه، وطعن في حكمته وعدله، ودفع له بقضائه وقدره وفي هذا إبطال للشرع وللدين كله)[1]

وقد سلك الناس في هذه المسألة مسالك عدة بين جافٍ وغالٍ وسالك مسلك الوسط وهم كالتالي:

أولاً: الذين جفوا وأوغلوا في الجفاء، وهم القدرية الذين نفوا القدر وقالوا إن الأمر أُنف أي مستأنف، وإن الله لا يعلم بالأمر إلا إذا وقع وإن الإنسان خالق لأفعاله حقيقة.

---

[1] انظر: رسالة في الاحتجاج بالقدر. لشيخ الإسلام ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٢/١٤٠).

ثانياً: الذين غلو -وأمعنوا في الغلو- في إثبات قدر الله حيث قالوا بأن العبد مسير ومجبر في كل شيء ،ليس له اختيار ولا مشيئة ولا إرادة وإنما هو كالريشة في مهب الريح وكالورقة في أغصان الشجر وهؤلاء من يطلق عليهم الجبرية.

ثالثاً: الذين توسطوا في المسألة، فهم يثبتون لله القدر والمشيئة وكذلك يثبتون للعبد اختيارا ومشيئة وليس بينهما تنافٍ ولا تضاد ولا امتناع، وهم أهل السنة والجماعة.

بعض أدلة المحتجين بالقدر على فعل المعاصي:

١) قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1].

٢) قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [2].

٣) قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [3]

٤) قوله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾ [4].

أما من السنة فهم يستدلون بحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ "احتج آدم وموسى، فقال له موسى، يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فقال النبي ﷺ "فحج آدم موسى فحج آدم موسى"[5].

---

[1] سورة الأنعام، آية: ١٠٢

[2] سورة القصص، آية: ٦٨

[3] سورة السجدة، آية: ١٣

[4] سورة الأنفال، آية: ١٧

[5] انظر: صحيح البخاري، كتاب القدر، برقم ٦٦١٤/ ومسلم، كتاب القدر، برقم ٦٧٤٢.

فذهبوا إلى أن هذه النصوص تثبت أن الإنسان واقع تحت قدر الله المطلق وليس للإنسان اختيار أو قدرة أو مشيئة.

والصحيح أن للعبد مشيئةً واختيارًا وقدره وأنه الفاعل لكل أعماله حقيقة[1] واختياراً، إذ أن الله قد أسند إليه الفعل في آيات كثيرة كما قال تعالى ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [2]. وقوله تعالى ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [3] وقوله تعالى ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [4].

بل إن الله سبحانه وتعالى أبطل قولهم ورد زعمهم الخاطئ فقال سبحانه ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [5].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [6].

أما حديث أبي هريرة في محاجة آدم لموسى عليهما السلام فقد تولى الرد على استدلالهم به ابن تيمية[7] وتلميذه ابن القيم[8] رحمهما الله تعالى وخلُصا إلى أن موسى عليه السلام إنما لام آدم على المصيبة التي أصابته وذريته وهي خروجه من الجنة ونزوله إلى الأرض؛ و لم يكن اللوم لأنه عصى أمر الله وأكل من الشجرة ،يدل على ذلك قوله في الحديث: "أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة" و لم يقل له لماذا خالفت الأمر ولماذا عصيت، فاللوم واقع على المصيبة لا على المعصية.

ولقد وافق الفقي –رحمه الله– مذهب السلف كعادته في جميع المسائل حيث يقول رحمه الله: (إن الله خلق الإنسان بأن جعل لكل بني الإنسان إرادة خاصة

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (٣٩٣/٨)
[2] سورة البقرة، آية: ١٩٧
[3] سورة الزمر، آية: ٧٠
[4] سورة الحج، آية: ٧٧
[5] سورة الأنعام، آية: (١٤٨).
[6] سورة الزخرف، آية: (٢٠).
[7] انظر: مجموع الفتاوى (٣١٩/٨).
[8] انظر: شفاء العليل (ص: ٣٨)، لابن القيم، تحرير الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة.

وتفكيرًا خاصًا ومشيئة خاصة يستطيع الإنسان بذلك أن يفعل ما يشاء ولو كان في معصية الله ؛ ولا يستطيع أن يترك ما يشاء ولو كان في مرضاة الله، فالإنسان يقدر أن يكفر ويشرك بالله والكفر أمقت شيء إلى الله، والشرك أبغض شيء إلى الله والإنسان يستطيع أن يفسق بكل أنواع الفسوق والله يكره الفسوق ولو شاء ربنا لخلق الإنسان على طبيعة واحدة.

إن هذه الدنيا بلاءٌ وامتحانٌ لي ولك، وقد أعطاني الله وأعطاك أسباب النجاح في الامتحان وأسباب السقوط، فما السقوط أو النجاح إلا بأنفسنا ومجهودنا واختيارنا مهما حاول الناس أن يلقوا التبعة على القضاء والقدر وأن ينسبوا الظلم إلى الله والسوء إلى الله والفسوق والعصيان إلى الله فهم كاذبون)[1].

ويقول كذلك: (من شدة زيغ الزائغين واستبداد سلطان الهوى والشيطان بالمشركين والفاسقين: أن يحتجوا لإجرامهم بإرادة الله ومشيئته وقدره فيقولون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾[2]، وتلك إرادة الله ولو شاء لهدانا أجمعين. وتلك سنة ماضية في كل فاجر أوغَلَ في الفجور، ونقول لأولئك المجرمين" إذا كان الله قد قدر عليك الجوع فما لك تسعى في دفعه بالأكل، وإذا كان الله قد شاء أن يُسرق مالك وتُضرب فما لك تنتصف؟ وإذا كان قد قدر عليك المرض فما بالك تطلب دفعه بالدواء والطب، فإن قلت هذا من قدر الله، وهذا من قدر الله وأدفع بقدر الله في الدواء قدر الله في المرض- فمالك لا تؤمن بقدر الله في العلم تدفع به قدر الله في الجهل؟ وبقدر الله في التوحيد تدفع به قدره في الشرك، وبقدر الله في الطاعة تدفع به قدره في الفسوق والعصيان، وبقدر الله في التوبة والإنابة تدفع به قدره في الذنوب والآثام؟

و هل أوتيت العلم بأنه سبحانه قدر عليك الكفر والفسوق والعصيان و لم يقدر عليك الطاعة والتوبة والإنابة والاستغفار..)[3]

---

(1) انظر: الهدي النبوي مجلد ١٨ عدد ٦ (ص: ٤٣-٤٥).
(2) سورة الأنعام، آية: (١٤٨).
(3) الهدي النبوي مجلد ١٦ عدد ٩ (ص: ١٠،٩).

الفصل الرابع

الإيمان باليوم الآخر

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: عذاب القبر ونعيمه.

المبحث الثاني: يوم القيامة.

المبحث الثالث: الشفاعة.

المبحث الرابع: وجود الجنة والنار وأبديتهما.

المبحث الأول

عذاب القبر ونعيمه

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وأن هذه القبور هي أول منازل الحياة البرزخية.

وعقيدة الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ثابتة بالكتاب والسنة، بل لقد بلغت الأحاديث فها حد التواتر.

الأدلة من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦ ﴾[1].
- قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧ ﴾[2].

قال عنها ﷺ: "نزلت في عذاب القبر"[3].

الأدلة من السنة:

١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى أصحابه –إنه يسمع قرع نعالهم- أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ﷺ فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال: فيراهما جميعاً، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أسمع ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين"[4].

---

[1] سورة غافر، آية: (٤٥، ٤٦).

[2] سورة إبراهيم، آية: (٢٧).

[3] رواه مسلم –كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، برقم (٧٢١٩).

[4] رواه البخاري –كتاب الجنائز، برقم ٣٧٤/ ومسلم – كتاب الجنة ونعيمها، برقم٧٢١٦.

٢) حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"[١].

٣) حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:"إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع، من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال"[٢].

قال الإمام أحمد –رحمه الله–:(وعذاب القبر حق: يُسأل العبد عن دينه وعن ربه، ويُرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حقٌ وهما فتانا القبور)[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– (ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه)[٤].

وقال الطحاوي –رحمه الله–: (ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في بقبره عن ربه ودينه على ما جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم)[٥].

ولقد ذهب الفقي –رحمه الله– إلى ما ذهب إليه السلف الصالح حيث يقول: (المراد من القبر كل ما ينتقل إليه الإنسان بالموت من هذه الدنيا: سواء في ذلك الحفرة أو بطون السباع والسمك وغيره. فهذا فرعون يقول الله تعالى في شأنه وشأن حزبه الأخسرين ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [٦]، وهو الآن موجود في صندوق في دار

---

[١] رواه البخاري–كتاب الجنائز، برقم ١٣٧٩/ ومسلم – كتاب الجنة ونعيمها، برقم ٧٢١١.

[٢] رواه مسلم – كتاب المساجد و مواضع الصلاة، برقم١٣٢٦.

[٣] انظر: السنة للخلال (ص: ٤٦) – تحقيق د/ عطية الزهراني – دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ.

[٤] انظر: العقيدة الواسطة بشرح الهراس (ص: ٢٠١).

[٥] انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٥٧٢/٢).

[٦] سورة غافر، آية: (٤٦).

الآثار في القاهرة معروض لأنظار الناس تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [1])[2].

ولقد ذكر -رحمه الله- كثيراً من الأحاديث المتفق على صحتها والتي وردت كذلك في السنن والتي ذكرت كثيراً من أهوال القبور وما أعده الله لأصحابها من نعيم وعقاب ثم قال: وكل هذا من الأخبار عن الغيب الذي لا يعلم حقيقته إلا الله فلا نعلم كيفية هذا السؤال ولا كيفية هذا الجلوس والقعود ولا كيفية هذا القبر الذي وسع فيه مد بصره، ولكننا نؤمن بذلك إيماناً يقيناً ونقول: صدق الله ورسوله ﷺ[3].

ثم إن الفقي -رحمه الله- ينهي عن الخوض والتخرص في أمور القبور بلا دليل فيقول (ومن الناس من حجبت قلوبهم عن نور الإيمان بالغيب وحكّموا عقولهم الضيقة في أحوال ما بعد الموت فأنكروا عذاب القبر ونعيمه، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ومن الناس من انساق وراء وهمه وخياله فتحدث فيها زيادة عما أخبر الله ورسوله، حتى زعم بعض الخياليين: أنه فهم اللغة التي يكون بها سؤال القبر وزعم أنها السريانية، وهذا جهل محظ وقول على الله بالكذب وقد زلّت أقدام كثير من الناس في هذا المقام)[4].

ويقول أخيراً: (وشئون الموتى في قبورهم وحياتهم البرزخية مجهولة للإنسان بأصل الفطرة: لأنه لا سبيل لأي حاسة من حواسه إلى علم هذه الشئون فقد حيل بين الحياة الأولى والثانية في القبر - للمؤمنين والكافرين- ببرزخ يحجب بين أهل الحياتين حجباً يستحيل على الحواس البشرية أن تخترقه وتتجاوزه).[5]

---

(1) سورة يونس، آية: (٩٢).

(2) انظر: الهدي النبوي مجلد٢، عدد ١٦ (ص: ٤٥).

(3) انظر: الهدي النبوي مجلد ٢، عدد ١٦ (ص: ٤٧).

(4) انظر: المصدر نفسه (ص: ٤٧).

(5) انظر: الهدي النبوي مجلد ١٧، عدد ٧ (ص: ٢٠٣).

المبحث الثاني
يوم القيامة

يوم القيامة هو ذلك اليوم الذي يقوم فيه الخلائق لله رب العالمين، يوم يبعثون من قبورهم حفاة عراة غرلا، ويساقون إلى أرض المحشر للحساب من ا لله العليم الخبير.

وهذا اليوم قد جاءت له مسميات كثيرة، فمنها اليوم الآخر ويوم الحساب ويوم الجزاء ويوم التغابن والحاقة والصاخة والطامة وغير ذلك كثير.

والإيمان بهذا اليوم العظيم يُعد من أركان الإيمان الستة التي أُمرنا باعتقادها والإيمان بها.

ولا شك أن الإيمان بيوم القيامة وما فيه من حساب دقيق وسؤال عسير لكل صغيرة وكبيرة من أعمال المكلفين يعطي لمن يؤمن به خوفاً لله ومراقبة، وتقوى في الأعمال ومسابقة، وطلباً لحسن العاقبة، فالمجتمع الذي تسوده هذه العقيدة تقل فيه الشرور ويكثر فيه الخير ويرفرف عليه الأمن والطمأنينة، بخلاف ضده الذي يشابه مجتمع الغابة المنحرف عن الحق و الصواب الممتلئ بغضاً وحقداً وعذابا وتعاسة.

والإيمان باليوم الآخر يتعلق به عقائد أخرى تلزم كل مسلم، حيث يبدأ هذا اليوم مع الإنسان منذ وفاته وخروج روحه من جسده، ثم القبر وما يحدث فيه من نعيم أو عقاب، ثم النفخ في الصور، والحساب ،والميزان، والحوض، والصراط، والجنة والنار وغير ذلك. والأدلة على هذا الركن العظيم من الصعب إحصاؤها لكثرتها واستفاضتها وهي من المعلوم من الدين بالضرورة.

الأدلة من القرآن الكريم:

١) قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[1].

٢) وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

٣) وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3].

وأما من السنة فقوله ﷺ في حديث جبريل المشهور عندما سُئل عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره".

يقول الفقي –رحمه الله–: (والإيمان بهذا اليوم وما فيه مما يجدر بالعاقل الكيِّس أن يعمل له ويتقيه ويتهيأ له ويشغل به أعظم حيز من تفكيره؛ لأنه من أصول الإيمان الستة التي جاءت في حديث سؤال جبريل للنبي ﷺ عن أمور الدين ليعلمها لأصحابه، ولن يكون إيمان بالله على وجهه النافع إلا إذا كان إيمان باليوم الآخر يخيف من أهواله، ويدعو إلى اتقائه، ويبعث على الاستعداد والتهيؤ لما فيه من مثوبة وجزاء من مالك يوم الدين أحكم الأحكمين وأسرع الحاسبين.

وأساس الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بصفات الله إيمان يقين وإذعان لا إيمان جدال ومراء ولسان، فإن من صفاته سبحانه: العدل والحكمة والفضل والرحمة ويستحيل على العدل الإلهي أن يجزي الناس ويثيب العباد كلهم على سواء؛ فاسقهم

---

[1] سورة يونس، آية: (٤).

[2] سورة آل عمران، آية: (٢٥).

[3] سورة البقرة، آية: (١٧٧).

ومطيعهم، وبرهم وفاجرهم ومصلحهم ومفسدهم. هذا ينافي العدل أعظم المنافاة ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [1].

ويستحيل على العليم الحكيم أن يخلق الإنسان لعباً ويتركه سدى كالسوائم لا مسئولية عليها ولا حساب)[2].

ويقول كذلك: (المؤمنون الموقنون بهذا اليوم لا يفترون عن الاستعداد له بعبادة الله وحده مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والكف عن محارم الله والبعد عن معاصيه والوقوف عند حدوده.

المؤمنون الموقنون بهذا اليوم الآخر، يتمثلونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ولا تبرح عنهم صورته وأهواله، وما وصف الله من مواقفه التي تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وما وصف من ناره وسلاسلها، وأغلالها وزفيرها ولهبها وما وصف من نعيمه وجناته وسروره وحبوره، فهم أبداً حاضرون شاهدون لذلك كله كأنهم يرونه و يسمعونه عياناً وهم أبداً فارون إليه لاجئون إلى رحمته ومغفرته ورضوانه وجناته)[3].

وأخيراً يقول: (وهذا الأمر من أهم مقاصد القرآن، بل يكاد يكون أبرز أصول الدين الذي أوحاه الله إلى كل أنبيائه من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ)[4].

---

(1) سورة القلم، آية: (٣٦،٣٥).

(2) الهدي النبوي، مجلد ٤، عدد ٤٣ (ص: ٢).

(3) انظر: الهدي النبوي مجلد ٢، عدد ١٤(ص:٩).

(4) انظر: المصدر نفسه ، مجلد٦، عدد(٨،٧) (ص: ٢).

المبحث الثالث

الشفاعة

قال عنها الراغب الأصفهاني: (الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ورتبة إلى من هو أدنى)[1].

وقال الفقي –رحمه الله– : (مصدر من قول الرجل: شفع لي فلان إلى فلان شفاعة؛ وهو طلبه وضمه إليه في قضاء حاجته. وأصل الشفع: ضم شيء إلى مثله، ويقال للمشفوع: شَفْعْ قال تعالى: (والشفع والوتر)[2]، وتقول: : كان وتراً فشفعته؛ ومنه الشفعة، لأنك تضم ملك شريكك إلى ملكك.

والشفيع صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة. والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه. وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى)[3].

ومسألة الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين. فهي عقيدة راسخة عند أهل السنة على ما جاء في الأصلين من إثبات ونفي.

أدلتها من القرآن الكريم:

1) قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4].

2) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[5].

---

(1) المفردات في غريب القرآن (٦٣).

(2) سورة الفجر، آية: (٣).

(3) الهدي النبوي مجلد ٤ عدد ٤٣ (ص: ٦).

(4) سورة الزمر آية: (٤٤).

(5) سورة النجم، آية: (٢٦).

٣) قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

أدلتها من السنة المطهرة:

١) ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً "[2].

٢) ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث الطويل عنه صلى الله عليه وسلم: (... فأنطلق فآتي العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعط، اشفع تشفع)[3].

٣) ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا أول الناس يشفع في الجنة. وأنا أكثر الأنبياء تبعاً)[4].

وقد أجمعت الأمة على إثبات الشفاعة والإيمان بها، ولم يخالفهم في ذلك إلا بعض المنتسبين إلى الإسلام من الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا بعض الشفاعات الواردة في أهل الكبائر تماشياً مع قولهم إن صاحب الكبيرة مخلداً في النار.

ولقد وافق الفقي –رحمه الله– السلف في مفهوم الشفاعة كعادته في موافقة السلف والسير على نهجهم ومتابعة طريقهم.

يقول الفقي –رحمه الله– بعد أن أورد آيات كثيرة في الشفاعة: (فبالتأمل في هذه الآيات يتبين أن الله قد أثبت شفاعتين ونفى شفاعتين

---

[1] سورة طه، آية: (١٠٩).

[2] رواه البخاري – كتاب الدعوات، برقم ٦٣٠٤ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٤٩١.

[3] رواه البخاري – كتاب التفسير، برقم ٤٧١٢ / ومسلم – كتاب الإيمان، برقم ٤٨٠.

[4] رواه مسلم – كتاب الإيمان، برقم ٤٨٣.

١) فأثبت شفاعة الإنسان لأخيه في الدنيا في إيصال حق أو دفع ضرر لا ظلم فيه ولا ضرر.

٢) وأثبت كذلك شفاعة في الآخرة للملائكة ولخيار عباده من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولكنه شرطها بإذنه وأن يكون المشفوع له ممن يرضى الله عنهم.

وهذه الشفاعة إما أن تكون عامة للناس كلهم؛ وهي خاصة بنبينا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. وإما أن تكون لبعض المؤمنين على اختلاف درجاتهم في العمل؛ فتكون لنبينا صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين والملائكة.

ولقد جاء في هذه الشفاعة التي في الآخرة أحاديث كثيرة خصوصاً العظمى، التي هي المقام المحمود لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنها متواترة يكاد ينعقد الإجماع عليها ممن يعتد به من السلف والخلف؛ وقد ساق البخاري ومسلم وغيرهما أحاديث كثيرة في ذلك .

أما الشفاعتان المنفيتان في القرآن الكريم فهما:

١) ما ادعاه – ويدعيه الآن- المشركون لأوليائهم من الشفاعة عند الله في قضاء الحاجات وشفاء المرضى ونحو ذلك ويستغيثون بهم في الشدائد والكربات.

٢) الشفاعة التي يدعيها المشركون لأوليائهم يوم القيامة لمجرد توهم أنهم صالحون وأنهم مقربون وأنهم ملكوا الشفاعة، وكانت هذه ولا تزال عقيدة اليهود والنصارى في الأحبار والقساوسة وهي عقيدة عوام أهل الطرق الصوفية الذين تسمع منهم وتقرأ في كتبهم أن أشياخهم ضمنوا لمريدهم وأتباعهم الجنة ويغلقون دونهم أبواب النار... – ثم يعقّب – وما قتل الإسلام في نفوس أهله حتى أصبحت صدورهم قبوراً فيها قلوب كالجيف من الوثنية والخرافات؛

والجبن والبخل وأنواع الخبائث الخلقية إلا تلك الشفاعات الكاذبة، فاحذرها أيها المؤمن الناصح لنفسه وحاربها بكل ما أوتيت من قوة)[١].

أنواع الشفاعة :

(لقد ذهب أهل العلم إلى أن الشفاعة لها ثمانية أنواع وهي كالتالي:

أولاً: الشفاعة العظمى، وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف حتى يقضى بينهم.

ثانياً: شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أهل الجنة الجنة بعد الحساب.

ثالثاً: شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعض المؤمنين دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

رابعاً: شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة وهم أهل الأعراف على قول جمع من أهل العلم.

خامساً: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات بعض أهل الجنة فوق ما يستحقونه.

سادساً: شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها.

سابعاً: شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها.

ثامناً: شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه)[٢].

---

[١] انظر: الهدي النبوي مجلد ٤ عدد ٤٣ (ص: ٦-٤).

[٢] انظر: التوحيد لابن خزيمة (٥٨٨/٢)، انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢١١/٢)، انظر: شرح النووي لمسلم (٣٥/٣)، انظر: الفتح لابن حجر (٤٣٥/١١، ٤٣٦).

يقول الفقي – رحمه الله – : (...إن الشفاعة لا تكون أبداً مغيرةً لحكم من أحكام الله سبحانه وتعالى فإنه سبحانه يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[1]. فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسجد تحت العرش ويثني على الله الثناء الذي يعلمَّه له في هذا الحين حتى تحين اللحظة الأخيرة من الأجل المكتوب فينادي: "يا محمد ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع". فهي في الواقع سبب كبقية ما جعل الله من أسباب ترتبط بها مسبباتها في الدنيا والآخرة، ومرجع الأمر كله إلى الله وحده لا شريك له.

وقد ظن من تكلم في الشفاعة على طريق الفلاسفة كابن سينا وأشباهه أن الشفاعة تنفع لتعلق المشفوع بالشافع. وإن لم يكن هناك دعاء من الشافع وأن العبد إذا تعلق بالملائكة والأنبياء كان ما يترل عليهم من الرحمة ينزل عليهم من ذلك بتوسطهم كما ينتفع أتباع المتبوع بما يحصل له من الجاه والمترلة وهذا الذي قاله هو شر من قول المشركين)[2].

---

[1] سورة الرعد، آية: (٤١).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد ٥ (ص: ١٥٤-١٥٩).

المبحث الرابع
وجود الجنة والنار وأنهما أبديتان

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بوجود الجنة والنار وأنهما أبديتان لا تفنيان ولا تبيدان.

والنصوص الواردة في إثباتهما ووجوب الإيمان بهما من الصعوبة إحصاؤها لاستفاضتها وكثرتها وسوف أورد بعضاً منها:

الأدلة من القرآن الكريم:

١) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[1].

٢) قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

٣) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾[3].

الأدلة من السنة المطهرة:

١) ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه –مرفوعاً– وفيه: "والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار"[4].

٢) ما رواه عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"[5].

---

[1] سورة آل عمران، آية: (١٣٣).
[2] سورة البقرة، آية: (٢٤).
[3] سورة النساء، آية: (١٢٢).
[4] رواه مسلم – كتاب الصلاة، برقم ٩٦١ / والنسائي – كتاب السهو، برقم ١٣٦٣.
[5] رواه البخاري – كتاب بدء الخلق، برقم ٣٢٤١ / ومسلم – كتاب الرقاق، برقم ٦٩٣٨.

٣) ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يُدْخل الله أهل الجنة الجنة، ويُدْخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذنٍ بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه"[1].

ولقد تكلم السلف في هذه القضية وأفاضوا وأطنبوا فيها، فمن أقوالهم ما ذكره محمد بن حسين الآجري –رحمه الله –: (اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام. وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة)[2].

ويقول الصابوني –رحمه الله – (ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها، خلقوا لها لا يخرجون منها أبداً، ويؤمر بالموت فيذبح على سور بين الجنة والنار، وينادي المنادي يومئذٍ: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، لم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها)[4].

---

(1) رواه البخاري – كتاب الرقاق، برقم ٦٥٤٤ / ومسلم – كتاب الجنة ونعيمها، برقم ٧١٨٣.

(2) انظر: كتاب الشريعة (١٣٤٣/٣).

(3) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث. الصابوني (ص: ٢٦٤) بتحقيق/ ناصر الجديع.

(4) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨).

ولقد وافق الفقي –رحمه الله – السلف فيما ذهبوا إليه، حيث كان كثيراً ما يربط كلامه بالجنة والنار وما فيها من ثواب وعقاب، مرغّباً تارةً ومحذراً أخرى، مذكراً بخلود أهلهما فيهما وأنه نعيم دائم أو جحيم دائم.

يقول –رحمه الله – : (والله سبحانه وتعالى يقرن دائماً بين ذكر الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم والثواب العظيم للمتقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وبين النار ووصف ما أعد فيها من ألوان الهوان والعذاب والشقاء للذين كفروا وبما أنزل الله إليهم من الغم...)[1].

ويقول كذلك: (فكان أعظم ما وصى الله به في كتابه هو الإيمان بالدار الآخرة وحسابها وجزائها العادل، وأن النعيم فيها والسعادة بما كسبته أيدي الناس وغرسته في دار الدنيا من صالح الاعتقاد والأعمال، وأن عذابها وشقاءها الدائم –كذلك – إنما هو بما كسبته أيدي الناس من سيئ الاعتقاد والأعمال)[2].

ويقول أيضا: (إن هذه الدنيا متاع قليل وإن الآخرة هي دار القرار الدائمة الخالدة أبداً، لا موت فيها ولا انتقال منها إلى دار أخرى)[3].

وأخيراً يقول: (والقرآن كله – بل جميع الرسل وكل الكتب والرسالات المنزلة – إنما جاءت من عند الله لتعريف الناس هذه الحياة الآخرة في يوم الدين والجزاء وتبصيرهم وهدايتهم السبيل القاصد الذي يصل بهم إلى جناها ونعيمها الدائم، ويجنبهم طريق المغضوب عليهم و الضالين الذي يصل بسالكيه إلى عقابها الشديد وعذابها الأليم الدائم)[4].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٩ عدد (٣) (ص: ٧٥).

[2] انظر: الهدي النبوي مجلد ٦ عدد (٧،٨) (ص: ٢-٣).

[3] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٠ عدد ١١ (ص: ٣٨٢).

[4] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢٣ عدد ٤ (ص: ١١).

الباب الرابع

منهج الفقي في الإمامة والصحابة

وفيه فصلان

الفصل الأول: الإمامة

الفصل الثاني: الصحابة

الفصل الأول

الإمامة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: طاعة الأئمة والنصح لهم.

المبحث الثالث: بعض صفات الإمام اللازمة.

المبحث الأول

تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً

الإمامة لغةً: الإمامة مصدر من أمَّ يؤم: "أمّ القوم وأمّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة".

والإمام: كل من ائتم به قوم، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والجمع أئمة.

وإمام كل شيء: قيمه والمصلح له. والقرآن إمام المسلمين، ومحمد ﷺ إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند قائدهم)[1].

الإمامة اصطلاحاً: قال ابن خلدون معرفاً لها: (والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأُخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)[2].

ويقول كذلك:(وسياسة الدنيا تسمى خلافة وإمامة، والقائم بها خليفة وإماماً. فأما تسميته إماماً فتشبيهاً بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى، وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته)[3].

قال النووي رحمه الله: (يجوز أن يقال للإمام الخليفة والإمام أو أمير المؤمنين)[4].

---

[1] انظر: لسان العرب "١٢/٢٤، ٢٥).

[2] انظر: مقدمة ابن خلدون (ص: ٣٣٨). دار الكتاب المصري – ١٤٢٠هـ.

[3] انظر: مقدمة ابن خلدون (ص: ٣٣٩).

[4] انظر: روضة الطالبين (١٠/٤٩)للنووي ،إشراف/ زهير الشاويش، المكتب الاسلامي ،ط٢ ، ١٤٠٥هـ.

المبحث الثاني

طاعة الأئمة والنصح لهم

إن منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو طاعة أولي الأمر وعدم الخروج عليهم ما داموا متمسكين بالكتاب والسنة امتثالاً لأمر الله تعالى ولأمر رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني"[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[4].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال"خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: "لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة"[5].

---

(1) سورة النساء، آية: (٥٩).

(2) رواه البخاري – كتاب الأحكام، برقم ٧١٤٢ / وابن ماجه – كتاب الجهاد، برقم ٢٨٦٠.

(3) رواه البخاري – كتاب الأحكام، برقم ٧١٣٧ / ومسلم – كتاب الإمارة، برقم ٤٧٤٧.

(4) رواه البخاري – كتاب الأحكام، برقم ٧١٤٤ / ومسلم – كتاب الإمارة، برقم ٤٧٦٣.

(5) رواه مسلم – كتاب الإمارة، برقم ٤٨٠٤، وأحمد في المسند برقم ٢٣٩٩٩.

فجميع الأدلة أطبقت على أنه لا يجوز الخروج على الإمام إلا إذا جاء بكفرٍ بواح فيه من الله برهان أما غير ذلك فلا يجوز مطلقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم وإن منعوه عصاهم؛ فما له في الآخرة من خلاق)[١].

وقال الإمام أحمد –رحمه الله –: (والجهاد ماضٍ قائم مع الإمام، براً أو فاجراً ولا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والجمعة و الحج والعيدان مع الأئمة وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء... والانقياد لمن ولاّه الله عز وجل أمركم، لا تنزع يداً من طاعة ولا تخرج عليه بسيفك، يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ، ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطع، فإن أمرك السلطان بأمر هو لله عز وجل معصية فليس لك أن تطيعه وليس لك أن تخرج عليه وتمنعه حقه، ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان)[٢].

وقال الصابوني –رحمه الله-: (ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم؛ براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل)[٣].

ولقد وافق الشيخ حامد الفقي –رحمه الله– السلف في هذه القضية كغيرها حيث كان يظهر هذه في كتاباته وثناؤه على الحكام في زمانه ودعائه لهم الصلاح والسداد، وإرساله لهم رسائل التأييد والنصرة والبيعة ونشرها من خلال مجلة الهدي النبوي[٤].

---

[١] مجموع الفتاوى (٣٥/١٧،١٦).
[٢] انظر: السنة للخلال (ص: ٤٦).
[٣] عقيدة السلف (٢٩٤).
[٤] انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ١٦، عدد ١٢ (ص: ١٨) وكذلك مجلد ٢٠ عدد ٣ (ص: ١٤).

يقول –رحمه الله– مبيناً ما على المسلم من حقوق: (وأن يصل ما بينه وبين ولاة أمره بطاعتهم في غير معصية الله؛ ومعاونتهم بالنفس والمال فيما يعود على الأمة بالنفع والخير وما هي بحاجة إليه ، وأن يدعو لهم بالصلاح والاستقامة والسداد)[1].

ويقول في معرض ذلك أيضاً: (فلا عز للأمة إلا بأن تكون كل قراها مجتمعة ومتضافرة متناصرة، تسعى إلى غاية واحدة تحت قيادة واحدة تقيم الحق فيها، وتؤلف بين أفرادها بالأخوة في الله وتوجهها وجهة العمل لإعزاز دين الله وإعلان كلمة الله)[2].

أخيراً يقول: (إنما الصلاح والاستقامة في القلوب السليمة التي تعرف الشرف وتحرص عليه وتقدر الحقوق قدرها وتحافظ عليها وتضعها في مواضعها التي هي لها من حقوق الله وحقوق الدولة وحقوق الجماعة وحقوق الفرد، ولن يكون ذلك إلا بما وصف الله من دواء الاستبصار بالحق الذي أنزله الله على نبيه ﷺ)[3].

---

(1) الهدي النبوي مجلد ٧ عدد ١٠، (ص: ٦).

(2) الهدي النبوي مجلد ٤ عدد ٤٤، (ص: ١١).

(3) الهدي النبوي مجلد ٨ عدد ٥، (ص: ٥).

المبحث الثالث

بعض صفات الإمام اللازمة

لا شك أن للإمامة شروطًا لا بد من تحققها حتى يكون الإمام أهلاً لحمل هذه الأمانة، لأنها تكليف وليست تشريفًا كما يظنها الكثير.

ولقد اشترط العلماء شروطاً تنعقد بها الإمامة الكبرى وشروطاً ينبغي تحققها في من يلي الإمامة.

فأما شروط انعقاد الإمامة الكبرى فهي كالتالي:

الأول: ما لو نص الرسول ﷺ على أن فلاناً هو الإمام فإنها تنعقد له بذلك، حيث يقول بعض العلماء: إن إمامة الصديق رضي الله عنه من هذا القبيل لأن تقديم النبي ﷺ في إمامة الصلاة – وهي أهم شيء –فيه إشارة إلى تقديمه للإمامة الكبرى وهو ظاهر بيّن.

الثاني: اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته. حيث قال بعض العلماء: إن إمامة أبي بكر منه لإجماع أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار عليه بعد الخلاف.

الثالث: أن يعهد إليه الخليفة الذي قبله. كما وقع من أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، ومن هذا القبيل جعل عمر الخلافة شورى في ستة من الصحابة الذين مات ﷺ وهو عنهم راض.

رابعاً: يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر وتدين له الناس.

هذا ملخص كلام العلماء فيما تنعقد به الإمامة الكبرى.

ومقتضى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية: (أنها تنعقد بمبايعة من تقوى به شوكته ويقدر به على تنفيذ أحكام الإمامة ، لأن من لا قدرة له على ذلك كآحاد الناس ليس بإمام)[1].

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن الإمامة تنعقد بوجهين فقط كما ذكره أبو يعلى الحنبلي –رحمه الله– حيث قال: (والإمامة تنعقد بوجهين : أحدهما: باختيار أهل الحل والعقد، والثاني بعهد الإمام من قبل)[2].

أما الشروط الواجب تحققها في الإمام فهي باختصار:

١. أن يكون قرشياً/ حيث دلت الأحاديث الصحيحة على تقديم قريش في الإمامة على غيرهم. وأطبق على ذلك جماهير العلماء من المسلمين وهذا مشروط بإقامة الدين والاستقامة عليه:

فعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين"[3].

٢. أن يكون ذكراً ،ولا خلاف فيه.

٣. أن يكون حراً لا عبداً، ولا خلاف في ذلك.

٤. أن يكون بالغاً، فلا تجوز ولاية الصبي إجماعاً لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة.

٥. أن يكون عاقلاً، فلا تجوز إمامة المجنون ولا المعتوه.

٦. أن يكون عدلاً، فلا تجوز إمامة الفاسق ويدخل في ذلك اشتراط الإسلام لأن العدل لا يكون غير مسلم.

٧. أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين مجتهداً يمكنه الاستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث.

---

[1] انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٥١،٥٢/١).

[2] انظر: الأحكام السلطانية (ص: ٢٣)، دار الفكر – (١٤٠٦هـ).

[3] رواه البخاري –كتاب المناقب ، برقم ٣٥٠٠ / وأحمد في المسند برقم ١٦٨٥٢.

٨. أن يكون سليم الأعضاء غير زمن ولا أعمى ونحو ذلك.

٩. أن يكون ذا خبرة ورأي حصيف بأمر الحرب وتدبير الجيوش وسد الثغور، وحماية بيضة المسلمين، وردع الأمة، والانتقام من الظالم، والأخذ للمظلوم.

١٠. أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا قطع الأعضاء[١].

ولقد ذكر أبو يعلى الحنبلي -رحمه الله -كثيراً من الصفات اللازمة للإمام إثباتاً أو نفياً، ثم عقب بما يلزم الإمام من أمور وأذكرها مختصرة:

١. حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة.

٢. تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم.

٣. حماية البيضة والذب عن الحوزة ليعيش الناس آمنين.

٤. إقامة الحدود لتصان محارم الله وحقوق العباد.

٥. تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة.

٦. جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في ا لذمة.

٧. جباية الفيئ والصدقات من غير عسف.

٨. تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير.

٩. استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء.

١٠. أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة؛ ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة[٢].

والشيخ الفقي -رحمه الله - كذلك قد وافق السلف في هذه المسألة جملة وتفصيلاً، ولا أدل على ذلك من توليه طبع كتاب الأحكام السلطانية -لأول مرة -

---

[١] انظر: أضواء البيان (١/٥٢-٥٧).

[٢] انظر: الأحكام السلطانية (ص: ٢٧، ٢٨).

لأبي يعلى الحنبلي، ومقارنته بكتاب الأحكام السلطانية أيضاً لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي وجمعهما والتعليق عليها في مجلد واحد.

يقول الفقي -رحمه الله-: (إن الملك إذا خالط رعيته بنفسه ومازجها بروحه كان ذلك أقوى ما يدعوا إلى دوام ملكه وطول عهده، فليس بقاء الملك ولا عظم الدولة بكثرة الجيوش أو بقوة بأس الملك وعظيم بطشه وجبروته، إنما يعتز جانب الملك وتتسع رقعة الدولة ويعلو ذكرها ويرتفع شأنها بحكمة الجالس على عرشها ورحمة القابض على صولجانها ،فإنه بالحكمة يخالطهم مخالطة يستقي منها أخبار دولته من مورد لم تعكره الوشايات والسعايات؛ و لم يكدره سوء الأداء من بعض الذين يريدون الخير فتعيا ألسنتهم عن بسطه على وجهه فيزلون زلات كم أودت بأرواح وأموال ،وبرحمة الملك وحكمته ينقد هذه الأخبار نقد الوالد والأخ والولد ويذهب بها إلى نتائجها؛ في رحمة بعيدة عن الضعف حتى لا تكون عجزاً وخوراً، وقوة بعيدة عن الهوى ؛حتى لا تكون جبروتاً أو ظلماً، فيعطي من يؤدبه العطاء، ويضرب من لا تقومه إلا العصا. كذلك فلتكن الملوك التي تعطي الملك حقه ،وتقدره قدره، وتعرف له حظه، فتقي أنفسها ورعيتها من شره، ويكونون جميعاً بذلك الملك من الفائزين)[1]

ويقول كذلك: (إن رفاهية الأمة وسعادتها في حياتها وأمنها في نفسها ومالها إنما يتحقق في ثلاثة أمور:

أولها: دستور يكون واضعه خبيراً بعلل الأمة وأمراضها ومواضع الضعف فيها، وعليما بأدواء ذلك، ومحيطاً بأسباب العز والسعادة لها، وأن يكون حكيماً في تقدير العلاج لا مفرطاً ولا مشدداً، وأن يتوخى في وضع ذلك الدستور كفالة الخير والفلاح للأمة، (القرآن والسنة).

ثانيهما: أن تقدر الأمة ذلك الدستور قدره، وتعرف له فضله ومزيته ، وأن الخير في اتباعه والشر والهلاك في تركه.

---

[1] انظر: مجلة الإصلاح مجلد ١، عدد ١، (ص: ١٥).

ثالثهما: أن يقوم على تنفيذ هذا الدستور وحمل الناس عليه رجال أكفاء مخلصون في حبهم وتقديرهم لهذا الدستور، غيورون على مصلحة أمتهم، يضحون بمصالحهم الشخصية ومنافعهم الذاتية في سبيل الخير والمصلحة لأمتهم، يرون ويعتقدون أن المصيبة تصيبهم في أنفسهم أو أموالهم أهون بكثير من المصيبة تصيب الأمة في شيء من مصالحها ومرافقها الحيوية، بيدهم من قوة السلطان ما يكبح جماح النفوس العتية ، وفي قلوبهم من الرحمة ما يجعل حبهم وإكبارهم يملأ قلوب الجميع.

إذا تم لأمة هذه الأمور الثلاثة فقد تمت لها كل أسباب السعادة)[1]

---

[1] انظر: مجلة الإصلاح، مجلد١، عدد(٧،٨)، (ص: ١٨-٢١).

الفصل الثاني

الصحابة

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول

تعريف الصحابي لغة واصطلاحاً

الصحابي لغة:

(الصحابي و الصاحب تعني المعاشر، والجمع أصحاب وصُحبان وصَحابة، والصحابة: مصدر قولك صاحَبك اللهُ وأحسن صحابَتَكَ ،ويدل على مقارنة شيء ومقاربته[١].

والصحابي شرعاً:

من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام.

فيدخل فيمن "لقيه" من طالت مجالسته له أو قصرت،ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان؛ من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

ويدخل في "مؤمناً به" كل مكلف من الجن والإنس[٢].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– "الصحبة اسم جنس تقع على من صحب النبي ﷺ قليلاً كان أو كثيراً.."[٣]

---

[١] انظر لسان العرب (٧/٢٨٦) والصحاح (٢/١٦٢) وتهذيب اللغة (٤/٢٦٢).

[٢] الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر (١/٤) دار الكتب العلمية.

[٣] مجموع الفتاوى (٤/٤٦٤).

المبحث الثاني

منــــزلة الصحابة

لا شك أن لصحبة النبي ﷺ فضلاً عظيمًا، ومكانـــة ســـامقة لا يقاربهـــا ولا يدانيها منـــزلة من منازل الناس الدنيوية.

فمجرد رؤية النبي ﷺ مع الإيمان به يعد شرفًا وأيُ شرف، فكيـــف إذا وافـــق ذلك وصاحبه أفعالا كفعالهم ،وصدقا كبذلهم ،فلقد جاهدوا في سبيل نشر هذا الدين بأنفسهم وأموالهم، وقدموا من أجله الغالي والنفيس، وآووا رسول الله ﷺ ونصروه، ووقفوا أمام الدنيا بأسرها حتى أظهر الله هذا الدين على أيديهم، وانتشر في أصـــقاع الدنيا بسبب جهودهم وجهادهم وتضحياتهم.

ولقد أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ عليهم خيرا فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (2).

وقال تعـــالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (3).

---

(1) سورة التوبة، آية: (٨٩،٨٨).

(2) سورة التوبة، آية: (١٠٠).

(3) سورة الفتح، آية: (٢٩).

وأما أحاديث الرسول ﷺ في فضلهم ومكانتهم فهي كثيرة منها:

ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[1].

وروى عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...)[2].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال ﷺ : "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" [3].

وفي حديث أبي بردة عن أبيه عن الرسول ﷺ قال: (النجوم أمنةٌ للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[4].

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم)[5].

وقال الإمام أحمد –رحمه الله-: (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ﷺ ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه- ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة- أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير)[6].

---

(1) رواه البخاري – كتاب فضائل الصحابة، برقم ٣٦٧٣ / ومسلم – كتاب فضائل الصحابة، برقم ٦٤٨٨.

(2) رواه البخاري – كتاب فضائل الصحابة، برقم ٣٦٥٠.

(3) رواه البخاري – كتاب فضائل الصحابة، برقم ٣٦٥١ / ومسلم – كتاب فضائل الصحابة، برقم ٦٤٧٢.

(4) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة، برقم ٦٤٦٦.

(5) حلية الأولياء، أبي نعيم (٣٠٥/١)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ.

(6) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٨٠/١).

ويقول أبو جعفر الطحاوي –رحمه الله-: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفْرِطُ في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1].

يقول الفقي –وهو متأسٍ بالسلف- عن الصحابة الكرام: (اختارهم الله لصحبته "أي النبي ﷺ"، واصطفاهم لحمل أمانته، واجتباهم لتبليغ رسالته، فكانت نفوسهم أطهر النفوس؛ وأرواحهم أزكى الأرواح، وقلوبهم أسلم القلوب وأوعاها لما افاض الله ورسوله عليها من هداية القرآن وعلومه وآدابه، قرأوه وتأملوه وسعدوا به واجتهدوا في إقامة أوامره ونواهيه، وعنوا بتحقيقه اعتقاداً واتباعاً...)[2].

ويقول كذلك- رحمه الله- موجهاً المسلم إلى حسن صلته بالصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً: (وأن يصل ما بينه وبين أصحاب رسول الله ﷺ بمعرفة سيرهم، وما أنقذهم الله به مما كانوا فيه من جاهلية وشرك ووثنية حتى كانوا خير أمة أُخرجت للناس، وأن يعرف الفرق بينهم وبين المدعين أتباع الأنبياء الآخرين ؛ وبينهم وبين المدعين أتباع محمد ﷺ، وأن يوثق الصلة بأولئك الصحابة رضي الله عنهم بأن يأخذ نفسه بالتأسي بهم والاهتداء بهداهم جهد طاقته)[3].

أخيراً يدعو الفقي –رحمه الله- الناس إلى سلوك ما كان عليه الصحابة وأن الفرقة الناجية يوم القيامة هم الذين يكونون على ما كان الصحابة رضوان الله عليهم حيث يقول: (... هذا حالهم وهذا سبيلهم سبيل الهدى والرشاد، فهل للناس أن يرجعوا إليه؛ ويثوبوا إلى تلك الفرقة الناجية بنص حديث رسول الله ﷺ وهي من كان على ما كان عليه هو وأصحابه... اللهم اجعلنا على سبيلهم وسُنَّ بنا سنتهم واجمعنا بهديهم وعلمهم وعملهم في الدنيا، واجمعنا بهم وبإمامهم المصطفى ﷺ يوم القيامة واحشرنا في زمرته)[4].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز (٦٨٩/٢).
(2) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد (ص: و).
(3) الهدي النبوي مجلد ٧ عدد ١٠ (ص: ٥).
(4) رد الإمام عثمان بن سعيد (ص: ط).

المبحث الثالث

التفضيل بين الصحابة

لقد جاءت الأدلة – من الكتاب والسنة- على وقوع التفاضل بين الصحابة الكرام وأنهم يتفاوتون في الأجر والمكانة بحسب أعمالهم ولا غرابة في ذلك، فالقرآن على جلالة قدره ومكانته يتفاضل في سوره وآياته، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتفاوتون في منازلهم ومكانتهم ، فلا غرابة أن يتفاوت الصحابة أيضا في منازلهم وفضلهم.

ولقد ذكر القرآن الكريم شيئاً من ذلك التفاضل بين الصحابة الكرام ،إذ يقول الله تعالى: "لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير"[١].

فقد ذكر الله عز وجل أن هناك فرقاً بين من أسلم وأنفق وقاتل قبل الفتح – صلح الحديبية – ومن حدث منه مثل ذلك بعد الفتح وكلٌ له أجره ومكانته.

أما السنة فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)[٢].

فخالد وعبد الرحمن رضي الله عنهما صحابيان وإسلامهما قبل الفتح ومع ذلك يقول النبي لا تسبوا أصحابي، فدل ذلك على وجود التفاضل بينهم رضوان الله عليهم أجمعين.

ومما يشهد على ذلك أيضا قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (كنا نخير بين الصحابة في زمان رسول الله ﷺ، نعد أبابكر ثم عمر ثم عثمان)[٣].

---

[١] سورة الحديد، آية: (١٠).

[٢] رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة، رقم (٦٤٨٨).

[٣] رواه البخاري – كتاب فضائل الصحابة،برقم (٣٦٥٥) واللالكائي رقم (٢٦٠٠) .

والمفاضلة بين الصحابة الكرام تقوم على عدد من الوجوه منها:

- التفاضل بسبب قِدَم الإسلام والجهاد والإنفاق.
- والتفاضل بسبب حادثة معينة كغزوة بدر أو بيعة الرضوان.
- التفاضل بسبب قول أو شهادة من النبي ﷺ. للفاضل. كتكليم الله لعبد الله بن حرام الأنصاري، وغسيل الملائكة لحنظلة[1]، واهتزاز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وغير ذلك.
- التفاضل بالغزو مع النبي ﷺ من عدمه.

وعقيدة أهل السنة والجماعة، أن خير الأمة بعد الرسول ﷺ هو أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم، ومن بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم الذين أسلموا قبل الفتح ، ثم الذين أسلموا بعد الفتح.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح – وهو صلح الحديبية –وقاتل؛ على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر- وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر – اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة. وأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ويثلثون بعثمان ،ويربعون بعلي رضي الله عنهم مع أن بعض السلف كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهم بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر – أيهما أفضل ، ولكن قد استقر أمر الأمة على تقديم عثمان...)[2].

---

[1] انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة، د. محمد عبد الرحمن الشظيفي، ص٢٤٤.

[2] انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥٢-١٥٣).

أما الفقي –رحمه الله – فهو على منهج أهل السنة كذلك ، إذ لم أجد له نصاً واضحاً في قضية المفاضلة بين الصحابة، لكنه من خلال كلامه وفي ثناياه إذا تحدث عن عصر الصحابة فإنه يبدأ بذكر الصحابة حسب ترتيبهم عند أهل السنة من جهة الأفضلية.

يقول في معرض كلامه على الرد على أهل الفتن :(لو أنهم اتبعوا سبيل رسول الله على بينة وبصيرة من أمرهم؛ فوقفوا موقف أبي بكر وعمر وإخوانهما من الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ورضي عنهم، فلقد كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأفقهها لكتاب الله، وهدى الإسلام، وأحرصها على الحق، وإعلاء كلمة الله)[1].

وكذلك لم يعهد على الشيخ –رحمه الله- أنه قدم عمر على أبي بكر أو عليًّا على عثمان فكان دائماً يذكرهم على حسب أفضليتهم يقول –رحمه الله- في كلامه عن قتل الحسين:(...وليس قتل الحسين رضي الله عنه بأعظم من قتل عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام... ولا أعظم من قتل عثمان – ذي النورين ولا أعظم من قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولا أظلم من قتل من قُتِلَ خيار المؤمنين والمجاهدين)[2].

وكأن الشيخ يلمح إلى ترتيب الصحابة من حيث الأفضلية من خلال هذه الإشارات وإن لم أقف على نص صريح له في ذلك.

---

[1] الهدي النبوي مجلد ١٣ عدد ١١(ص: ٣).

[2] الهدي النبوي مجلد ١٣ عدد ١١ (ص: ٣).

المبحث الرابع

الفتنة

المراد بالفتنة هي تلك الأحداث التي صاحبة قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وما تلاها من أحداث ووقائع كان لها تأثيرٌ قويٌ في الدولة الإسلامية وفي تشكيل وجهات شتى ومختلفة في الإسلام.

فقد استطاع أهل الشر أن يزرعوا الفُرقة والاختلاف بين الصحابة الكرام، حيث بدؤوا ذلك بقتل عثمان رضي الله عنه ثم أوقدوا الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وحدث بينهما ما حدث يوم وقعة الجمل وصفين، وقتل من الطرفين من قتل وحدثت فتنة عظيمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: (وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الأمة بعده؛ صار قوم ممن يحب عثمان ويغلو فيه ينحرف عن علي رضي الله عنه مثل كثير من أهل الشام ، وقوم ممن يحبون علياً رضي الله عنه ويغلو فيه ينحرف عن عثمان رضي الله عنه مثل كثير من أهل العراق)[1].

أما منهج أهل السنة والجماعة في هذه القضية فهي كالآتي:

الكف عما شجر بين الصحابة الكرام وعدم الخوض فيه ، والترضي عنهم، وأن المخطئ له أجر واحد والمصيب له أجران.

قال ابن بطة رحمه الله: (نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ، ولا تنظر في كتاب صفين ووقعة الجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك، ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك، ولا تسمعه فمن يرويه، فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه)[2].

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى (٣/٤٠٨).

[2] انظر: الشرح والإبانة – ابن بطة العكبري تحقيق د/ رضوان نعسان معطي – المكتبة الفيصلية ١٤٠٤هـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– مبيناً أصول أهل السنة: (يتبرؤون من أهل الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقّص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره... ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر)[1].

ولما سئل الإمام أحمد عن ذلك قرأ قوله تعالى :"تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون"[2].

قال ابن كثير بعدما ذكر هذا القول: "وكذا قال غير واحد من السلف"[3].

ومما يروى في ذلك قول عمر بن عبد العزيز –رحمه الله–: (تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحب أن أخضب بها لساني)[4].

أما موقف الفقي –رحمه الله– من الفتنة فأذكره في نقطتين:

أولاً: سبب الفتنة.

ثانياً: منهجه في الفتنة.

أولاً سبب الفتنة: يذهب الفقي –رحمه الله – على أن السبب الأساسي للفتنة التي عصفت بأمة الإسلام هم اليهود عليهم من الله ما يستحقون.

ففي رأيه أنهم وراء كل بلية ومصيبة حاقت بالمسلمين، حسداً وكِبْراً من عند أنفسهم وهذا ما عليه جمهور أهل العلم.

---

[1] شرح العقيدة الواسطية – محمد خليل هراس، دار الهجرة، (ص:/ ٢٤٨، ٢٤٩).

[2] سورة البقرة، آية: (١٤١).

[3] البداية والنهاية (٨/١٣٠).

[4] منهاج السنة – ابن تيمية (٦/٢٥٤) تحقيق محمد رشاد سالم – مكتبة ابن تيمية.

يقول –رحمه الله-: (فقد حاولوا قتل رسول الله ﷺ بإلقاء حجر رحىً عليه من علٍ، وكان ذالك سبب غزوة بني النضير وإجلائهم- ثم سمّوه في خيبر ،ثم في خلافة عمر رضي الله عنه – وقد اتسعت الفتوحات _تم إجلاؤهم من جزيرة العرب فكونوا "الجمعية الباطنية" برئاسة كعب الأحبار، فاغتالت عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم ألّبت على عثمان رضي الله عنه حتى قتلته، ثم أغرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، حتى كانت وقعة صفين التي أريقت فيها دماء أربعين ألفاً من المسلمين ثم قتلت علياً ثم ابنه الحسين، ثم عملت مع أبي مسلم الخراساني حتى قضت على الدولة الأموية وأتت بالعباسيين لتكون الدولة في كفالة الفرس عبدة النيران وفي حضانة الفلسفة الفارسية واليونانية، ثم ما زالت تعمل جاهدة حتى قضت على الخلافة العباسية بدسائس ابن العلقمي الذي كان وزير آخر خليفة عباسي وأحد أعضاء الجمعية الباطنية ليملك التتار، ثم وسعت الجمعية الباطنية دائرتها بعد ذلك بوقت ليس بالطويل فتسمت باسم الجمعية "الماسونية" وأخذت تعمل جاهدة لإقامة الدولة الصهيونية ببث أنواع الفساد وأسباب العداء حتى أتيحت لها الفرصة فأوقدت نار الحرب العالمية الأولى وأخذت منها "وعد بلفور" ثم عملت جاهدة حتى أوقدت الحرب الثانية وأججتها وغذتها وخرجت منها بإسرائيل التي لن تبقى وستزول قريباً إن شاء الله وتُطهر البلاد الإسلامية منها...)[1].

والحقيقة أن كلام الفقي –رحمه الله- يعد حقيقة لا شك فيها لمن قرأ التاريخ وسبر أغواره بثاقب فكره.

إلا أنه أجحف كثيراً في اتهامه لرجلين من السلف عُرف عنهما الخير والفضل ألا وهما كعب الأحبار ووهب بن منبه –رحمهما الله – حيث ألقى اللائمة والتبعة عليهما في التخطيط للفتنة وإذكاء أوارها.

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ٢٣ عدد ٣ (ص: ٢١ – ٢٣).

يقول الفقي –رحمه الله– : (ولقد كان المجرم كعب الأحبار من أحفظ الناس للقرآن وأحرصهم على تفسيره بما يوحي إليه شيطان مقته للإسلام وعداوته لله ولرسوله ولكتابه ليدس ما شاء له هذا الحقد وهذه العداوة...وكعب المجرم هذا هو الذي كان قلبه أشد قسوة من الحجارة، وأشد رجساً من الخمر والخترير، إذ هو الذي دبر مكيدة قتل الإسلام في عمر بن الخطاب رضي الله عنه... ولم يشف قتل عمر غيظ هذا المجرم الخبيث وحزبه، فدبروا مرةً أخرى بفتنة أوسع شراً ومكيدة أخبث ضراً برئاسة المجرم الخبيث عبد الله بن سبأ تلميذ كعب وربيبه– قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه...) إلى أن يقول (حتى أصبح اليهود وأذناب اليهود اليوم يخرجون على الناس بمحاولات فاشلة لتبرئة كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سبأ وحزبهم المجرم من هذه المكايد التي أشعلت في المسلمين ناراً إلى اليوم)[1] والحقيقة أن هذا الكلام فيه تجنٍ كبير على هذين الرجلين الفاضلين.

وقبل أن أتكلم عنهما أُشير إلى أن هذا الموقف الذي وقفه الفقي –رحمه الله– لم يأت من فراغ ؛بل لقد كان متأثراً فيه بموقف الشيخ محمد رشيد رضا، حيث كان يقول نفس الكلام وينتهج ذات المنهج.

يقول محمد رشيد رضا: (... وصرح في هذا المقام برويان كعب الأحبار ووهب بن منبه مع أن قدماء رجال الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما. فكيف لو تبين لنا من كذب كعب ووهب وعزوهما إلى التوراة وغيرها من كتب الرسل ما ليس فيها شيء منه ولا حومت حوله)[2].

ويقول كذلك: (وكعب الأحبار الذي أدخل على المسلمين شيئاً كثيراً من الإسرائيليات الباطلة والمخترعة وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده)[3].

ويقول: (إن بطلي الإسرائيليات وينبوع ا لخرافات كعب الأحبار ووهب بن منبه)[4].

---

[1] انظر: الهدي النبوي مجلد ١٤ عدد ٦ (ص: ٧،٨).
[2] تفسير المنار (٩/١).
[3] تفسير المنار (٤٤٩/٨).
[4] تفسير المنار (٤٧٦/٩).

فيظهر لنا أن حملة حامد الفقي -رحمه الله- لم تكن إلا تأثيراً بشيخه رشيد رضا.

أما كعب الأحبار فقد جاء في عدالته كثيرٌ من النصوص: قال عنه أبو الدرداء رضي الله عنه: (إن عند ابن الحميرية -يعني كعباً- لعلمًا كثيرًا)[1].

وقال عنه الذهبي: (كان من أوعية العلم.. ومن كبار علماء أهل الكتاب، أسلم في زمن أبي بكر رضي الله عنه وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر)[2].

وقال عنه ابن حجر: (ثقة من الثانية)[3].

وأما وهب بن منبه فقد قال عنه الذهبي (كان ثقة صادقا)[4].

وقال النووي عنه: (تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية) [5].

وأيضاً قال عنه ابن حجر: (ثقة من الثالثة)[6].

وعلى هذا تكون عدالتهما ثابتة عند أهل العلم ،فلا ينبغي أن نُجّرح فيهما لا سيما وقد شُهِد لهما بالفضل والخير.

الأمر الآخر الذي أنبه إليه هنا؛ هو جمع الفقي بين كعب الأحبار ووهب بن منبه من جهة وعبد الله بن سبأ اليهودي من جهة أخرى ووضعهم جميعًا في خندق واحد والفرق بينهم واسع والبون شاسع فهذا خطأ من الشيخ غفر الله له.

فكتب العلم مليئة بأخبار ذلك اليهودي الخبيث وما فعله في الأمة من تشتيت وفرقة وفتنة باقية إلى أن يشاء الله[7].

---

(1) انظر: فتح الباري (٢٣٥/١٣).

(2) انظر: تذكرة الحفاظ (٥٢/١)، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(3) انظر: تقريب التهذيب (١٣٥/٢)، لابن حجر، تحقيق/ محمد عوامة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.

(4) انظر: ميزان الاعتدال (٣٥٢/٤).

(5) انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١٤٩/٢)، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(6) انظر: تقريب التهذيب (٣٣٩/٢).

(7) انظر: كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام. سليمان بن حمد العودة.

ثانياً: منهج الفقي في الفتنة.

كما وافق الفقي –رحمه الله – السلف في جميع مسائل الاعتقاد، فهو أيضاً وافقهم في هذه المسألة أيضاً.

وهو وإن لم يتكلم في هذه القضية صراحة إلا أنه يذكر ما حدث بينهم على سبيل الإجمال معرضاً عن الكلام فيما شجر بينهم مع ترضيّه عنهم جميعاً.

يقول –رحمه الله-: (إن هذا العدو الشرير الخبيث –اليهود- استطاع أن يوقد نار الحرب بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين معاوية وأنا أعتقد أنه ما كان قصد هذا العدو علياً ولا معاوية لشخصيهما، وإنما كان القصد أن يقع بأس المسلمين فتذهب ريحهم، وينطفئ سراجهم وتتلاشى قوامهم..)[1].

ويقول كذلك واصفاً أهل الفتنة: (وحرصوا على أن يغمسوا معهم أيادي كثير من المشهورين من الناس في دم عثمان، غفر الله له ولهم؛ عن قصد أو عن غفلة وانخداع بمكر أولئك اليهود المجرمين.)[2].

وأخيراً يقول عنهم : (... ثم سلكوا الطريق في الدس والكيد حتى وصلوا إلى قتل عثمان، ثم أججوها بين علي ومعاوية رضي الله عنهما حتى قُتل علي ثم فر الحسن رضي الله عنه من طريقهم وألقى على نارهم تنازله عن الخلافة لمعاوية، فأخمدها وقتاً ما، ولم تطل حياته بل انقضت سريعاً بسم دس في طعامه – اعتقد أنه بأيديهم.. وبعد موت الحسن رضي الله عنه عملوا على إشعال الفتنة من جديد، فمهدوا بدعوة الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة ، وانتهى الأمر بقتله رضي الله عنه مخدوعاً مظلوماً...)[3].

وهكذا نجد أن الفقي – رحمه الله – سار على نهج السلف الصالح فما كان يخوض في الفتنة ولا يفصّل فيها الكلام إلا بمجرد الإشارة إليها إذا احتيج إلى ذلك.

---

(1) انظر: الهدي النبوي مجلد ٢ عدد ١٦، (ص: ٥).

(2) انظر: الهدي النبوي مجلد ١٤ عدد ٦، (ص: ٨).

(3) انظر: مجلة الهدي النبوي مجلد ٥ عدد (٢،٣) (ص: ٣٦،٣٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من جاء بالهدى والبينات.

وبعد:

فأحمد الله تعالى على توفيقه وتسديده وفضله وإنعامه فله الحمد في الأولى والآخرة وله الشكر بنعمه الباطنة والظاهرة، فقد أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع، والذي أسأل الله أن يجعله خالصاً له سبحانه وأن يأجرني ويتجاوز عني لفرط جهلي وعظيم تقصيري، وها أنا أسوق أهم النتائج التي أظهرها البحث.

أولاً: يعد الشيخ/ محمد حامد الفقي أنموذجاً قوياً للعالم السلفي والداعية المخلص والمؤسس الناجح والمضحي الصادق.

ثانياً: إن عقيدة الشيخ لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة في عمومها وخصوصها، فقد ظل ينادي بالرجوع إلى النبعين الصافيين الكتاب والسنة والاقتداء بسلف الأمة.

ثالثاً: ظهر لي قوة الاتصال بين فكره وفكر الشيخين الفاضلين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى وذلك من خلال استئناسه بكلامهما وبكثرة ذكرهما والثناء عليهما والدعوة إلى التضلع من كتبهما.

رابعاً: استطاع الشيخ الفقي – رحمه الله – إزالة الشبهات والترهات التي كانت تحوم حول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ، وحول دعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وإبراز الوجه الحقيقي لهما.

خامساً: للشيخ قلم سيّال وأسلوب عالٍ وبيان قوي راق، حيث يظهر هذا في مقالاته وتفسيره الذي كان يُنشر على صفحات الهدي النبوي، ومع ذلك

لم يكثر الشيخ من التأليف المنفرد لشغفه بالتحقيق والنشر لكتب السلف، حيث كان وقته مقسماً ما بين الدعوة والجماعة وما بين التحقيق والنشر.

سادساً: استطاع الشيخ الفقي أن ينشئ جماعة أنصار السنة المحمدية التي تقوم على إحياء منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح ومن خلالها استطاع أن يجمع حوله كوكبة من العلماء والدعاة الذين ألّف بينهم همٌّ واحد ومنهج واحد، فكانت الثمرة عظيمة القدر والفائدة في كثير من البلاد الإسلامية وخاصة في أرض الحرمين فظهر مشايخ فضلاء ودعاة نبلاء أمثال الشيخ/ محمد عبد الظاهر أبو السمح إمام الحرم المكي، والشيخ/ محمد عبد الرزاق حمزة إمام الحرم المدني، والشيخ/ محمد علي عبد الرحيم، والشيخ/ محمد جميل غازي، والشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ/ محمد خليل هراس، والشيخ/ محمد صادق عرنوس، والشيخ/ عبد الرحمن الوكيل... وغيرهم.

سابعاً: تعتبر جماعة أنصار السنة المحمدية امتداداً فكرياً وعقدياً ودعوياً لحركة ودعوة الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

ثامناً: ما قد يلاحظ على الشيخ الفقي يرحمه الله من ملاحظات – وهي قليلة – لا تخرج عن أمرين.

١) شدة منافحته عن العقيدة الصافية والتوحيد الخالص في وسط كان ممتلئًا بالشركيات والخزعبلات والبدع؛ فكانت هذه الشدة ربما أوقعته في نوع من القسوة – إن صحت العبارة – في بعض أحكامه.

٢) لقد كان للمدرسة العقلية – المنتشرة في ذلك الوقت – أثرٌ على كثير من العلماء والدعاة في مصر، ولقد مسّت تلك المدرسة الفقي – رحمه الله – بنزر قليلٍ من طرحها نتيجة تأثره بروادها محمد عبده ومحمد رشيد رضا – لكن الفارق بينهم كبير جداً.

تاسعاً: من المؤسف حقيقة أن عالماً مثل الشيخ الفقي في مكانته ودعوته وجهاده وجهده يطويه النسيان ولا يلتفت إليه أحد من أصحاب كتب التراجم والأعلام، فلقد بحثت عن ترجمة له أو ذكرٍ فما وجدت إلا شيئاً لا يكاد يذكر في معجم المؤلفين لا يسمن ولا يغني من جوع، وهذا تفريط في حق الشيخ وغبن لمكانته.

عاشراً: من الأمور المحزنة أن كثيراً ممن قابلت لا يملك عن الشيخ سوى معلومات خاطئة ومضللة، وأغلبها قدح فيه وانتقاص لمكانته وفضله، واتهام له بالجهل والتعنت، فعرفت أن هذه الأحكام أخذت من كتب خصومه وأقرانه، وما وقفوا على سيرة الرجل الحقيقية، وما حال الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب، عنه ببعيد.

الحادي عشر: يعد الشيخ من رواد مدرسة التفسير الجديدة المعاصرة، والموسوم بالتفسير الأدبي الاجتماعي الذي أسسه محمد عبده ومحمد رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي إلا أن الشيخ/ الفقي يمتاز عنهم بشدة التصاقه بعقيدة السلف وبعده عن المنهج العقلي.

الثاني عشر: من المحزن ما نراه في الأسواق والمكتبات من تضييع للآمانة العلمية ونكران للجميل والفضل، وأنا أقصد من كلامي هذا هو ذلك السطو الشنيع على كتب الشيخ التي قام بتحقيقها ونشرها، ثم بكل بساطة وسذاجة يعاد نشرها مرة أخرى مع حذف المقدمة واسم المحقق واستبدال ذلك بعبارة "راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر) فيا للمهزلة !!

الثالث عشر: أستطيع أن أختم كلامي في الشيخ فأقول "لقد كان الفقي أمّة في رجل وجماعة في فرد ومدرسة في معلم وعبقريات في عقل".

التوصيـــــــــات

أولاً:

حقيقة إن تفسير الشيخ يُعد ثروة علمية لم ينتبه إليه فأقترح أن تقدم فيه رسالة علمية متخصصة في التفسير.

ثانيًا:

عند قيامي بعمل البحث عملت على استقراء مجلة الهـــدي النبـــوي كاملـــة وفهرستها وهي تقع في واحد وثلاثين مجلداً والحق يقال إن هذه المجلة تعد كنـــزاً لا يقدر بثمن وذلك للكتّاب الذين كتبوا فيها وللمواضيع المطروقـــة والمطروحـــة فيهـــا وأيضاً للحقبة الزمنية التي وجدت فيها، فما أجدر أن يهتم بها وأن تطبـــع ويســـتفيد منها الناس.

ملحق الأعلام

ملحق الأعلام

1) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري بن سهل الزجاج، النحوي اللغوي المفسر، أقوم أصحاب المبرد قراءة عليه، توفى سنة ٣١١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤، ومعجم المؤلفين ٣٣/١.

2) أبن العلقمي/ محمد بن أحمد بن علي أبو طالب الأسدي البغدادي، وزير المستعصم العباسي، وصاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو على غزو بغداد، وكان رافضياً، مات سنة ٦٥٦هـ.
انظر: الأعلام ٣٢١/٥

3) أبن سبعين/ أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي. من الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود. مات سنة ٦٦٩هـ.
انظر: الأعلام ٢٨٠/٣

4) أبو السمح/ محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين الفقيه (أبو السمح) ولد عام ١٣٠٠هـ بمصر درس بالأزهر، عمل في بعض الوظائف الحكومية، عُين إماماً في الحرم المكي ومديراً لمدرسة دار الحديث. توفي عام ١٣٧٠هـ.
انظر: الأعلام ١١/٤ ، وسير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر ص٢٢٧

5) أبو العباس أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسني، مؤسس الطريقة الرفاعية الصوفية، كان يسكن قرية أم عبيدة بالبطائح "بين واسط والبصرة" ذكر النبهاني أنه أحد الأقطاب الأربعة، مات سنة ٥٧٨هـ.
انظر: كرامات الأوليات ٤٩٠/١، الأعلام ١٧٤/١

6) أبو المعالي الجويني/ عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، المشهور بإمام الحرمين، من كبار أئمة الأشاعرة، رجع إلى مذهب السلف في آخر حياته توفي سنة ٤٧٨هـ.
انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣، وسير أعلام النبلاء ٤٦٧/١٨.

7) أبو الوفاء محمد درويش أبو طالب/ ولد سنة ١٣١٠هـ، نشأ نشأة دينية علمية وشغل كثيراً من الوظائف الحكومية، من أبرز رجال وعلماء جماعة أنصار السنة، يلقب بحبر الصعيد، توفي سنة ١٣٨٢هـ.
انظر: مجلة التوحيد مجلد٢٤ عدد٢ ص٤١

8) أبو داود/ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني الإمام الحافظ الكبير، إمام أهل الحديث في زمانه، توفي سنة ٢٧٥هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٣٨٢/١ ، الأعلام ١٢٢/٣.

٩) أبو يعلي الحنبلي/ محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادي الحنبلي، كان عالم العراق في زمانه، وإليه انتهت الإمامة في الفقه الحنبلي، توفي عام ٤٥٨هـ.

انظر: طبقات الحنابلة ١٩٣/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٨٩/١

---

١٠) الآجري/ أبوبكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، نسبة إلى آجر من قرى بغداد، الإمام الفقيه المحدث الحافظ الثقة. توفي سنة ٣٦٠هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢٩٢/٤، ومعجم المؤلفين ٢٣٤/٩ + صفوة الصفوة ٢٦٥/٢

---

١١) أحمد أمين/ أحمد أمين الشيخ إبراهيم الطباخ، أديب مؤرخ أشتهر باسم "أحمد أمين" ولد سنة ١٢٩٥هـ في القاهرة، وتولى القضاء الشرعي ثم عين في جامعة الدول العربية، توفي سنة ١٣٧٣هـ.

انظر: الأعلام ١٠١/١

---

١٢) أحمد شاكر/ أحمد بن محمد شاكر، من آل علياء الحسيني، ولد سنة ١٣٠٩هـ عمل في القضاء، حقق ونشر عدداً من كتب الحديث والفقه والأدب ، مات سنة ١٣٧٧هـ

انظر: معجم المؤلفين ٣٦٨/١٣

---

١٣) أحمد عرابي/ أبو محمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم، زعيم مصري/ جاور في الأزهر سنتين، نفي أيام الإنجليز إلى جزيرة سيلان فمكث فيها ١٩عاماً. توفي سنة ١٣٢٩هـ.

انظر: الأعلام ١٦٨/١.

---

١٤) الألوسي/ أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسن الألوسي ، نسبه إلى جزيرة في نهر الفرات، المفسر والمحدث والأديب، توفي سنة ١٢٧هـ.

انظر: الأعلام ١٧٦/٧، ومعجم المؤلفين ١٧٤/١٢.

---

١٥) ابن أبي العز/ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، الإمام العالم العلامة، توفي سنة ٧٩٢هـ.

انظر: شذرات الذهب ٣٢٦/٦، مقدمة شرح الطحاوية ٣٦/١.

---

١٦) ابن الأثير/ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري كان فقيهاً محدثاً أديباً نحوياً ورعاً. توفي عام ٦٠٦هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٧/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤٨٨/٢١

---

١٧) ابن الأنباري/ أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، أديب، لغوي مفسر، محدث. مات سنة ٣٢٨هـ.

انظر: معجم المؤلفين ١٤٣/١١، وطبقات الحنابلة ٦٩/٢

١٨) ابن بطة/ أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حميدان العكبري المعروف بابن بطة، الإمام الفقيه المحدث من مؤلفاته: الإبانة الكبرى والصغرى في السنة. مات سنة ٣٨٧هـ.

انظر سير أعلام النبلاء ٢٩/١٦، وشذرات الذهب ١٢٢/٣

---

١٩) ابن حجر الهيتمي/ أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي السعدي الأنصاري شهاب الدين الشافعي المصري، الفقيه، ولد بمصر سنة ٩٠٩ ومات بمكة سنة ٩٧٤هـ.

انظر: البدر الطالع ١٠٩/١، والأعلام ٢٣٤/١

---

٢٠) ابن حجر/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني العلامة الحافظ. من مصنفاته "فتح الباري"، ولسان الميزان. توفى سنة ٨٢٥هـ.

انظر: شذرات الذهب ٢٧١/٧، والبدر الطالع ٧٨/١.

---

٢١) ابن خزيمة/ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري إمام الأئمة، قال عنه الذهب "الحافظ الكبير إمام الأئمة" توفي سنة ٣١١هـ.

انظر: تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٥، شذرات الذهب ٢٦٢/٢.

---

٢٢) ابن خلدون/ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي الفيلسوف المؤرخ ، ولد عام ٧٣٢هـ وتوفي عام ٨٠٨هـ.

انظر: الضوء اللامع ١٤٥/٤ ، والأعلام ٣٣٠/٣

---

٢٣) ابن دقيق العيد/ أبو الفتح محمد بن علي بن وهب مطيع بن أب الطاعة المنفلوطي، محدث حافظ فقيه أصولي، أديب نحوي، شاعر خطيب، ولد في ينبع الحجاز سنة ٦٢٥هـ ورحل إلى الشام ومصر توفي سنة ٧٠٢

انظر: معجم المؤلفين ٧٠/١١

---

٢٤) ابن رجب/ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الشهير بابن رجب الإمام الحافظ المحدث الفقيه، من مؤلفاته ذيل طبقات الحنابلة. توفى سنة ٧٩٥هـ.

انظر: شذرات الذهب ٣٣٩/٦، ومعجم المؤلفين ١١٨/٥.

---

٢٥) ابن سيرين/ أبوبكر بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء. من كبار التابعين. أدرك نحو ثلاثين صحابياً، توفي سنة ١١٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٦٠٦/٤ ، والأعلام ١٥٤/٦.

---

٢٦) ابن عبد البر/ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي القرطبي المالكي المحدث الحافظ الفقيه، كان صاحب ثقة ودين. توفي سنة ٤٦٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٨، وشذرات الذهب ٣١٤/٣.

٢٧) ابن عربي/ محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، صاحب وحدة الوجود، مات سنة ٦٨٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٨/٢٣ ، وميزان الاعتدال ٦٥٩/٣.

---

٢٨) ابن فارس/ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني من أئمة اللغة من مؤلفاته "المجمل في اللغة" ومعجم مقاييس اللغة توفى سنة ٣٢٩هـ.

انظر: معجم الأدباء ٨٠/٤، ومعجم المؤلفين ٤/٢.

---

٢٩) ابن قتيبة/ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمام العلامة الكاتب الأديب اللغوي، كان ثقة ديناً فاضلاً، توفي سنة ٢٧٦هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٧٠/١٠، وسير أعلام النبلاء ٢٩٦/١٣.

---

٣٠) ابن قدامة/ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي، موفق الدين، إمام في الفقه وعالم بالحديث، مات سنة ٦٢٠هـ.

انظر: الأعلام ٦٧/٤، شذرات الذهب ٨٨/٥

---

٣١) ابن كثير/ أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن كثير الدمشقي الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الفقيه توفى سنة ٧٧٤هـ.

انظر: شذرات الذهب ٢٣١/٦، ومعجم المؤلفين ٣٨٣/٢.

---

٣٢) ابن منده/ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي المعروف بابن منده الإمام الحافظ المحدث. توفي سنة ٣٩٥هـ.

انظر: شذرات الذهب ١٤٦/٣ ، ومعجم المؤلفين ٤٢/٩.

---

٣٣) البغوي/ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء الشافعي، العلامة الحافظ الملقب بمحي السنة، من مصنفاته: تفسيره معالم التنزيل، توفي سنة ٥١٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩.

---

٣٤) البيطار/ محمد بهجت بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني البيطار، ولد في دمشق سنة ١٣١١هـ، تتلمذ على جمال الدين القاسمي، استبقاه الملك عبد العزيز إثر مشاركته في مؤتمر العالم الإسلامي عام ١٣٥٤هـ، مات سنة ١٣٩٦هـ.

انظر: ذيل الأعلام ١٦٧

---

٣٥) الترمذي/ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، من أئمة أهل الحديث وحفاظه، من مصنفاته "سنن الترمذي" مات سنة ٢٧٩هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣ ، والأعلام ٣٢٢/٦.

٣٦) التيجاني/ أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن أحمد بن محمد التيجاني نسبة إلى بني تجين، من البرر في شمال إفريقيا، مؤسس الطائفة التيجانية المتوفى سنة ١٢٣٠هـ.
انظر: كتاب التيجانية لمؤلفه على الدخيل/ وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد مخلوف ص ٣٧٨.

---

٣٧) الثوري/ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه توفى سنة ١٦١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٣١١/١، ومعجم المؤلفين ٢٣٤/٤.

---

٣٨) الجعد بن درهم/ من الموالي مبتدع، ضال له أخبار في الزندقة سكن الجزيرة الفراتية، قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى في عام ١١٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٣٩٩/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥.

---

٣٩) جمال الدين الأفغاني/ محمد بن صفدر، ولد سنة ١٢٥٤هـ، وقيل أنه شريف ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه، شخصية غامضة مريبة، أهم بالرفض وانخراطه في الماسونية، مات سنة ١٣١٥هـ.
انظر: دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ص٩

---

٤٠) الجهم/ أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي، قال عنه الإمام الذهبي، الضال المبتدع رأس الجهمية، قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال ٤٢٦/١، الأعلام ١٤٢/٢.

---

٤١) الجوهري/ أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الجوهري، إمام في اللغة، صاحب كتاب "الصحاح" توفى سنة ٣٩٣هـ.
انظر: معجم الأدباء ١٥١/٦/ وسير أعلام الأنبياء ٨٠/١٧ يتيمة الدهر ٢٨٩/٤.

---

٤٢) الجيلي/ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط عبد القادر الجيلاني، من كبار مشايخ الصوفية ومن القائلين بوحدة الوجود، مات سنة ٨٣٢هـ.
انظر: كشف الظنون ص١٨١، معجم المؤلفين ٣١٢/٥.

---

٤٣) الحسن البصري/ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري، كان من سادات التابعين وعلمائهم، ثقة فقيه، فاضل مشهور، توفي سنة ١١٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٦٩/٢ ، وتقريب التهذيب ١٠٢/١.

---

٤٤) الحلاج/ أبو مغيث الحسين بن منصور فارسي الأصل، فيلسوف صوفي مشعوذ محتال، يقول بالحلول ويدعي الألوهية عند أصحابه، قتل وصُلب في سنة ٣٠٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٣/١٤، وميزان الاعتدال ٥٤٨/١.

٤٥) خان/ محمد صديق خان بن حسن علي بن لطف الله القنوجي البخاري العلامة المحقق، من مصنفاته "الدين الخالص" توفي سنة ١٣٠٧هـ.
انظر: مشاهير علماء نجد ص٤٥١ ، كتاب قطف الثمر ص١١ والأعلام ١٦٧/٦

٤٦) الخديوي إسماعيل/ إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد بن علي الكبير، ولد عام ١٢٤٥هـ وتولى الحكم ١٢٧٩هـ، كان مسرفاً، توفي سنة ١٣١٢هـ.
أنظر: الأعلام ٣٠٨/١

٤٧) الخطابي/ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي الحافظ اللغوي. توفي سنة ٣٨٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ ، وشذرات الذهب ٣٠٧/١٧.

٤٨) الخلال/ أحمد بن محمد بن هارون الخلال، شيخ الحنابلة في وقته مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه من مصنفاته "كتاب السنة" توفى سنة ٣١١هـ.
انظر: طبقات الحنابلة ١٢/١/ وسير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٤.

٤٩) الخواص/ علي الخواص البرسلي، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يتكلم في معاني القرآن والسنة وكان يشتغل بصناعة الخوص، صحبة الشعراني عشر سنين.
انظر: الطبقات الكبرى للشعراني ١٣٠/٢

٥٠) الدارمي/ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ الناقد: من مصنفاته "الرد على الجهمية" توفى سنة ٣٨٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣، وشذرات الذهب ١٧٦/٢.

٥١) الذهبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الدمشقي الذهبي، الإمام العلامة الحافظ المحدث المؤرخ الناقد، توفي سنة ٧٤٨هـ.
انظر: شذرات الذهب ١٥٣/٦، ومعجم المؤلفين ٢٨٩/٨.

٥٢) الرازي/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي، من كبار أئمة الأشعرية، ندم في أخر عمره لخوضه في الكلام المذموم. توفي ٦٠٦هـ.
انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٤٦٦، الأعلام ٣١٣/٦.

٥٣) الراغب الأصفهاني/ الحسين بن محمد بن فضل أبو القاسم الأصفهاني، أديب من الحكماء العلماء توفي سنة ٥٠٢هـ.
انظر: الأعلام ٢٥٥/٢ ، كشف الظنون ٣٦/١

٥٤) رشاد الشافعي/ محمد عبد المجيد الشافعي، ولد عام ١٣٣٨هـ، كانت له جهود جيدة في الدعوة إلى الله، ويُعد المؤسس الثاني لجماعة أنصار السنة بعد الشيخ/ الفقي واشتهر بجرأته وشجاعته، أسس مجلة التوحيد، توفي عام ١٩٩٠هـ.
انظر: مجلد التوحيد مجلد٢٤ عدد٦ ص٤٣

٥٥) رشيد رضا/ محمد رشيد بن علي بن رضا بن محمد البغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار، من الكتّاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي سنة ١٣٥٤هـ.
انظر: الأعلام ١٢٦/٦، والشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي في المعتدل ص٩

---

٥٦) رفاعة الطهطاوي/ رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، عالم مصري تعلم بالأزهر، أرسلته الحكومة المصرية واعظاً للطلاب في أوربا، وقد ألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة، ولد عام ١٢١٦هـ وتوفي ١٢٩٠هـ.
انظر: الأعلام ٢٩/٣

---

٥٧) الزمخشري/ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي عالم في التفسير واللغة والأدب، من متكلمي المعتزلة وفيه غلو، توفي سنة ٣٠٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان ١٠٧/٢، وسير أعلام النبلاء ١٧٩/١٢.

---

٥٨) السدي/ أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي صدوق، يهم، ورمي بالتشيع ، مات عام ١٢٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٧٢/١

---

٥٩) السعدي/ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن حمد السعدي التميمي، العلامة الإمام المفسر الفقيه الأصولي من مصنفاته "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" توفى سنة ١٣٧٦هـ.
انظر: معجم المؤلفين ٣٩٦/١٣، الأعلام ٣٤٠/٣.

---

٦٠) السفاريني/ أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، كان عالماً بالحديث والأصول والأدب من مصنفاته "لوامع الأنوار البهية" مات سنة ١١٨هـ.
انظر: الأعلام ١٤٠/٦، ومعجم المؤلفين ٢٦٢/٨.

---

٦١) سفيان بن عيينة/ أبو محمد سفيان ابن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي قال عنه ابن حجر: ثقة حافظ إمام هجة. توفى سنة ١٩٠هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٣١٢/١.

---

٦٢) السيد عمر مكرم/ من أشهر الشخصيات المصرية في فجر النهضة القومية ، شجاعةً وإقداماً ونفوذاً ولد في أسيوط كان ممن عيّن محمد علي والياً على مصر مات سنة ١٢٢٨هـ.
انظر: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر. عبد الرحمن الرافعي ص٢٣٤

---

٦٣) السيوطي/ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١هـ.
انظر: الأعلام ٣٠١/٣، الضوء اللامع ٦٥/٤

٦٤) الشعراني/ عبد الوهاب بن أحمد الحنفي – نسبة إلى محمد بن الحنفية – من المتصوفين الغلاة، ولد بمصر ٨٩٨هـ ومات سنة ٩٧٣هـ له مؤلفات غالبها في التصوف.

انظر: الأعلام ٤/١٨٠

---

٦٥) الشعراني/ عبد الوهاب بن أحمد الحنفي، من المتصوفين الغلاة، ولد في مصر سنة ٨٩٨هـ ومات فيها سنة ٩٧٣هـ.

انظر: الأعلام ٤/١٨٠

---

٦٦) شلتوت/ محمود شلتوت ، أحد علماء مصر، ولد عام ١٨٩٢، وعُين شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨م ومات سنة ١٩٦٣م

انظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ص١٠٩١

---

٦٧) الشهرستاني/ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ولد سنة ٤٦٧هـ ومات سنة ٥٤٨

انظر: شذرات الذهب ٤/١٤٩ ، ومعجم المؤلفين ١٠/١٨٧

---

٦٨) الشوكاني/ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ثم الصنعاني الإمام العالم المحدث الفقيه الأصولي من مصنفاته "فتح القدير ونيل الأوطار". توفي سنة ١٢٥٠هـ.

انظر: معجم المؤلفين ١١/٥٣ ، منهج الإمام الشوكاني في العقيدة ١/٧١.

---

٦٩) الشيخ عبد الله الشرقاوي/ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم، ولد سنة ١١٥٠هـ بإقليم الشرقية، درس بالأزهر وتولى مشيخته وكان ممن عيّن محمد علي والياً على مصر، ومات سنة ١٢١٧هـ

انظر: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر الرافعي ص٢٣٩

---

٧٠) الصابوني/ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري الإمام الفقيه المحدث توفى سنة ٤٤٩هـ.

انظر: شذرات الذهب ٣/٢٨٢/ ومعجم المؤلفين ٢/٢٧٥.

---

٧١) الصفدي، أبو الوفاء صلاح الدين خليل بن أيبل بن عبد الله الصفدي الشافعي المؤرخ الأديب اللغوي توفي سنة ٧٦٤هـ.

انظر: شذرات الذهب ٦/٢٠٠ ، ومعجم الأدباء ٤/١٤

---

٧٢) الصنعاني/ محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني الصنعاني الإمام العلامة الفقيه، توفي سنة ١١٨٢هـ.

انظر: البدر الطالع ٢/١٣٣، عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٥٣

٧٣) الضحاك/ أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، ويقال أبو محمد الخراساني، صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة.

انظر: تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤، وسير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤

---

٧٤) الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، إمام في التفسير والتاريخ توفي سنة ٣١٠هـ.

انظر: إرشاد الأريب ٤٢٣/٦ ، تذكرة الحافظ ٣٥١/٢

---

٧٥) الطحاوي/ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، نسبة إلى "طحا" قرية في صعيد مصر، كان حنفيًا إمامًا فقيهًا محدثًا ثقة ثبتًا. توفى سنة ٣٢١هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٧١/١ ومعجم المؤلفين ٧/٢.

---

٧٦) طه حسين/ طه بن حسين بن علي بن سلامة، كف بصره وهو صغير، درس في الأزهر وسافر إلى باريس فتخرج من السوربون وعُين وزيراً للمعارف، تأثر بالمستشرقين مات سنة ١٣٩٣هـ.

انظر: الأعلام ٢٣١/٣

---

٧٧) عبد الرازق عفيفي/ بن عطية بن عبد الله بن شرف الدين النوبي، ولد في المنوفية بمصر سنة ١٣٢٣هـ ، حفظ القرآن على يدي والده، تخرج من الأزهر، وكان عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، وكان له مكانة عظيمة، توفي سنة ١٤١٥هـ.

انظر: كتاب الشيخ عبد الرزاق عفيفي حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثار الحميده ص٢٥.

---

٧٨) عبد الرحمن بن عبد الوهاب الوكيل/ ولد سنة ١٣٣٢هـ بمصر، درس بالأزهر وتخرج منه، انتدب للتدريس بالسعودية، وله مواقف خالدة ضد الصوفية، له جهود طيبة في نشر العقيدة السلفية. تولى رئاسة جماعة أنصار السنة بعد الفقي، وتوفي سنة ١٣٩٠هـ ودفن بمكة المكرمة.

انظر: جماعة أنصار السنة: نشأتها وأهدافها ورجالها ص٣١، ومجلة التوحيد: مجلد٢٤ عدد٥ ص٣٤

٧٩) عبد العزيز بن راشد النجدي، ولد عام ١٣٢٣هـ في قرية من قرى نجد، تتلمذ على علماء نجد ثم سافر إلى مصر لطلب العلم والتحق بالأزهر حيث قضى قرابة ثلاثين عاماً في مصر بين العلم والتعليم والدعوة، كان له مصادمات كثيرة مع الصوفية توفي في مصر سنة ١٤٠٣هـ.

انظر: مجلة التوحيد مجلد٢٦ عدد٣ ص٤٦

---

٨٠) الغزالي/ أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ممن سلك مناهج متعددة بدء بعلم الكلام ثم الفلسفة، وغير ذلك ثم طالع كتب الحديث ومات وصحيح البخاري على صدره، من مصنفاته: إحياء علوم الدين. توفي سنة ٥٠٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩

---

٨١) الفيروز آبادي / أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، إمام اللغة والأدب ولد سنة ٧٢٩هـ ومات سنة ٨١٧هـ

انظر: الأعلام ١٤٦/٧، البدر الطالع ٢٨٠/٢

---

٨٢) قتادة/ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري، إمام حافظ مفسر ثقة ثبت، توفي سنة ١١٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥، وتقريب التهذيب ٦٢/٢.

---

٨٣) كعب الأحبار/ كعب بن ماتع الحميري من أهل اليمن كان من أوعية العلم اسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في زمن عمر، له رواية في صحيح مسلم مات سنة ٣٤هـ

انظر: تذكرة الحفاظ ٥٢/١ ، وسير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣

---

٨٤) الكوثري/ محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الجركسي الحنفي، عرف بالتعصب والعداء للدعوة السلفية ومن ينتسب لها توفي سنة ١٣٧١هـ.

انظر: الأعلام ١٢٩/٦، ومعجم المؤلفين ٤/١٠.

---

٨٥) المأمون/ أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع خلفاء بني العباس في العراق، ترجم كتب الفلاسفة إلى العربية وحث الناس على قراءتها وهو صاحب بدعة خلق القرآن مع الإمام أحمد والذي حمل لواءها توفي سنة ٢١٨هـ.

انظر: تاريخ بغداد ١٨٣/١٠ ، الأعلام ١٤٢/٤.

٨٦) الماوردي/ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة ، مات سنة ٤٥٠هـ.

انظر: الاعلام ٣٢٧/٤.

---

٨٧) المباركفوري/ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، عالم مشارك في أنواع العلوم وفي الصناعة الحديثية على وجه الخصوص، ولد في الهند توفي سنة ١٣٥٣هـ.

انظر: معجم المؤلفين ١٦٦/٥

---

٨٨) المتوكل/ أبو الفضل المتوكل على الله جعفر بن المعتصم أبن محمد بن الرشيد بن هارون الرشيد القرشي الخليفة العباسي، أظهر السنة ورفع المحنة عن المسلمين في القول بخلق القرآن، اغتاله الجند الأتراك سنة ٢٤٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠/١٢

---

٨٩) مجاهد/ أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي مولاهم المكي إمام في التفسير ثقة توفي سنة ١٠٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، تقريب التهذيب ٢٢٩/٢.

---

٩٠) محمد أحمد عبد السلام القشيري، كان من دعاة جماعة أنصار السنة المحمدية، ورئيس الجمعية السلفية بالحوامدية، توفي سنة ١٣٧١هـ له كتاب السنن والمبتدعات.

انظر: مجلة التوحيد مجلد٢٥ عدده ص٥٤

---

٩١) محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان مفتي المملكة العربية السعودية فقد بصره صغيراً كان رئيساً للجامعة الإسلامية ورئيساً لتعليم البنات ولد عام ١٣١١هـ وتوفي عام ١٣٨٩هـ.

انظر: الأعلام ٣٠٦/٥

---

٩٢) محمد جميل احمد غازي/ ولد سنة ١٣٥٥هـ، درس بالأزهر وحاز على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٣هـ، له جهود جيدة في نشر عقيدة السلف ومناظرة النصارى، توفي سنة ١٩٨٨م.

انظر: تتمة الأعلام. محمد خير رمضان: وفيات (١٣٩٧-١٤١٥هـ).

---

٩٣) محمد حسين نصيف/ من وجهاء الحجاز، سلفي المعتقد، كان له علاقة جيدة مع العلماء السلفيين في العالم الإسلامي، توفي سنة ١٣٩١هـ.

انظر: أعلام الحجاز ٢٣٣/١ ، محمد نصيف حياته وآثاره ص٥٠ ، الأعلام ١٠٧/٦

٩٤) محمد خليل هراس/ ولد عام ١٣٣٥هـ، تلقى تعليمه في المدارس الأزهرية وتخرج منها عام ١٩٤٠م، كان مدرساً بكلية أصول الدين ونائباً لرئاسة جماعة أنصار السنة انتدب للتدريس في مكة المكرمة وأسس قسم العقيدة فيها، توفي سنة ١٣٩٥هـ.

انظر: مجلة التوحيد مجلد٢٥ عدد١ ص٥٧

---

٩٥) محمد صادق عرنوس/ شاعر وأديب جماعة أنصار السنة ولد عام ١٣١٥هـ، تولى أعمالاً كثيرة في الجماعة وأطولها مديراً لمجلة الهدي النبوي لمدة ١٥ سنة، كان شاعراً عالماً مثقفاً أديباً خطيباً كاتباً، توفي سنة ١٣٧٠هـ ودفن بالبقيع.

انظر: مجلة التوحيد، عدد١٠ مجلد٢٤ ص٣٩

---

٩٦) محمد عبد الحليم الرمالي/ عالم أزهري، عمل مفتشاً بوزارة الأوقاف وأنشأ جماعة الاعتصام بدمياط سنة ١٩٢١، وكان رفيقاً وصديقاً للفقي رحمه الله، وكان يلقي المحاضرات متنقلاً بين المحافظات، وله جهد متميز في نشر دعوة التوحيد توفي سنة ١٣٦٨هـ.

انظر: مجلة التوحيد عدد١١ مجلد٢٤ ص٥٥

---

٩٧) محمد عبده/ بن حسن خير الله التركماني، ولد عام ١٢٦٦هـ في مصر، تعلم بالجامع الأحمد بطنطا، ثم بالأزهر وتصوف وتفلسف، اتصل بالأفغاني وفتن فيه، نفي إلى بلاد الشام وعاد إلى مصر سنة ١٣٠٦هـ، وعُين قاضياً ثم ولي منصب المفتي العام للديار المصري، وقد كانت علاقته قوية باللورد كرومر مات سنة ١٣٢٣هـ.

انظر: الأعلام ٢٥٢/٦، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ٥٠/١٥

---

٩٨) محمد علي باشا/ ابن أغا بن علي، ألباني الأصل، مستعرب، ولي مصر سنة ١٢٢٠هـ فقضى على المماليك غدراً، اعتزل الأمور لابنه إبراهيم سنة ١٢٦٤هـ. مات سنة ١٢٦٥هـ.

انظر: الأعلام ٢٩٨/٦

---

٩٩) محمد علي عبد الرحيم/ ولد عام ١٣٢٢هـ، طلب العلم الشرعي منذ صغره وعمل في سلك التعليم ثم أعير إلى السعودية واختاره الشيخ/ محمد بن إبراهيم للتدريس بالحرم ولقد كان من المساهمين في تأسيس مدارس البنات بوضع المناهج ونُظُم تعليمها، توفي عام ١٤١٢هـ.

انظر: مجلة التوحيد مجلد ٢٤ عدد ٧ ص٤٣

١٠٠) المراغي/ محمد بن مصطفى بن محمد المراغي: تولى مشيخه الأزهر حتى مات، ولد بالمراغة من قرى الصعيد. كان من دعاة التجديد والإصلاح، تتلمذ على يد محمد عبده ولد سنة ١٢٩٨هـ وتوفي سنة ١٣٦٤هـ.

انظر: الأعلام ١٠٣/٧٠

---

١٠١) المريسي/ بشر بن غياث بن أبي كريمة بن عبد الرحمن المريسي المعتزلي المبتدع الضال كان أبوه يهوديًا، تنتسب إليه طائفة المريسية من المعتزلة مات سنة ٢١٨هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣٢٢/١، وفيات الأعيان ٢٧٧/١.

---

١٠٢) المعتصم/ أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، بُويع بالخلافة بعد أخيه المأمون، وامتحن الناس بخلق القرآن، توفي سنة ٢٢٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٩٠/١٠

---

١٠٣) النسائي/ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان بن بحر النسائي، الإمام الحافظ ، توفي سنة ٣٠٣هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٣٦/١.

---

١٠٤) النووي/ محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسن النووي الدمشقي الشافعي، فقيه محدث حافظ لغوي، توفي سنة ٦٧٧هـ.

انظر: معجم المؤلفين ٢٠٢/١٣

---

١٠٥) الهروي/ أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، شيخ خراسان في عصره، من كبار أئمة الحنابلة، توفي ٤٨١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٣٠٥/١٨، والأعلام ١٢٢/٤

---

١٠٦) هناد بن السري/ بن مصعب التميمي الدارمي، محدث زاهد من حفاظ الحديث الثقات، كان شيخ الكوفة ولد سنة ١٥٢هـ وتوفي سنة ٢٤٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١١، شذرات الذهب ١٠٤/٢

---

١٠٧) وهب بن منبه/ أبن كامل بن سيج أبو عبد الله الصنعاني اليماني، كان ثقة واسع العلم عنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، مات سنة ١١٤هـ.

انظر: وفيات الأعيان ٢٨/٥ ، وتذكرة الحفاظ ١٠٠/١

فهرس الآيات والأحاديث

أولاً: فهرس الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	٣١-٣٢	-٢٢٧-
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾	٣	-٢٦٧-
﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ... ﴾	٩٢	-٣٥١-
﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ ... ﴾	٤	-٣٥٣-

سورة يوسف

﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ... ﴾	٦٧	-٢١٠-
﴿ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ ﴾	٥٠	-٢٢١-
﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ ﴾	٤١	-٢٢٢-
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾	١٠٦	-٢٨٥-
﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	١٠٣	-٢٨٥-
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾	١٧	-٣٠٤-

سورة الرعد

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾	٨	-١٣٢-
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ... ﴾	٦	-١٣٥-
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	١٥	-١٨٧، ١٩٠-
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ... ﴾	٢	-٢٦٢-
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	٦	-٢٨٣-
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ... ﴾	٢٩	-٣١٤-
﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ... ﴾	٣٨-٣٩	-٣٣١-

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ...﴾	٤١	-٣٥٩-
سورة إبراهيم		
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَاخِرَةِ ...﴾	٢٧	-٣٤٩-
سورة الحجر		
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ...﴾	٢١	-١٣٢-
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا ...﴾	٢٨-٣١	-١٨٥-
سورة النحل		
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾	٦٤	-١٣٣-
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	-١٤٠-
﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ...﴾	١٠٢	-١٩٥-
﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	٧٨	-٢٣٣-
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	-٢٦٥-
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	-٢٦٩-
سورة الإسراء		
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾	٤	-١٣٣-
﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾	٢	-١٣٥-
﴿ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾	٢	-١٣٨،١٣٥-
﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾	١٠٢	-٢٢٥-
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ...﴾	٥٧	-٢٨٢-
﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ...﴾	٥٥	-٣٢١-

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ...﴾	٢٣	-٣٣٤-
سورة الكهف		
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ...﴾	١١٠	-٢٧٥،٢٧٤-
سورة طه		
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	-٢٣٣-
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	١١٠	-٢٤٥-
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	٥	-٢٦٢-
﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	٤٦	-٢٦٥-
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ...﴾	٥-٨	-٢٦٧-
﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾	١١٤	-٣١٣-
﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ...﴾	١٠٩	-٣٥٦-
سورة الأنبياء		
﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	٣٥	-٣١٣-
سورة الحج		
﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾	٧٤	-٣٣٤، ١٣٢-
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ..﴾	١٨	-١٩١-
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ...﴾	٤٦	-٢٦١ ،١٩٥-
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ ...﴾	٥٢	-٣١٩-
﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾	٧٧	-٣٤٦-
سورة المؤمنون		
﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾	١٨	-١٣٢-

سورة يس		
﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ...﴾	٣٩	-١٣٢-
سورة الزمر		
﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	٦٦	-٢٧٠-
﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	٧٠	-٣٤٦-
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا...﴾	٤٤	-٣٥٥-
سورة غافر		
﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾	١٢	-٢٥٩-
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾	٦٠	-٢٧٩-
﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟...﴾	٤٥-٤٦	-٣٤٩، ٣٥٠-
سورة فصلت		
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾	٥٣	-٢٢٩-
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ...﴾	٤٠	-٢٤٩-
﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ...﴾	٤٣	-٢٨٢-
﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ...﴾	١٢	-٣٣٤-
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	-١٣٨، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠-
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	٤٣	-١٨٣-
سورة الزخرف		
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ...﴾	٨٧	-٢٢٦-

سورة الرحمن		
﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾	٦	-١٨٨-
سورة الحديد		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾	٤	-٢٦٣-
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٤	-٢٦٦-
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ...﴾	١٩	-٣٠٦-
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ ...﴾	٢٢	-٣٣٨-
﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ...﴾	١٠	-٣٧٩-
سورة المجادلة		
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ...﴾	٧	-٢٦٥-
سورة الحشر		
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ...﴾	٧	-١٤٠،٢٩٨،٣٢٥-
سور الملك		
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	١٠	-١٩٦-
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ...﴾	١٦	-٢٥٩-
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ...﴾	١٥	-٣٤٠-
سورة القلم		
﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ...﴾	٥١-٥٢	-٢١٢-
﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	٣٥	-٣١٠-
﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٥-٣٦	-٣٥٤-

سورة المزمل		
﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ...﴾	٢٠	-١٣٢-
سورة النبأ		
﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾	١-٢	-٣١٨-
سورة النازعات		
﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	٢٤	-٢٢٥-
سورة الانفطار		
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	٧-٨	-٢٣٣-
سورة الغاشية		
﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ...﴾	١٧-٢٠	-٢٣٦-
سورة الفجر		
﴿ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾	٣	-٣٥٥-
سورة الشمس		
﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ...﴾	٧-١٠	-٣٤٣-
سورة التين		
﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾	٤	-٢٣٣-

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس المراجع والمصادر

فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم

٢. ٥٠ عاماً من ثورة ١٩١٩م، مركز الوثائق والبحوث التاريخية المعاصرة، مؤسسة الأهرام.

٣. أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب، محمد حامد الفقي، ط٢، ١٣٥٤هـ.

٤. الأجوبة المرضية لتقريب التدمرية، بلال حبيشي الجزائري، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ.

٥. الأحكام السلطانية، لأبي يعلي محمد الفراء، تحقيق محمد حامد الفقي. دار الفكر، ١٤٠٦هـ

٦. الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ، ط١

٧. الأزهر في ألف عام، د/ أحمد محمد عوف، مطابع الأزهر، ١٤٠٢هـ.

٨. الأسماء والصفات، للبيهقي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ.

٩. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، دار الكتب العلمية.

١٠. أصول الحديث علومه ومصطلحه، د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، ط٤، ١٤٠١هـ.

١١. أضواء المسارج لبيان جور التعليقات على المدارج، عبد الكريم بن صالح الحميد، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٢. أعلام الموقعين، لابن القيم، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية.

١٣. الأعلام للزركلي، دار العلم، ط٨، ١٩٨٩م، بيروت.

١٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر.

١٥. الأنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ط١، ١٣٧٥هـ.

١٦. الإيضاح المبين في هدم الإسلام للكفر المبين، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٥هـ.

١٧. الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق الألباني، نشر دار الأرقم، الكويت.

١٨. الاعتصام للشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٢هـ.

١٩. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق/ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط٢، ١٣٦٩هـ.

٢٠. الانحرافات العقدية والعملية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة، علي بن بخيت الزهراني، دار طيبة، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢١. البداية والنهاية، لابن كثير، دار الريان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٢. البدع الحولية، عبد الله التويجري، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٣. بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٨، ١٤٢٠هـ.

٢٤. بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، تصحيح محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، ط٢، ١٤٢١هـ.

٢٥. تاريخ الأزهر في ألف عام، سنية قراعة، مكتب الصحافة الدولي، ١٣٨٨هـ.

٢٦. التاريخ الإسلامي، محمود محمد شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ، ط٧

٢٧. التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، د/ حسن فقي، دار المعارف، ط٢، ١٩٧١م.

٢٨. تاريخ الجامع الأزهر، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط٢، ١٣٧٨هـ.

٢٩. تاريخ مصر الحديث والمعاصر، د/ عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م.

٣٠. التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية الكبري، القاهرة، ١٣٥٢، ط١.

٣١. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة. للسخاوي، تحقيق محمد حامد الفقي. مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٧هـ.

٣٢. تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مكتبة السنة، ط٥ ، ١٤١٤هـ.

٣٣. تدوين السنة، د. محمد بن مطر الزهراني، دار الخضيري، ط٢، ١٤١٩هـ.

٣٤. تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٥. تطور الحركة الوطنية في مصر، عبد العظيم محمد إبراهيم رمضان، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

٣٦. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ.

٣٧. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ

٣٨. تفسير الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ

٣٩. تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٠. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار القلم، ط٢.

٤١. التفسير القيم لابن القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

٤٢. التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣.

٤٣. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، ط٢

٤٤. تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي. طبعة الرئاسة، ١٤١٠هـ.
٤٥. تفسير جزء عم، محمد عبده، مطبعة مصر، ط١، ١٣٤١هـ.
٤٦. تفسير سورة الفاتحة مع ست سور من خواتم القرآن، محمد رشيد رضا، المنار، ط١، ١٣٥٣هـ.
٤٧. تفسير سورة الكافرون والمعوذتين، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.
٤٨. تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العلمية، ١٣٧٨هـ.
٤٩. تفسير فتح القدير، للشوكاني، معالم الكتب، ط١
٥٠. التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبه، ط٣، ١٤٠٥هـ.
٥١. تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.
٥٢. التمهيد، لابن عبد البر، مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٣. تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي أن الملائكة غير عقلاء، محمد سلطان المعصومي الخجندي، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ.
٥٤. تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٥. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ط١ ، ١٣٨٤هـ.
٥٦. التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، د/ عبد الله الدميجي، دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ.
٥٧. جامع الأصول من أحاديث الرسول. ابن الأثير، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.
٥٨. جامع البيان في تفسير القرآن، للأيجب الصفوي، تحقيق محمد حامد الفقي الناشر محمود توفيف، القاهرة، ١٣٥٥هـ.
٥٩. جامع الترمذي، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية.
٦٠. جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ.
٦١. جامع العلوم والحكم، لابن رجب، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢١هـ.
٦٢. الجامع في الآداب لابن عبد البر، دار ابن حزم. بيروت، ١٤١١هـ.
٦٣. جماعة أنصار السنة نشأتها أهدافها رجالها، جماعة أنصار السنة المحمدية، دار أم القرى للطباعة

٦٤. حقوق النبي ﷺ على أمته. محمد خليفة التميمي. مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ.
٦٥. حلية الأولياء، لأبي نعيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ.
٦٦. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق/ د. محمد رشاد سالم.
٦٧. دراسات في تاريخ العرب، د/ عمر عبد العزيز عمر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.
٦٨. الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام، للسعدي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية القاهرة ١٣٦٦هـ.
٦٩. رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، تحقيق/ محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة، ط١، ١٣٥٨هـ.
٧٠. الرد الوفي على تعليقات حامد الفقي، محمد سلطان المعصومي الخجندي، المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ.
٧١. الرد على الجهمية والزنادقة: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د/ عبد الرحمن عمير، ط١ عام ١٣٩٧هـ. دار اللواء الرياض.
٧٢. رسائل في مسائل التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية.
٧٣. رسالة في أحكام الغناء لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار طيبة، الرياض ١٤٠٣هـ.
٧٤. رسالة في أمراض القلب لابن القيم. تحقيق محمد حامد الفقي، دار طيبة، الرياض ١٤٠٣هـ.
٧٥. الرسالة، للشافعي، دار الفكر، تحقيق/ أحمد محمد شاكر.
٧٦. روضة الطالبين، للنووي، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٧٧. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم البستي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٨هـ.
٧٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، دار المعرفة، بيروت.
٧٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٨٠. السنة، عبد الله بن حنبل، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار القيم، ط١، ١٤٠٦هـ
٨١. سنن أبي داود، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية.
٨٢. سنن ابن ماجة، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية.
٨٣. سنن النسائي، إعداد فريق بيت الأفكار الدولية.
٨٤. سير أعلام النبلاء، للذهبي، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ.
٨٥. شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الميسرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٨٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، تحقيق د أحمد سعد حمدان، دار طيبة ط٥، ١٤١٨هـ.

٨٧. شرح السنة، للبغوي، تحقيق الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط١.

٨٨. شرح العقائد النسفية، لمسعود بن عمر التفتازاني، مكتبة المثنى، بغداد المسامرة بشرح المسايرة، كمال الدين بن أبي الشريف، مطبعة السعادة، القاهرة، لسان الميزان، ابن حجر، مؤسسة الأعلمي، ط٢، ١٣٩٠هـ

٨٩. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق/ التركي والارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤١٥هـ.

٩٠. شرح العقيدة الواسطية، د/ محمد خليل هراس، دار الهجرة، ط١، ١٤١١هـ.

٩١. شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، دار الثريا، ط٢، ١٤١٧هـ.

٩٢. شرح النووي لمسلم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ.

٩٣. شرح رياض الصالحين "دليل العالمين، لابن علان الشافعي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

٩٤. شرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين، مكتبة طبرية، ط٣، ١٤١٥هـ.

٩٥. الشرح والإبانة، ابن بطة العكبري، تحقيق رضوان نعسان معطي، المكتبة الفيصلية ١٤٠٤هـ.

٩٦. الشريعة، للآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ

٩٧. الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د/ عبد الله الدميجي، دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ

٩٨. شفاء العليل، لابن القيم، تحرير الحواشي الحساني حسن عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة، السنة، للخلال، تحقيق د/ عطية الزهراني، دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ

٩٩. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفكر – بيروت، مباحث المفاضلة في العقيدة، محمد بن عبد الرحمن الشظيفي، دار بن عفان، ط١، ١٤١٩هـ

١٠٠. الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي حياته العلمية وجهودهم الدعوية وآثاره الحميدة، محمد بن أحمد سيد أحمد، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ.

١٠١. الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية، د. سعيد بن مسفر القحطاني، ط١، ١٤١٨هـ.

١٠٢. الصحاح، للجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٠٣. صحيح البخاري، دار السلام، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٠٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٠٥. صحيح مسلم، دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠٦. صحيح موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان، الألباني، دار الصميعي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠٧. صفة الصفوة، لابن الجوزي، ضبطه إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٠٨. الصلاة حقيقتها ومعناها، لأحمد بن حنبل، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.

١٠٩. صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي، دار الكتب العلمية.

١١٠. طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

١١١. الطريق إلى جماعة المسلمين، حسين محمد علي جابر، دار الوفاء، ط١ ، ١٤٠٧هـ.

١١٢. طريق الهجرتين، لابن القيم، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩هـ.

١١٣. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٢هـ.

١١٤. عالم السحر والشعوذة، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤١٠هـ.

١١٥. عصر إسماعيل/ عبد الرحمن الرافعي، الهيئة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة. ٢٠٠٠

١١٦. عصر محمد علي/ عبد الرحمن الرافعي، الهيئة المصرية للكتاب. مكتبة الأسرة. ٢٠٠٠

١١٧. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٧٨هـ.

١١٨. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام/ ابن عبد الهادي، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة حجازي، القاهرة ١٣٥٦هـ.

١١٩. عقيدة السلف للصابون، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ.

١٢٠. عقيدة المسلمين، صالح بن إبراهيم البليهي، ط٣، ١٤٠٩هـ.

١٢١. فتح الباري، لابن حجر، المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ.

١٢٢. فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٢٣. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٧هـ ط٧.

١٢٤. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الفكر، ١٤١٢هـ.

١٢٥. الفتوى الحموي الكبرى لابن تيمية، تحقيق حمد بن عبد المحسن التوجري، دار الصميعي ط١، ١٤١٩هـ.

١٢٦. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، د/ غالب بن على العواجي، دار لينة، ط٣، ١٤١٨هـ.

١٢٧. الفروق، للقرافي، دار المعرفة، بيروت.

١٢٨. الفوائد، لابن القيم، تخريج أحمد راتب عرموش، دار النفائيس، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٢٩. القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٣٠. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين بخش، مكتبة الصديق، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٣١. قصة السحر والسحرة، للرازي، محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، ط١.

١٣٢. القضاء والقدر، د/ عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٣٣. القواعد النورانية الفقهية، لابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ.

١٣٤. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها، ابن اللحام، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

١٣٥. القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل، محمود شويل، المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ.

١٣٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ.

١٣٧. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، دار الرشد، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٨. الكشف عن حقيقة الصوفية لأول في التاريخ، محمود عبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٩. الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ١٣٩٠هـ.

١٤٠. كلمة الحق، أحمد محمد شاكر، دار الكتب السلفية، ط١، ١٤٠٧هـ

١٤١. لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٦هـ.

١٤٢. لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٤٣. المؤسسة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٣، ١٤١٨هـ

١٤٤. مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعت بمطابع جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية بالرياض. العبودية، لابن تيمية، تحقيق: على حسن عبد الحميد، دار الأصالة، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٤٥. مجموع فتاوي بن عثيمين، دار الثريا، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٤٦. مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع القاسم، مطبعة المجمع، ١٤١٦هـ.

١٤٧. مجموعة الرسائل الإرشادية إلى الدعوة النبوية والعقيدة السلفية للسويل، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية القاهرة، ١٣٦٥هـ.

١٤٨. محاضرات في تحقيق النصوص، د/ أحمد الخراط، المنار، دار القلم، دمشق ١٤٠٤هـ، ط١

١٤٩. محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، خالد بن فوزي آل حمزة، دار علماء السلف، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٥٠. مختصر الصواعق ا لمرسلة، لابن الموصلي، دار الكتب العلمية.

١٥١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن الموصلي، تحقيق محمد حامد الفقي، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة ١٣٤٨هـ.

١٥٢. مختصر الفتاوى المصرية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، الإمام، ١٤٠٦، ط٢.

١٥٣. مختصر سنن أبي داؤد، للمنذري، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٥٤. مختصر سيرة الرسول ﷺ، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق محمد حامد الفقي، الجامعة الإسلامية مركز شئون الدعوة، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ ط٤.

١٥٥. مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

١٥٦. المسائل الماردينية، ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٧هـ.

١٥٧. مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، عبد الرحمن الرافعي، الدار القومية للطباعة والنشر، ط٢ ، ١٣٨٦هـ.

١٥٨. معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، لحسين النعمي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطابع الرياض، ١٣٩٣هـ.

١٥٩. معالم السنن للخطابي، المكتبة العلمية، ط٢.

١٦٠. معجم ألفاظ القرآن الكريم، حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.

١٦١. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٦٣. المعجم الوسيط، لجنة من مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة، استانبول.

١٦٤. معرفة علوم الحديث، للحاكم، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ.

١٦٥. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٦. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، ط١

١٦٧. مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب المصري، ١٤٢٠هـ.

١٦٨. الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق/ محمد سعيد كيلاني، طبعة الحلبي، ١٣٩٦هـ.

١٦٩. المنتظم، لابن الجوزي، تحقيق/ محمد مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ.

١٧٠. المنتقى من أخبار المصطفى، للمجد ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٥٠هـ.

١٧١. منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات بن جرجيس، لعبد اللطيف آل الشيخ، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ.

١٧٢. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق/ د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٧٣. منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، جابر إدريس يس علي، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ.

١٧٤. موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ.

١٧٥. المواقف في علم الكلام، للأيجي، عالم الكتب، بيروت.

١٧٦. ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٧٧. النبوات، لابن تيمية، دار الفكر، ط١

١٧٨. نظرية العقد، لابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، من مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٦٨هـ.

١٧٩. نغمة جديدة من رئيس أنصار السنة المحمدية، محمد سلطان الخجندي، المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ.

١٨٠. نفائس، ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ.

١٨١. نقض المنطق، ابن تيمية، تحقيق/ محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

١٨٢. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق/ أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية.

١٨٣. نور من القرآن، محمد حامد الفقي، مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

١٨٤. الوافي بالوفيات، للصفدي، دار صادر، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٨٥. واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة، ط٣، ١٤٠٧هـ.

فهـــرس الـــمجـــلات والـــدوريـــات

١.	جريدة	أم القرى بتاريخ ١٢صفر ١٣٤٧هـ
٢.	جريدة	أم القرى بتاريخ ١٣محرم ١٣٤٧هـ
٣.	جريدة	أم القرى بتاريخ ١٥صفر ١٣٤٧هـ
٤.	جريدة	أم القرى بتاريخ ١٨محرم ١٣٤٧هـ
٥.	جريدة	أم القرى، عدد١١، بتاريخ ٣٠رجب ١٣٤٧هـ.
٦.	جريدة	الشعب المصرية، بتاريخ ١٧/٧/١٩٥٩م.
٧.	جريدة	القاهرة المصرية، تاريخ ٢/١/١٩٥٩م.
٨.	جريدة	المساء المصرية بتاريخ ١٨/١/١٩٦٢م.
٩.	صحيفة	الشعب المصرية، بتاريخ ٢٧/٢/١٩٩٨م
١٠.	مجلـــة	الإسلام، السنة الثامنة، عدد٣٣
١١.	مجلـــة	الإسلام، السنة الثامنة، عدد٣٥
١٢.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد١، عدد (٧،٨)
١٣.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد١، عدد١
١٤.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد١، عدد٤
١٥.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد١، عدد٦
١٦.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد٢، عدد١
١٧.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد٢، عدد١٧
١٨.	مجلـــة	الإصلاح، مجلد٢، عدد٢
١٩.	مجلـــة	الاستجابة، عدد٣، سنة ١٤٠٧هـ
٢٠.	مجلـــة	البيان، عدد١٦٢
٢١.	مجلـــة	التوحيد عدد٣ سنة ١٤١٦هـ
٢٢.	مجلـــة	التوحيد عدد٧ سنة ١٤١٧هـ
٢٣.	مجلـــة	التوحيد، سنة ١٤١٦هـ، عدد٤
٢٤.	مجلـــة	التوحيد، سنة ١٤١٦هـ، عدد٥
٢٥.	مجلـــة	التوحيد، سنة ١٤١٦هـ، عدد٩
٢٦.	مجلـــة	التوحيد، عدد١١، سنة ١٤١٦هـ
٢٧.	مجلـــة	التوحيد، عدد٧، سنة ١٤١٦هـ

٢٨.	مجلـــة	التوحيد، عدد٨، سنة ١٤١٦هـــ
٢٩.	مجلـــة	الشبان المسلمين، عدد٧، سنة ١٣٧٨هـــ
٣٠.	مجلـــة	الفيصل، عدد١٩٦، بتاريخ ١٤١٣هـــ.
٣١.	مجلـــة	المنار، مجلد ١ + مجلد ٢٩
٣٢.	مجلـــة	الهدي النبوي البريطانية، عدد ١٠ ، سنة ١٤١٧هـــ
٣٣.	مجلـــة	الهدي النبوي مجلد٢٢، عدد ١١،١٢
٣٤.	مجلـــة	الهدي النبوي مجلد٢٣، عدد١١
٣٥.	مجلـــة	الهدي النبوي مجلد٦، عدد ١١
٣٦.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١ ، عدد ٥
٣٧.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٠ ، عدد ١١
٣٨.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٢، عدد ١
٣٩.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٤ ، عدد ٦
٤٠.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٥، عدد ٤
٤١.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٦ ، عدد ١٢
٤٢.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٦، عدد ١١
٤٣.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٦، عدد ٤
٤٤.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٦، عدد ٩
٤٥.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٧، عدد ٧
٤٦.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ١٨، عدد ٦
٤٧.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢ ، (٤،٧)
٤٨.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢ ، عدد ١٤
٤٩.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢ ، عدد ١٧
٥٠.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢ ، عدد ١٨
٥١.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢٠ ، عدد ٣
٥٢.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢٢ ، عدد (٨ ، ١٠)
٥٣.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٢٣، عدد ٤
٥٤.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٤ ، عدد ٤٣
٥٥.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٥ ، عدد (٢،٣)
٥٦.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد ٦ ، عدد (٧،٨)

٥٧. مجلــة الهدي النبوي، مجلد ٦ ، عدد (٩،١٠)

٥٨. مجلــة الهدي النبوي، مجلد ٧ ، عدد ١٠

٥٩. مجلــة الهدي النبوي، مجلد ٧ ، عدد ٧

٦٠. مجلــة الهدي النبوي، مجلد ٩ ، عدد ٧

٦١. مجلــة الهدي النبوي، مجلد ٩ ، عدد ٩

٦٢. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١، عدد١١

٦٣. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١، عدد١٢

٦٤. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١، عدد٢

٦٥. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٠، عدد٥

٦٦. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١١، عدد١١

٦٧. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١١، عدد٣

٦٨. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١١، عدد٦

٦٩. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١١، عدد٧

٧٠. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٢، عدد١١

٧١. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٢، عدد٤

٧٢. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٢، عدد٦

٧٣. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٣، عدد (٢،٣)

٧٤. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٣، عدد١

٧٥. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٣، عدد١١

٧٦. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٣، عدد٦

٧٧. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٤، عدد١٢

٧٨. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٤، عدد٤

٧٩. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٤، عدد٨

٨٠. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٥، عدد٣

٨١. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٦، عدد (٥-٦)

٨٢. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٦، عدد١

٨٣. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٧، عدد١١

٨٤. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٧، عدد١٢

٨٥. مجلــة الهدي النبوي، مجلد١٧، عدد٨

٨٦.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٧، عدد٩
٨٧.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٨، عدد ٥
٨٨.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٨، عدد١
٨٩.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد (١٢،١١)
٩٠.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد (٨،٧)
٩١.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد (١٠،٩)
٩٢.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد(٦،٥)
٩٣.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد٢
٩٤.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد١٩، عدد٣
٩٥.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢، عدد (٣،٢)
٩٦.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢، عدد ٢٤
٩٧.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢، عدد١٥
٩٨.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢، عدد١٦
٩٩.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢، عدد١٩
١٠٠.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢، عدد٢٠
١٠١.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢١، عدد (٢-٧)
١٠٢.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢١، عدد (٧،٦)
١٠٣.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢١، عدد(١٠،٩)
١٠٤.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٢، عدد (٢-٥)
١٠٥.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٢، عدد (٧،٦)
١٠٦.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد (٨،٧)
١٠٧.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد٢
١٠٨.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد٣
١٠٩.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٣، عدد٩
١١٠.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٢٩، عدد١٠
١١١.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٣، عدد١
١١٢.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٣، عدد٢٥
١١٣.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٣، عدد٢٦
١١٤.	مجلـــة	الهدي النبوي، مجلد٣، عدد٢٨

١١٥. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٣، عدد٣٠

١١٦. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٤، عدد٢٠

١١٧. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٤، عدد٢٦

١١٨. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٤، عدد٤٤

١١٩. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٤، عدد٥٨

١٢٠. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٤، عدد٥٩

١٢١. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٥، عدد (١٥،١٤)

١٢٢. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٥، عدد (١٧،١٦)

١٢٣. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٥، عدد (٢٤،٢٣)

١٢٤. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٥، عدد (٧،٦)

١٢٥. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد (١٤،١٣)

١٢٦. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد (١٦،١٥)

١٢٧. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد (١٨،١٧)

١٢٨. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد (٢٠،١٩)

١٢٩. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد (٢٢،٢١)

١٣٠. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد (٤،٣)

١٣١. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٦، عدد(٦،٥)

١٣٢. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٧، عدد١٠

١٣٣. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٧، عدد٤

١٣٤. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٧، عدد٩

١٣٥. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٨، عدد٥

١٣٦. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٩، عدد١

١٣٧. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٩، عدد٣

١٣٨. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٩، عدد٤

١٣٩. مجلـــة الهدي النبوي، مجلد٩، عدد٥

١٤٠. مجلـــة الهدي النبوي،مجلد١٧، عدد٥١

الفهــــرس العـــــام